

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
X•O•V•E•X •K•E C•S•I•A •I•S•X - X•O•E•O•E•



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

Faculté des Lettres et des Langues

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: دراسات أدبية.

توظيف الأسطورة في الشعر المعاصر
سميح القاسم – أنموذجا -

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الليسانس

إشراف الأستاذة:

- أوديات نادية.

إعداد الطالبات:

- مسعودي حبيلة.

- جوهري أمينة.

- مزهود صبرينة.

السنة الجامعية:

2021-2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

الحمد لله الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، الذي
وفّقنا لهذا و ما كنّا لنصل لولا أن وفّقنا الله.

مصادقا لقوله تعالى:

<< فاذكروني أذكركم و اشكروا لي و لا تكفرون >>

و اقتداءً بقول رسوله الكريم ﷺ:

" من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

نتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى أستاذتنا المشرفة "أوديات
نادية"، التي ساعدتنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، و لم تبخل
علينا بنصائحها و توجيهاتها، و كانت لنا نعم المرشدة.
و إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من أساتذة و مكتبيين و
زملاء.

و نرجو أن نكون قد وفّقنا في إنجاز هذا البحث و أصبنا فيه عين
الصواب.

و أخيرا " و الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ".

مقدمة

منذ القديم و الشعر يعتلي مكانة مرموقة و سامية على غرار الفنون الأدبية الأخرى وصولاً إلى عصرنا . حيث تأثر الشاعر المعاصر بالواقع المعيش و ما يحدث فيه من صراعات سواء كانت داخلية أم خارجية، كالاحتلال الصهيوني في الأراضي الفلسطينية و ما خلفته الحرب العالمية الثانية . . . وقد أدى كلّ هذا إلى تغيير أفكار و وجهات نظر و رؤية الشاعر في التعبير عن ألامه و آماله و طموحاته . . . فقد جعل الكلمة سلاحاً يدافع به عن رأيه و رغباته، و اعتبرها قوّة مدمّرة تؤدي إلى بناء أمم و هدم أخرى من خلال تأثيرها في النفوس .

لذا نجد الشاعر المعاصر قد لجأ إلى توظيف الأسطورة في شعره لما تحتويه من سحر و جمال في طيّاتها، و ما تحمله من قيم و فوائد و معان عميقة فهي تجربة الإنسان الأول في الحياة، و تعبّر عن مختلف العادات و التقاليد و الثقافات والحضارات التي كانت تحكم مجتمعه في تلك الفترة.

لقد وجد الشاعر المعاصر في كلماتها ما يعبّر به عن واقعه، و يصور ما يرغب في البوح به دون أن يتحكم في تعبيره شيء أو يقيّد أفكاره و أحاسيسه و مشاعره سواء تعلق الأمر بالسلطة أو الأعراف. فهذه الكلمات ذات الرموز و الأقنعة المختلفة تنطق من بين حروفها وقائع و أحداث مضت ثم عادت لتتجسّد في الحاضر بالصورة نفسها أو في صورة تشبهها، فالأسطورة لا تعبّر عن الماضي فقط بل تحتوي الماضي و الحاضر و لها تطلّعات للمستقبل، فهي صالحة لكل زمان و مكان، كونها عميقة المعنى و ذات أسلوب رائع و مشوق. و اليوم و بفضل الأسطورة أصبحت القصيدة المعاصرة مهمة تحمل في ثناياها الكثير من الدلالات و المعاني التي تسمح للقارئ أن يبحر بين أمواجها و يعيش أحداثها.

لقد كان حضور الأسطورة بارزاً و مميزاً في ديوان "سميح القاسم"، إذ استند إلى مجموعة من أروع الرموز الأسطورية التي عرفت البشرية إلى يومنا هذا ليعبّر عمّا يختلج به صدره و ما يدور حوله من وقائع تستوجب عليه الخوض فيها و إعلاء صوتها و إظهارها إلى النور بأساليب مفعمة بالحياة و الدلالة. فقام باستدعاء

شخصيات أسطورية من الماضي حتى تساعده في إيصال رسالته و جعل صوته مسموعا .

لم يكن اختيارنا لموضوع دراستنا اختيارا عشوائيا، بل هناك ما لفت انتباهنا في الشعر المعاصر، حيث نجد الشاعر حين أراد أن يصف واقعه و يعبر عما يحدث في مجتمعه وعالمه يعود إلى الرموز الأسطورية التي تلخص بكلمات بسيطة اللفظ عميقة المعنى و أسلوب شيق ، فهي ذات طابع روحي فلسفي. و نحن أردنا أن نخوض غمار هذه الرحلة و نبحر في عالم الأساطير و نكتشف خباياه. فتوظيف الأسطورة في الشعر المعاصر عرف انتشارا واسعا لدى جيل الشعراء عموما و "سميح القاسم" على وجه الخصوص.

ومن خلال موضوع بحثنا المعنون ب " توظيف الأسطورة في الشعر المعاصر سميح القاسم – أنموذجا- " أردنا أن نسلط الضوء على بعض الأمور و القضايا التي تستدعي الشرح و التحليل لفهم محتواها و إدراك معانيها، و من بين الأسئلة التي طرحناها: ماذا نعني بالأسطورة؟، و كيف نشأت و تطورت عبر الزمن؟، و كيف وظّفها الشعراء في قصائدهم و ما هي أهميتها؟، كيف تجلّى توظيف الأسطورة في ديوان سميح القاسم؟، و ما هو الدافع وراء توظيف سميح القاسم للرموز الأسطورية في كتاباته؟.

و لإنجاز بحثنا اعتمدنا في دراستنا هذه على الوصف و التحليل، محاولة منا للوصول إلى جميع المعلومات و المعارف المتعلقة بظاهرة البحث، و ذلك بعد التعرف على الظاهرة المدروسة وتحليلها و تفسيرها و الوقوف عند مختلف مواطن الأسطورة في الديوان.

و كان لابدّ من وضع خطة للبحث، فارتأينا أن نقسّمه إلى فصلين، فصل نظري و فصل تطبيقي، وقد عالجنا في كل فصل الإشكاليات التي سبق طرحها. ففي الفصل الأول (النظري) المعنون ب"الأسطورة، مفهومها، نشأتها، أنواعها، و توظيفها في الشعر"، تطرقنا إلى مفهوم الأسطورة عند العرب و الغرب لإبراز الفرق بينها، كما

قمنا بمتابعة لفظة "الأسطورة" في القرآن الكريم . بعد التعريف قمنا بالعودة إلى نشأة الأسطورة و تتبعناها تاريخيا لمعرفة كيفية تطورها و سبب عدم ضياعها عبر العصور فكل شيء مولد أدى إلى تواجده و ظروف ساهمت في تكوّنه عبر مختلف الأزمنة، و هذا تماما ما حدث مع الأسطورة حتى وصلت إلينا في شكلها المتعارف عليه. ثم ذكرنا أنواعها و كيف اختلفت الآراء حول عددها. ثم حددنا أسباب توظيفها و الظروف التي دفعت بالشاعر المعاصر للاستعانة بها. و أخيرا وليس آخرا أهمية الأسطورة و وظيفتها حيث ذكرنا الدور الفعّال الذي تلعبه في التأثير على نفسية المتلقي على أفكاره و عقلياته. أما الفصل الثاني (التطبيقي): فقد اخترنا له عنوان "تجليات توظيف الأسطورة و الرمز في ديوان سميح القاسم" وقد كان عبارة عن دراسة تطبيقية لديوان هذا الأخير، فاستخرجنا الأسطورة: الأساطير اليونانية، و الفرعونية، و البابلية، ثم استخرجنا الرموز و اخترنا الرموز الدينية و التاريخية لدراستها، و إبراز المعنى الخفي وراءها. أمّا الخاتمة فكانت عبارة عن جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا.

ومن بين المراجع التي ساعدتنا بشكل كبير في إنجاز بحثنا هذا: أشكال التعبير في الأدب الشعبي لنبيلة إبراهيم، و الأسطورة والمعنى لفراس السوّاح، الشعر العربي المعاصر (قضايا و ظواهره الفنية و المعنوية) لعز الدين إسماعيل. بالإضافة إلى مختلف الدراسات التي تناولت مواضيع لها علاقة ببحثنا هذا مثل: صورة النار في الشعر المعاصر لجمال حسني يوسف، و آليات تشكيل الرمز في قصيدة "أشدّ من الماء حزنا" فهيمة قيدي، و الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية ليونس لوليدي.

وفي الختام نتقدم بالشكر لكل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد.

الفصل الأول (النظري): الأسطورة، مفهومها،

نشأتها، أنواعها، وتوظيفها في الشعر.

1. مفهوم الأسطورة.

2. نشأة الأسطورة.

3. أنواع الأسطورة.

4. أسباب توظيف الأسطورة.

5. أهمية الأسطورة ووظيفتها.

1. مفهوم الأسطورة:

أ - عند الغرب:

يرى "الكسندر كراب Alexandre Krappe" أن مصطلح أسطورة يعني: >>

حكاية تلعب فيها الآلهة بالمعنى الواسع للكلمة دورا أو عدة أدوار.¹ << أي أن الآلهة عنصر أساسي فيها.

يقول "بول ريكور Paul Ricœur" أن: >> الأسطورة ليست تفسيراً خاطئاً عن

طريق الصور و الخرافات، و لكنها حكاية تقليدية تتعلق بأحداث وقعت في الزمن

الأول، و مخصصة لتأسيس الفعل الشعائري (...) و بشكل عام، تأسيس كل أشكال

الفعل و الفكر اللذين من خلالهما يفهم الإنسان داخل عالمه.² << هذا يعني أن

الأسطورة ليست مجرد تفاسير خاطئة عن صور و خرافات قديمة لا تعني شيئاً، و إنما

هي حكاية تقليدية تتناول أحداثاً وقعت في الزمن القديم، تأسس عن طريقها الجانب

الديني و الفعلي و الفكري.

و تقول "ماري ديلكور Marie Delcourt": >> ففي المعتقدات الشعبية تزداد

الحركة الخيالية مع تدني العقيدة. فيتم تبرير ممارسة ما بواسطة حكاية، انطلاقاً من

الوقت الذي يكون فيه العقل متحرراً - بما فيه الكفاية - لكي يتساءل عن هذه الممارسة

¹ - يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية، مطبعة انفو برانت، شارع القادسية،

فاس، ط:1، 1996، ص:07.

² - المرجع نفسه.

و يقدر أنها في حاجة إلى تفسير. حينئذ يمكننا أن نتصور اليوم الذي ستتدثر فيه تلك الممارسة نفسها، في حين سنظل نتذكر الحكاية التي ستصبح خالدة، اذا ما صادفها الحظ و حكيت من طرف شاعر كبير.¹ أي أن الأسطورة تبرير ممارسة بواسطة حكاية بعيدا عن العقيدة، مع الوقت تختفي الممارسة و تبقى الحكاية خالدة.

أما بالنسبة لـ "ميرسيا إلياد Micea Eliade" فيرى: <> أن الأسطورة تحكي حكاية قدسية، إنها تحكي حدثا وقع في الزمن الأول، "زمن البدايات" الخارق. و بعبارة أخرى الأسطورة تحكي – بفضل منجزات الكائنات الخارقة – كيف أن واقعا ما جاء إلى الوجود، سواء أ كان واقعا كليا: الكون، أو مجرد جزء: جزيرة أو نوع نباتي أو تصرف إنساني أو مؤسسة. إنها دائما حكاية "خلق"، تحمل إلينا كيف حدث شيء ما أو كيف بدأ وجوده، و الأسطورة لا تتحدث إلا عن ما حدث فعلا (...) و شخصيات الأساطير كائنات خارقة معروفة على الخصوص بما فعلته في زمن البدايات.² أي أن الأسطورة تحكي تاريخا مقدسا، وقع في الزمن القديم الخارق.

و يضيف أيضا: <> في الحقيقة، لا تحكي لنا الأساطير أصل العالم و الحيوان و النبات و الإنسان و حسب، و إنما تحكي لنا أيضا جميع الحوادث البدئية التي على أثرها أصبح الإنسان ما هو عليه اليوم (أي كائنا فانيا) ذكرا كان أم أنثى، عضوا في

¹ - يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية ، ص:08.

² - المرجع نفسه، ص:09.

جماعة، مجبوراً على العمل لكي يعيش ... و لكن كان العالم موجوداً و الإنسان موجوداً، فلأن الكائنات العليا أبدت عن فعالية مبدعة في البدايات (...). فمثلاً إن كانت قبيلة معينة تعيش على صيد السمك، فما ذلك إلا لأن كائناً أعلى كان فائقاً و قام في الأزمنة الميثيقية بتعليم أسلافهم كيف يصيدون السمك و يشوونه ...¹ فالأسطورة حكاية شاملة تعلم الإنسان القديم عن طريقها من أين جاء و كيف يعيش و يحافظ على حياته.

و قد جاء تعريف الأسطورة في معجم أكسفورد لعام 1970 على أنها: " محاولة متبصرة و خيالية لتفسير الظواهر الحقيقية أو المفترضة التي تثير واضع الأسطورة".²

ب - عند العرب:

لا بد أن الأسطورة عند العرب كانت مختلفة عن الغرب و كان ينظر إليها من زاوية نظر أخرى، فقد ورد في " لسان العرب " لابن منظور: ">> سطر فلان فلانا بالسيف سطرًا، إذا قطعه به كأنه سطر مسطور و الأساطير: الأباطيل، و الأساطير:

¹ - مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات و النشر، دمشق، ط:1، 1991، ص:15.

² - مجلة أوراق ثقافية، www.awraqthaqafya.com

أحاديث لا نظم لها، إسطار و إسطارة، و يقال سطر فلان علينا، إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل.¹

كما نجدها عند "الزمخشري" في كتابه "أساس البلاغة": >سطر: سطر و استطر: كتب. و كتب سطرًا و أسطرًا و سطورًا و أسطارا. و هذه أسطورة من أساطير الأولين: مما سطوروا من أعاجيب أحاديثهم. و سطر علينا فلان: قص علينا من أساطيرهم. و هو مسيطر علينا و متسيطر: متسلط، و ما لك سيطرت علينا و تسيطر، و ما هذه السيطرة.²

كما نجدها في تعريف "لعبد المالك مرتاض": >>هي مزيج من كل شيء ، فهي حكاية خالصة ، و هي حكاية مستوحاة من حوادث التاريخ ، و هي قصة سردية ، و هي تاريخ آلهة ، و هي تاريخ أبطال ، و هي تاريخ أجداد...³.

أي أن "عبد المالك مرتاض" وضع الأسطورة في إطارها الأول ، الإطار التاريخي فهي مستوحاة من التاريخ و من قصص الأولين .

ج - في القرآن الكريم:

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2000، مج 7، مادة(سطر)، ص:182¹

- أبو القاسم جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، س:1998، ج:1، باب السين، ص:454.²

³ - عبد المالك مرتاض : الميثولوجيا عند العرب ، دراسة لمجموعة من الأساطير و المعتقدات العربية القديمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د:ط ، 1989 ، ص: 14.

قال "شارل بيل" أن كلمة "أساطير" لم ترد صريحة إلا في القرآن الكريم، و ذلك يعني أننا لو اطلعنا على التراث الشفهي أو الشعر في الجاهلية فإننا لن نجد لهذه اللفظة من أثر.¹

ولعل غياب الأساطير العربية و عدم وجودها يعود إلى سببين، الأول: >> أن العصر الجاهلي المتأخر الذي نقلت عنه هذه الأخبار لا يمثل العصر الأسطوري الذي يمكن أن تتكون فيه الأسطورة. ذلك أن هذا العصر لا يمثل عصر البراءة و السذاجة الذي يمكن أن يقتنع فيه الإنسان بحكاية أسطورية تربط بينه و بين الكون ربطا تاما، و إنما يشيع في هذا العصر على عكس ذلك جو من الشك الرهيب إلى حد أن أخذ العربي يفكر تفكيراً وجودياً بعيداً عن العالم السماوي<<.² و السبب الثاني: >> يترتب على افتراضنا وجود أساطير عربية قديمة عاشت بين الناس حتى قبل مجيء الإسلام، ولكن هذه الأساطير مسخت أو حرفت أو اندثرت بعد مجيء الإسلام <<.³ و هذا يعني أن الإسلام مسح هذه الأساطير من عقول العرب، كونها لا تفيد و لا تزيد شيئاً و هي في أغلب الأحيان تدعو إلى الشرك كونها تتميز بتعدد الآلهة.

و قد وردت لفظة "الأسطورة" صريحة في القرآن الكريم تسع مرات في سور مختلفة :

¹ - يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية، ص:52.

² - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، د:ط،

د:س، ص:13.

³ - نفسه ، ص:13.

قال تعالى: >>...إذا جاءوك يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

الْأَوَّلِينَ.<<¹

_ يقول "الزمخشري": و فسر مجادلتهم بأنهم يقولون (إن هذا إلا أساطير الأولين)

فيجعلون كلام الله، و أصدق الحديث خرافات و أكاذيب.<<²

_ و قد ورد في "تفسير الخازن": >> ما هذا القرآن (إلا أساطير الأولين) يعني أحاديث

الأولين من الأمم الماضية و أخبارهم و أقاصيصهم، و ما سطورا، يعني و ما كتبوا...

فعلى هذا لو قال قائل: لما عابوا القرآن و جعلوه أساطير الأولين، و قد سطر الأولون

في كتبهم الحكم و العلوم النافعة و ما لا يعاب قائله، أجيب عنه بأنهم إنما نسبوا

القرآن إلى أساطير الأولين، بمعنى أنه ليس وحيا من الله تعالى، و إنما هو أخبار

مجردة كما تروى أخبار الأولين، و قيل في معنى أساطير الأولين أنها الترهات. و هي

عند العرب طرق غامضة و مسالك وعرة مشككة. يقول قائلهم: أخذنا في الترهات

بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح إلى الطريق المشكل الذي لا يعرف، فجعلت الترهات

مثلا لما لا يعرف و لا يتضح من الأمور المشككة الغامضة التي لا أصل لها.<<³

قال تعالى: >>... لَوْ نَشَاءُ لَفَلَّنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.<<⁴

¹ - سورة الأنعام: الآية 25.

² - يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية، ص: 52.

³ - نفسه، ص: 53.

⁴ - سورة الأنفال: الآية 31.

ـ يقول "القرطبي" في تفسير هذه الآية: >> أنها نزلت في "النضر بن الحارث" الذي خرج إلى "الحيرة" للتجارة فاشترى أحاديث قليلة و دمنة و كسرى و قيصر. و عندما قص الرسول □ أخبار من مضى قال "النضر": لو شئت لقلت مثل هذا، و كان هذا وقاحة وكذبا منه، و قيل أنهم توهموا أنهم يستطيعون أن يأتوا بمثله، كما توهمت سحرة موسى، ثم راموا ذلك فعجزوا عنه. و قالوا عنادا: إن هذا إلا أساطير الأولين.<<¹

ـ و يقول "السيد قطب": >> و لكنهم كانوا يبحثون في القرآن عن شيء يشبه الأساطير المعهودة في أساطير الأمم من حولهم ليموهوا به على جماهير العرب، الذين من أجلهم تطلق هذه المناورات للاحتفاظ بهم في حظيرة العبودية للعبيد... و الأساطير واحدتها أسطورة، و هي الحكاية المتلبسة -غالبا- بالتصورات الخرافية عن الآلهة، و عن أقاصيص القدامى، و بطولاتهم الخارقة، و عن الأحداث التي يلعب فيها الخيال و الخرافة دورا كبيرا...<<²

قال تعالى: >> و إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ<<³.

ـ يقول "الرازي" أن تفسير هذه الآية يكون على ثلاثة أوجه: >> لقائل يقول: كيف يكون تنزيل ربهم أساطير الأولين؟ و جوابه من وجوه: الأول: أنه مذكور على سبيل السخرية كقوله تعالى عنهم (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) و قوله (يا أيها

¹ - يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية ، ص: 54.

² - نفسه، ص: 54.

³ - سورة النحل: الآية 24.

الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) و قوله (يا أيها الساحر أدع لنا ربك). الثاني: أن يكون التقدير هذا الذي تذكرون أنه منزل من ربكم هو أساطير الأولين. الثالث: يحتمل أن يكون مما أنزله الله، لكنه أساطير الأولين، ليس فيه شيء من العلوم و الفصاحة و الدقائق و الحقائق.¹

قال تعالى: <<لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ>>.²

_ يقول "الطبري" في تفسير هذه الآية: << يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، ووعد آبائنا من قبل قوم ذكروا أنهم الله رسول من قبلك فلم نره حقيقة (إن هذا إلا أساطير الأولين) يقول : ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث و الأخبار التي لا صحة لها و لا حقيقة.>>³

قال تعالى: <<وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أُصِيلًا>>.⁴

_ يقول "ابن عاشور": << و قائل هذه المقالة هو "النضر بن الحارث العبدي". قال: إن القرآن قصص من قصص الماضين. و كان "النضر" هذا قد تعلم بالحيرة قصص ملوك الفرس و أحاديث رستم و أسفنديار فكان يقول لقريش: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا من محمد فهلم أحدثكم. و كان يقول في القرآن: هو أساطير الأولين. قال ابن عباس كل ما ذكر فيه أساطير الأولين في القرآن فالمقصود منه قول "النضر بن

¹ - يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية، ص: 55.

² - سورة المؤمنون: الآية 83.

³ - المرجع السابق، ص: 55-56.

⁴ - سورة الفرقان: الآية 05.

الحارث". <<¹

قال تعالى: <<لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ>>².

_ يرى "الرازي" في هذه الآية : << أن قولهم (لقد وعدنا هذا نحن و آبأؤنا) أي أن هذا الكلام كما قيل لنا قيل لمن قبلنا و لم يظهر له أثر. فهو إذن من أساطير الأولين يريدون به ما لا يصلح من الأخبار.>>³

قال تعالى: <<و الذي قال لوالديه أَفَّ لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيَلْكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ>>⁴.

_ يرى "ابن عاشور": << أن هذه الآية وصف لفئة من أبناء المشركين أسلم آبأؤهم و دعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم و أغلظوا لهم القول فضموا إلى الكفر بشيع عقوق الوالدين ... و الأساطير جمع أسطورة و هي القصة الباطلة أو المكذوبة، كما يقال خرافة .>>⁵

قال تعالى: <<إِذَا تَنَتَّلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ>>⁶.

¹ - يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية ، ص: 56 .

² - سورة النمل: الآية 68.

³ - المرجع السابق، ص: 57.

⁴ - سورة الأحقاف: الآية 17.

⁵ - المرجع السابق، ص: 57-58.

⁶ - سورة القلم: الآية 15.

ـ يقول "ابن عاشور" أن المقصود بهذه الآية : >> كل من كان ذا مال و بنون من كبراء المشركين ... و قيل أريد به "الوليد بن مغيرة" إذ هو الذي اختلق أن يقول في القرآن (أساطير الأولين) ... و الأساطير جمع أسطورة و هي القصة، و الأسطورة كلمة معربة عن الرومية.<<¹

قال تعالى: >>...إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ<<²

ـ يقول "الطبرسي": >> (إذا تتلى عليه آياتنا) و هي القرآن (قال أساطير الأولين) أي أباطيل الأولين و التقدير قال هذا أساطير الأولين، أي ما سطره الأولون و كتبوه مما لا أصل له.<<³

2. نشأة الأسطورة:

لقد حاول علماء التاريخ و الميثولوجيا تفسير نشأة الأسطورة و تحديد بدايتها، فتضاربت الآراء حول منبعها. فمنهم من يرجعها إلى أسباب ترتبط ببداية الحياة على الأرض، و منهم من يرجعها إلى أسباب تاريخية، دينية، طبيعية...¹

¹ - يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية ، ص:58.

² - سورة المطففين: الآية13.

³ - المرجع السابق، ص:58.

¹ - قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة توثيق حضاري، دار كيوان للطباعة و النشر و التوزيع، سوريا: دمشق، ط1، 2009، ص:30، بتصرف.

و مع تضارب هذه الآراء، خلص "توماس بوليفنشي" في كتابه "ميثولوجية اليونان و روما" إلى وجود أربع نظريات نستطيع بها تفسير نشأة الأسطورة و هي:¹

1- النظرية الدينية: التي ترى أن حكايات الأساطير كلها مأخوذة من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأنها غيرت أو حرفت، و من ثم كان "هرقل" اسما آخر "لشمشون"، و "المارد ديوكاليون" ابن "بروميتيوم" الذي أنقذه "زيوس" مع زوجته من الغرق فوق أحد الجبال من نوح...

2- النظرية التاريخية: التي تذهب إلى أن أعلام الأساطير عاشوا فعلا و حققوا سلسلة من الأعمال العظيمة، و مع مرور الزمن أضاف إليهم خيال الشعراء ما وضعهم في ذلك الإطار الغرائبي الذي يتحركون خلاله في جو الأسطورة.

3- النظرية الرمزية: و هي تقوم على أن كل الأساطير بكل أنواعها ليست سوى مجازات فهمت حرفيا، من ذلك ما يقال على أنّ "سانورن" يلتهم أولاده، أي الزمن يأكل كل ما يوجد فيه.

4- النظرية الطبيعية: و بمقتضاها يتم تخيل عناصر الكون من ماء و هواء و نار في هيئة أشخاص أو كائنات حية، أو أنها تختفي وراء مخلوقات خاصة، و على هذا النحو وجد لكل ظاهرة طبيعية _ ابتداء من الشمس و القمر و البحر و حتى أصغر مجرى

¹ - - قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة توثيق حضاري ، ص: 30، 31.

مائي_ كائن روحي يتمثل فيه و تتبني عليه أسطورة أو أساطير.

3. أنواع الأسطورة:

على تعدد الأساطير و كثرتها تتنوع و تختلف من حيث الموضوع، الوظيفة و الغرض و استنادا إلى هذه المعايير، فقد صنف الرأي الأول الأسطورة إلى أربعة أنواع بغض النظر عن مصدرها كالآتي:

1- الأساطير التعليمية:

ارتبطت الأساطير في هذا النوع بسلم التطور الحضاري، فقد كانت تلعب دورا مهما في نفوس سامعيها و تعليمهم مبادئ "إيل" (الله في الأساطير) و تعاليمه، و يظهر ذلك في انتقالهم من مرحلة الزواج العشوائي إلى تكوين أسرة و الاستقرار. كما علمتهم أيضا مبادئ الزراعة و فنونها. و من أمثلة الأساطير التعليمية الأسطورة البابلية المعروفة باسم أنشودة " ألم الأسنان" و هي بمثابة علاج أو رقية لتجنب ألم الأسنان، فقد ربط الإنسان القديم كل ما يحصل له في حياته بالآلهة، و ذلك يظهر جليا في الأساطير و الحكايات الشعبية و القصص التي تحمل عبرة أو وعظا أو جانبا تعليميا فكلها تحوي على عنصر إلهي غيبي أو قوى خفية، و تختلف الأساطير التعليمية و تختلف مجالاتها لكن هدفها واحد و هو تعليم الإله الرعية أمور الحياة، و هناك الكثير من المدونات التي عثر عليها المنقبون في المناطق العربية تعكس مدى التطور الحضاري

الذي كانت عليه الشعوب القديمة في مجالات عدة مثل الفلك و الأرصاد الجوية و

الرياضيات و الطب.¹

2- الأساطير الوعظية:

و بحث هذا النوع من الأساطير على التزام الحكمة و بناء القيم، كما يدعو إلى

الاستقامة في التعامل بين الإنسان و الرب و التحذير من عصيانه، و لعل أشد

المتعلقين بالخالق هم العرب القدماء كون أرضهم شهدت عملية الخلق الأول للأرض و

الكائنات و الإنسان، و على أرضهم عاش آدم الإنسان الأول الذي سار محاولا الحفاظ

على عهده مع الله في طريق الهداية و حمل الأمانة، كما أن أنبياء الله بعثوا كلهم بلا

استثناء في أرضهم حاملين شعلة التوحيد إلى مشرق الأرض و مغربها، و هذه الفكرة

تتفي وجود فكرة تعدد الآلهة فقد كان الأنبياء يدعون إلى الإيمان بآله واحد. و مهما

حاول الغربيون إثبات فكرة أن العرب و سكان البلاد العربية كانوا يعبدون الآلاف

المؤلفة من الآلهة، لا يستطيعون إثباتها فذلك إدعاء ناتج عن خطأ تلك الترجمات و

التفسيرات.

و كانت الأساطير الوعظية تدعوا أيضا إلى مكارم الأخلاق حتى مع الخصم، تمجيد

الرب و ابتغاء مرضاته، تثبيت مقام القوى الخيرة في النفوس و التحذير من التعالي

¹ - قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة توثيق حضاري، ص: 51، 53.

عليها، تجنب الصفات السيئة مثل الحسد،... وهكذا فهي تساهم بشكل أو بآخر، بوعي الإنسان أو بدون وعيه في تكوين شخصيته و التحكم بها.¹

3- الأساطير العلمية:

و تتناول قضايا علمية كالخلق و التكوين و أصول الأشياء، و هي أساطير تبهر العقل و ذلك لما تحويه من معاني عظيمة عن خلق الكون، السماء، الأرض، النباتات، الحيوان، و الإنسان. و أعظم مثال على ذلك هو أسطورة التكوين البابلية التي تعد من أهم أساطير الخلق، حتى أنها كتبت قبل سفر التوراة بعدة قرون، و تحوي هذه الأسطورة كيفية خلق الكون بما فيه و أن أهم شيء خلق منه كل شيء هو الماء، و كل هذا كان بصورة رمزية معبرة.

و على الرغم من قدم تلك النصوص، و عودة عمرها إلى أكثر من أربعة آلاف عام إلا أنها تناولت قضايا علمية عظيمة و بوصف مفصل لعملية الخلق، و كيف يضيء القمر باستمداد نوره من الشمس...

و كل هذا أثبتته اكتشافات العلوم التطبيقية و لازالت عاما بعد عام تكتشف أشياء و تثبتها و تجدها مذكورة في الأساطير القديمة.²

4- أساطير الأبطال:

¹ - قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة توثيق حضاري، ص: 60، 61، 63، 65، 66، بتصرف.

² - نفسه ، ص: 71، 72، 73.

و تدور حول شخصيات صالحة تركت بصمتها في التاريخ القديم كالمملوك و الأنبياء، و من خلال هذه الأساطير تعرفنا على مفهوم البطولة عند الشعوب القديمة و ارتباطها بالعالم الفوقي و القوى الربّانية، فالبطولة تؤثر بشكل كبير في الحضارة حتى أنها في بعض الأحيان تكون صانعة للحضارة و مدافعة عن القضايا الإنسانية و إرساء المبادئ السامية، و من أساطير الأبطال نجد بطل أسطورة الطوفان "أتونايشتم" نبي الله نوح عليه السلام، و أسطورة "جلجامش" ملك أوروك السومري، أساطير الملك البابلي حمورابي، و من الأساطير العربية البطولية المصرية، أسطورة "أوزيريس" الذي يعد بطلا ثقافيا علمهم فنون الزراعة و الأشغال المعدنية.¹

و ترى "نبيلة إبراهيم" أن الأسطورة تنقسم إلى خمسة أنواع هي:

1- الأسطورة الطقوسية:

تمثل الأسطورة في هذا النوع الجانب الكلامي لطقوس الأفعال التي من شأنها أن تحفظ المجتمع من القوى المتعددة التي تحيط بالإنسان، و مثال ذلك أسطورة "أوزيريس" إله الخصب الذي يموت مع انتهاء فترة الخصب و يحيا مع عودتها. كما أنه يجلس على كرسي القضاء الذي يقرر مصير الأرواح، و بهذا فهو على صلة بطقوس التحنيط المعقدة.²

¹ - - قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة توثيق حضاري، ص: 78، 81.

² - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص: 16، بتصرف.

2-أسطورة التكوين:

أسطورة التكوين عبارة عن تصور لكيفية خلق الكون، و أفضل مثال على ذلك هو أسطورة "التكوين البابلية" التي تصور لنا كيف خلق الكون بأدق التفاصيل.¹

3-الأسطورة التعليلية:

هي عبارة عن طريقة استعملها الإنسان البدائي من أجل تفسير الظواهر غير المفهومة، فلا يجد أمامه إلا أن يخلق حكاية أسطورية يفسر بها هذه الظاهرة.²

4-الأسطورة الرمزية:

هذا النوع من الأساطير يختلف عن الأنواع السابقة، بسبب أن أساطيره تحتوي على رموز تحتاج إلى تفسير حتى تفهم.³

5-أسطورة البطل الإله:

البطل في هذا النوع من الأساطير يكون مزيجا من الإله و الإنسان، أو كما يسمى هذا النوع بأنصاف الآلهة، فيحاول بما لديه من صفات أن يصل إلى مصاف الآلهة، و

¹ - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص:17، بتصرف.

² - المرجع نفسه، ص:18، بتصرف.

³ - المرجع نفسه، ص:18-19، بتصرف.

لكن صفاته الإنسانية دائماً ما تشده إلى العالم الأرضي.¹ و مثال ذلك هو الملك "جلجامش" الذي كان نصف إله و نصف بشري.

4. أسباب توظيف الأسطورة:

يعبر الشاعر من خلال كتاباته عن همومه، آلامه، و مآسيه التي يعيشها و يتخبط داخل تياراتها الهادئة و الهائجة. خاصة في بداية الخمسينات، و ما عرفته هذه الفترة من صراع عربي إسرائيلي، و ما نتج عن الحرب العالمية الثانية. فلم يجد مفراً أو ملاذاً من أن لا يعود إلى تاريخ الشعوب الماضية بأساطيرها و رموزها : >> يعد استغلال الأسطورة في الشعر العربي الحديث من أجراً للمواقف الثورية فيه و أبدعها أثارا حتى اليوم... و استخدام لها في التعبير عن أوضاع الإنسان العربي في هذا العصر<<.² ليعكس أحاسيسه و مشاعره في ظل سيطرة التكنولوجيا، و ميل الإنسان لتحصيل الأرباح و المبالغ الطائلة. فعمل على صياغة هذه الأساطير و الرموز بشكل جديد و فريد و مميز... و لجوء الشاعر المعاصر إليها لم يكن إلا لجملة من الأسباب من بينها:

لم يلجأ الشاعر المعاصر إلى الأسطورة و الرمز إلا للتعبير عن ما يجيش في صدره من أحاسيس و مشاعر، و أي شعور يتولد داخله من خلال مواقف و صعوبات في الحياة يعبر عنها بطريقة غير مباشرة داخل نفس القارئ الشغوف بحب الاطلاع و

¹ - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص: 21-22، بتصرف.

² - إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، 1978م، ص: 128.

المبول و المعرفة لفهمها و إدراكها. <لجأ الشعراء إلى الأسطورة للتعبير عن قيم إنسانية... يتخذ الشاعر الأسطورة قناعا يعبر من خلاله عما يريد من أفكار و معتقدات... فتكون شخصيات الأسطورة ستارا يختفي خلفه ليقول ما يريده... كما أن استعمال الأسطورة يطرح مستويات مختلفة للتأويل>>¹. فسعى إلى إعادة إحياء رموز الانبعاث و التجديد و الخلق التي تجسدت في شخصيات الأسطورة كـ"تموز"، "عشتار"، "أوزيريس"، "جلجامش"... خوفا على واقعه من خطر الانحلال الخلقي و اهتزاز القيم و المبادئ و التي تؤدي بدمار و هدم المجتمعات البشرية، <أسرع إلى الأساطير يعيد لها طاقتها الخارقة و قدرتها السحرية التي فقدتها في عصر العلم و التكنولوجيا، كما أسرع إلى الطقوس يلتمس فيها بعثا و تجديدا... و كأنه يريد بهذا الفعل الرمزي إيقاف صيرورة هذا التدمير المحتمل، وبعث الحياة من جديد بواسطة طقوس و شعائر خاصة تتلخص في تكرار أعمال الخلق كما صورتها المعتقدات و حكّت عنها الأساطير>>¹. كما كان طغيان المادة في العصر المعاصر على الأحاسيس و الجانب الروحي دافعا قويا للجوء إلى الأسطورة و الرمز لاحتوائها على الأشياء المتعلقة بالروح، لذلك: <عمل الشاعر المعاصر على خلق توازن بين ما هو ملموس و ما هو محسوس و هو ما جعله يغيّر من سلاحه لمواكبة مختلف التطورات

¹ - رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر (دراسة جمالية) دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2020، ص: 344.

¹ - كاملي بالحاج: آثار التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، من منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004م، ص74.

الحاصلة في عصره، و يتخلص من القلق و المعاناة و الآلام، و ذلك بالتركيز على الجانب الإيجابي للربط بين العالمين الخارجي و الداخلي، بين المرئي المحسوس و غير المحسوس في سبيل خلق نوع من التوازن بين العالمين في ضمير الإنسان¹. و حب الشاعر العربي و شغفه للإطلاع على الثقافات الأخرى، و استعمالها فيما يفيد و ينتفع به الإنسان العربي خاصة الآداب الغربية، فبعد تحليلها و دراستها حاولوا الاستفادة منها بعد انتشارها و تفشيها في الأوساط الثقافية العربية عن طريق ترجمتها فتأثروا بها من بينهم نجد "ت-س إليوت" صاحب مصطلح "النهج الأسطوري" و المتأثر الأول بين الشعراء، لتأتي فئة من الشعراء بعده تأثروا به و بالثقافة الغربية. أمثال "السيّاب"، "البياتي"، "أدونيس"، "صلاح عبد الصبور"... و هلم جرا. >>كانت حركة النقل و الترجمة عند العرب منذ القديم بوابة الانفتاح على الفكر الإنساني و تصورات، من خلالها تم التعرف على حضارات الشعوب و عاداتها و آدابها، و طرائق تفكيرها¹. >> كما رغب و أراد الشاعر العربي المعاصر التجديد و التغيير في شعره بتوظيف الأسطورة و الرمز القديمين بطريقة جمالية إبداعية في ظل محاولة معرفة الإنسان بالاستناد إلى علوم الإنسان : >>استعمال الأساطير قد يبعث بتأثير النزعة الجديدة إلى تجلية علوم الإنسان كعلوم الأنثروبولوجيا و الاثنولوجيا و النفس، فقد كان العلم يرى في هذه الاهتمامات حتى عهد قريب مجموعة من المواد المبعثرة لا تستطيع

¹ - عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياها و ظواهره الفنية و المعنوية، دار الفكر العربي، ط3، ص:229.

¹ - كاملي بالحاج: آثار التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة ، ص: 17.

أن ترقى إلى مستوى العلم... لكن البحث حين اتجه إلى الإنسان رأى في هذه المواد المبعثرة كنوزا من التجربة و المعرفة، فحاول أن ينسجها في علوم استدلالية، محاولا أن يعرف الإنسان عن طريقها، بعد أن فشل في معرفة الإنسان عن طريق العلوم التجريبية الحديثة¹.

5. أهمية الأسطورة و وظيفتها:

- أهمية الأسطورة:

تنوعت الأساطير و تعددت أشكالها و أنواعها من بلد إلى آخر، و تغير مفهومها و هدفها و غايتها و وظيفتها و أهميتها...من مفسر إلى آخر و دارس و آخر. فالأساطير القديمة التي تلخص حياة الإنسان البدائي :>>هي الكشف عن نماذج مثالية لجميع الطقوس و جميع أوجه النشاط البشري المحملة بالمعنى، كالغذاء، و الزواج، و العمل و التعليم، و الفن، و الحكمة>>¹ و التي كانت لها أهمية بالغة في تركيب و بناء الإنسان المعاصر و لما وصل إليه من تطور. فلا شيء في حياتنا يولد من العدم فكل شيء بداية، لهذا نجد الشاعر المعاصر سواء "السيّاب" أو "صلاح عبد الصبور" أو "سميح القاسم"... و غيرهم الكثيرين عادوا إلى الأساطير القديمة و وظفوها في أشعارهم ليستفيدوا و يفيّدوا غيرهم من البشر من خلال نقل تجارب الأولين لأنهم

¹ - صلاح عبد الصبور: ديوان صلاح عبد الصبور، المجلد الثالث (حياتي في الشعر)، دار العودة، ط2، 1988م، ص180.

¹ - مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، ص512.

نظروا إلى ما حققه الإنسان بشكل مختلف و لمسوا جوانبه السحرية الخفية، <>فكل ما أنتجه الإنسان البدائي من رسومات أو صناعات فخارية و نسيجية أو غيرها من الصناعات المرتبطة بحياته اليومية، كان لها مظهر سحري و أهداف معينة، لذا فإن النظر إلى هذه الفنون على أنها محض نتاج فني أو جمالي شغل به الإنسان القديم نفسه في أوقات فراغه، نظرة تجانب الصواب و تبتعد عن الحقيقة<>¹ ، فشاعرنا المعاصر وظف الأسطورة و رموزها لما تحمله من معاني معبرة يستلهم منها أفكاره فيختار ما يتناسب و روح عصره و همومه فالبعض يرى أن الأسطورة وليدة الشعر بمعنى الأسبقية للأسطورة عن الشعر <>الشعر هو السبيل المباشر للأسطورة و ابنها الشعري<>²، فالأسطورة احتلت مكانة راقية و سامية لما تحمله في طياتها من استمرارية لحياتها <>فالأسطورة مثلا لا تروي أحداثا جرت في الماضي و انتهت و إنما تروي كذلك أحداثا لا تتحول إلى ماضي أبدا<>¹. بالتالي فإن الأسطورة ذات أهمية بالغة و تلعب دورا فعالا في حياة الإنسان المعاصر مثلها مثل باقي العلوم الأخرى من فلسفة، رياضيات، جغرافيا...

– وظائف الأسطورة:

¹ – كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، ص: 33.
² – فراس السواح: الأسطورة و المعنى (دراسة في الميثولوجيا، و الديانات المشرقية) منشورات دار علاء الدين، دمشق، ص 22.
¹ – المرجع السابق ، ص: 37.

1: الوظيفة المعرفية (الشرح و التفسير والإخبار و التأمل و التأويل):

رأى الشاعر المعاصر أن توظيف الأسطورة في شعره لا يكون غاية جمالية و إبداعية فقط، و إنما حاول استعمالها بطريقة ذكية ليستفيد منها القارئ و يأخذ العبرة و ينتفع بها، من خلال شرحها و تفسيرها و تأويلها و جذب انتباهه للتأمل فيها للوصول إلى مكنوناتها و تبسيط الظواهر للوصول إلى حقيقة الحاضر من خلال تجارب الأولين.

>>هكذا نرى أن الأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته طابعا فكريا، و أن يخلع على حقائق الحياة العادية معنى فلسفيا... و بدون هذه الصورة الأسطورية تكون التجربة مشوشة، كما تقتصر على كونها مجرد ظاهرة.¹

كما عمد الشاعر منذ القديم أن يستعمل لغة راقية ذات دلالات و معاني عميقة و مؤثرة في نفس القارئ، و هذا ما نجده في لغة الأسطورة، فهي لا تعطي المعنى المباشر و الواضح و المعروف لدى عامة الناس، بل لا بد من التفكير و التدبر و التأويل لهذه اللغة لفهمها و الوصول إلى المعنى الحقيقي لها، فتعطي بهذه الطريقة للنص الأسطوري نوعا من السحر و الجمال لدى القارئ، >حو تعتمد الأسطورة في تقنياتها هذه على استخدام الظلال السحرية للكلمات. فالكلمات في أية لغة ذات وجهين، وجه دلالي يرتبط بالمعاني المباشرة للمسميات، و وجه آخر سحري مثلون بظلال متدرجة بين الخفاء و الوضوح، قادرة على الإيحاء بمعان غير مباشرة و

¹ - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص: 10، 11.

استشارة مشاعر و أهواء كثيرة¹ ، فهذه اللغة تحمل قوة إحياءات و دلالات و كمية مفرطة من المشاعر و الأحاسيس التي تلمس كذلك مشاعر و أحاسيس القارئ. >> إن قوة هؤلاء المبدعين تكمن أولاً و قبل كل شيء في اللغة التي يتحدثون بها، فهي لغة تختلف عن اللغة العادية من حيث الكثافة و الإحياء و القدرة على الترميز و الإثارة، فهي تمتلك شحنة من الإحساسات و العواطف ما يجعلها تفرع الصمت و تثبت الحياة، بل و أكثر من ذلك و تنفث في الإنسان ما يعطيه القدرة على استدعاء الأشياء و امتلاكها.² و منذ القديم عملت على تصوير التفكير الخاص للإنسان من خلال تجاربه و مواقفه في الحياة. لتعمل على تفسير و شرح الظواهر التي تستصعب عليه مواجهتها و الوصول إلى تفسير و تحليل مباشر و واضح لها، >> فهي تلك التي يحاول الإنسان البدائي عن طريقها أن يعلل ظاهرة تسترعي نظره و لكنه لا يجد لها تفسيراً مباشراً. و من ثم فهو يخلق حكاية أسطورية تشرح سر و وجود هذه الظاهرة.¹ ، و هذا الجانب من المعرفة تتناوله الأسطورة التعليمية التي عملت على إظهار و تبيان العادات و التقاليد و الميولات الدينية و الطقوسية للإنسان البدائي، >>تتكامل الأسطورة و الطقوس و تتضامنان تضامناً متيناً، فالأسطورة تحفظ الطقوس

¹ - فراس السواح: الأسطورة و المعنى (دراسة في الميثولوجيا و الديانات المشرقية) ص: 22.

² - كاملي بالحاج: اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، ص: 35، 36.

¹ - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص: 18.

باستعادتها كلاماً منطوقاً أو مكتوباً و الطقوس تخرجها واقعا حسيا مجسدا.¹ <>، كما تطرقت الأسطورة إلى تناول موضوعات الخلق و البعث و الموت كأسطورة: "خلق القمر و الشمس"، "أساطير خلق الحيوان"، "خلق الميمون فرس آدم من الطيب و كريم الحجارة"...، إن تحول الأساطير لوسيلة معرفية أمر خطير خاصة عند التصديق بهذه النصوص و الاعتقاد التام بها في كل الأمور و العودة إليها في كل مشكلة تواجهك للوصول إلى الحل الشافي و المقنع لك.

2: الوظيفة النفسية:

نرى أن الإنسان يلجأ إلى الكتابة، الرسم، الغناء... لإخراج جميع مكبوتاته الداخلية التي لا يتمكن من التعبير عنها بطريقة مباشرة و سلسلة، لذلك في أغلب الحالات يلجأ إلى الأول (الكتابة) لتجاوز أحزانه و مخاوفه و الضغوطات النفسية التي تتولد من صعوبات الحياة و مشقتها، فبالتالي فإن الأسطورة من بين الوسائل التي تساعد في الكتابة و تجسيد أفكاره و مشاعره باعتبارها مكتوبة من طرف الإنسان البدائي، >> إن الأسطورة عملية إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي، و الغرض من ذلك حماية الإنسان من دوافع الخوف و القلق الداخلي.¹ <> كما تعمل كنوع من أنواع العلاج للحالات النفسية التي نمرّ بها، فقراءة أسطورة ذات أحداث مأساوية و حزينة و مؤلمة

¹ - محمد عجبية: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية و دالاتها، دار الفارابي، بيروت، لبنان والعربية محمد

علي الحامي للنشر و التوزيع تونس، ط: 1، 1994م، ص: 67، 68.

¹ - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص: 11.

لبطلها يشعروا بشيء من السعادة و الرضا عن حياتنا لأن آلامنا و أوجاعنا لا تقارن
بآلام و أوجاع و أحزان البطل الأسطوري، أي ترضي جانباً من جوانبنا النفسية
كأسطورة "أوديب"، و عندما ولد هذا الغلام، قررت "جوكاست" أن تعاند القدر الذي
تحدثت عنه النبوءة بأن يقتل وليدها المذكور، فسلمت "أوديب" لأحد الرعاة، و أمرته أن
يقيد رجليه و يرميه في الغابة و يتركه هناك حتى يموت"¹

"استدارت نيناج عندئذ نحو "الأومول" و تأملته

اقتربت منه و نادته

و لكنه لم يستطع الإجابة

قدمت له خبزا

و لكنه لم يستطع تناوله:

لم يكن قادرا على ...

إذا كان واقفا، لم يكن قادرا على الجلوس أو الاستلقاء،

و كان غير قادر أن يعدّ لنفسه مأوى أو غذاء!"¹

¹ - إيريك فروم: اللغة المنسية، تر: حسين قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1955، ص: 179.

¹ - قاسم الشواف (نقله إلى العربية و علّق عليه)، أدونيس (قدم له و أشرف عليه)، ديوان الأساطير سومر، وآكاد
وآشور: الكتاب الأول، دار الساقى، 1996، ص: 70.

كما أن بعض النصوص الأسطورية استعملت كعلاج للأمراض و ذلك لاعتقادهم أنها تحمل قوى سحرية قادرة على شفاءهم و جلب السعادة و الحظ لهم، و يحصل الشفاء عند إيمانهم الكامل و تصديقهم بهذه الطقوس و العادات و التعاويذ و التماائم >> يحدث أحيانا أنه يستفاد من التلاوة الرسمية للأسطورة الكوسموفونية في شفاء أمراض معينة أو للتخلص من عيوب معينة... يكررونها في أثناء أداء طقس إخصاب رحم عقيم و في أثناء أداء طقس شفاء الجسد و الروح.<<¹ و يرى "فرويد" أن الأسطورة تعبر عن آراء و أفكار نفسية و لهذا كانت علاجا للذين آمنوا بها >> يرى في الأسطورة - كما في الحلم - مجرد تعبير عن النوازع اللاعقلانية و اللامجتمعية التي تسكن البشر.<<² ، و قراءة الأسطورة أو الاستماع لها يخلق جوا من التسلية و الترفيه و الغوص داخل تفاصيلها يأخذك إلى عالم آخر مفارق للواقع و الحقيقة، نستلهم منه الدروس و العبر من محبة للخير، و العدل، و الوفاء بالعهد، و نبذ الكسل و الخمول، و السعي إلى طلب الرزق بالجد و الاجتهاد....، من جهة ثانية تغرس فيك الكره، الظلم، الإساءة، العداوة و البغضاء....، أي أن الأسطورة تقوم بدور تنقيفي تعليمي للمتلقي >> إن متلقي الأسطورة لا يشعر بأنه قد أضاف إلى معارفه شيئا جديدا، و إنما قد غدا أكثر توافقا و انسجاما مع نفسه و مع العالم.<<¹ رغم أن الأساطير

¹ - مرسيا إلباد: مظاهر الأسطورة، ص33.

² - إريك فروم: اللغة المنسية، ص177.

¹ - فراس السواح: الأسطورة و المعنى، ص22.

القديمة تتنافى و تعاليم الدين الإسلامي إلا أنها تلعب دورا فعالا في تغيير الحالة النفسية للإنسان.

3: الوظيفة السياسية:

باعتبار نصوص الأسطورة القديمة تجارب مواقف من حياة الإنسان البدائي فهي بالتالي تحمل في طياتها صراعاته و نزاعاته السياسية خاصة صراعات الآلهة، المخلوقات الغريبة... فيما بينهم لفرض نفوذ أحدهم على الآخر، و هذا يترتب عنه رغبة في خلق عالم يسوده النظام و ذلك من خلال الاستفادة من تجارب الأولين >> إن كلاً من الأسطورة و الفلسفة و العلم يستجيب على طريقة المطلب "النظام" أي مطلب الإنسان أن يعيش ضمن عالم مفهوم و مرتب، و أن يتغلب على حالة الفوضى الخارجية التي تتبدى للوعي في مواجهته الأولى مع الطبيعة.¹ أما اليوم فتستعمل لتغيير آراء و أفكار الشعب، و ذلك عن طريق تشكيلها و بلورتها بشكل يتمشى مع مصالحهم و أهدافهم سواء كانت بطريقة مكتوبة أو مسموعة أو حتى مرئية، و هذا التغيير يؤدي إلى تغيير نظرتهم إلى نظام السلطة و قراراتها و قوانينها فتنشأ داخلهم رغبة لتغيير أوضاعهم و أحوالهم، في ظل تأثير الأفكار الأسطورية الجديدة على أدمغتهم، و هذا التأثير يؤدي إلى خلق أنصاف الآلهة التي تسكن الأرض و تساعد

¹ - فراس السواح: الأسطورة و المعنى، ص21.

الناس، و هذا ما نراه خاصة في البلدان غير المسلمة كالهند خاصة، فيعظمونهم و يصلون إلى درجة عبادتهم.

الفصل الثاني (التطبيق) : تجليات توظيف الأسطورة و الرمز في ديوان سميح القاسم.

- تمهيد.

1. الأسطورة:

- الأساطير اليونانية.

- الأساطير الفرعونية.

- الأساطير البابلية.

2. الرموز:

- الرموز الدينية.

تمهيد:

لطالما كانت الأسطورة مادة خصبة، يستغلها الشعراء عبر العصور و ينهلون منها و يوظفونها في أشعارهم حتى تزداد رمزية و جمالا. لكن توظيف الأسطورة في الشعر المعاصر عرف ازديادا كبيرا، فمن الشعراء من يستعمل الرموز لإيصال رسالة مشفرة إلى القارئ بسبب الخوف من السلطة، و منهم من يستعملها ليعبر عن وطنه، و منهم من يصور بها واقع الشعوب و حالتها المزرية...، و هكذا يختلف توظيف الأسطورة من شاعر إلى آخر كلّ حسب خياله و ما جادت به قريحته.

>> و قد حاول معظم المهتمين بالأدب الحديث تلمّس الأسباب التي دفعت شعراء الحداثة إلى إقامة هذا الترابط العضوي و الأساسي بين الشعر و الأسطورة، فلاحظوا أنها تعود لتأثير الأدب الغربي من جهة، و لأسباب تتعلق بطبيعة الأسطورة من جهة ثانية. فلأسطورة جاذبية خاصة لأنها تصل بين الإنسان و الطبيعة و حركة الفصول و تناول الخصب و الجذب، و هي بذلك تكفل نوعا من الشعور بالاستمرار، كما يتعين على تصوير واضح لحركة التطور في الحياة الإنسانية.¹<

¹ - محمد العيد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر "بيانها و مظاهرها"، الشركة العالمية للكتاب، ط1، بيروت، لبنان، ص: 158.

>> كما أن استخدام الأسطورة في الشعر الحديث هو استخدام للرمز، فهو يخضع لمقاييس محددة شأنه في هذا شأن سائر الوسائل الفنية الأخرى التي استخدمتها القصيدة مثل الصور أو الرموز غير الأسطورية أو التضمينات بأسلوبها الحديث.¹<<

و هذا الكلام يعني أن استخدام الأسطورة و الرمز في الشعر الحديث متلازمان، فهما تقريبا يحملان نفس الدلالة الرمزية التي تزيد في معاني القصيدة و جماليتها و تساهم في إثرائها. و هذا ما سنتعرف عليه من خلال دراستنا لمجموعة قصائد ديوان "سميح القاسم".

¹ - جمال حسني يوسف: صورة النار في الشعر المعاصر، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع، ص: 68.

1. الأسطورة:

_ الأساطير اليونانية:

1/ أسطورة أوديب:

"أوديب" هو ابن ملك مدينة طيبة الملك "لايوس"، الذي رماه والده بعد أن أخبره العراف أن موته سيكون على يد ابنه، و عندما حملت زوجته "جوكست" و وضعت مولودها قرر الملك "لايوس" أن يدق مسامير في قدميه و يأمر برميهِ من أعلى الجبل، لكن الأقدار كانت مع "أوديب" و عثر عليه بعض الرعاة و أخذوه إلى ملك "كورنثيا" فعاش في القصر حتى كبر فقرر أن يبحث عن وطنه، لكن العراف حذره من النبوءة و بأنه سيقتل أباه و يتزوج أمه، لكنه لم يستمع له و في الطريق إلى مدينة "طيبة" التقى برجل تشاجر معه و قتله، و كان هذا الرجل أباه، و بعد وصوله إلى طيبة هزم حارس البوابة، فنصبه أهل طيبة ملكاً عليهم و تزوج بالملكة "جوكست" التي هي أمه فتحققت النبوءة، و أنجب منها أربعة أطفال. فجاء العراف و أخبره بتحقيق النبوءة، فلما عرفت "جوكست" ذلك شنقت نفسها، أما "أوديب" فقد فقأ عينيه و غادر طيبة ليعيش طول حياته في البؤس مع ابنته "أنتيغونا"¹ التي وظّفها "سميح القاسم" في قصيدة أسماها باسمها:

خطوة...

¹ - موسوعة الأساطير الإغريقية و الفرعونية، منتديات ملتقى العرب، ص29.

ثنتان...

ثلاث...

زندي في زندك

نجتاز الدرب الملتاث

يا أبتاه مازالت في وجهك عينان

في أرضك مازالت قدمان

فاضرب عبر الليل بأشأم كارثة في تاريخ الإنسان

عبر الليل .. لنخلق فجر حياة

يا أبتاه

إن تسمل عينيك زبانية الأحزان

فأنا ملء يديك

مسرجة تشرب من زيت الإيمان

و غدا يا أبتاه أعيد إليك

قسما يا أبتاه أعيد إليك

ما سلبتك خطايا القرصان

قسما يا أبتاه

باسم الله .. و باسم الإنسان

خطوة...

ثنتان...

ثلاث...

أقدم...أقدم!¹ .

وتظهر "أسطورة أديب" أولا من خلال تسمية الشاعر للقسيمة باسم "ابنة أديب"

"أنتيجونا" التي كان لها دور فعال في حياة والدها، و قد جسد ذلك "سميح القاسم"

بتقمصه لشخصيتها التي هي رمز الوفاء للأب، و التضحية في سبيله، و هذا تماما ما

يفعله أبناء فلسطين في سبيل وطنهم، فهم معه خطوة بخطوة بآلامهم و أحلامهم

يدافعون عنه بالنفس و النفيس، آملين أنه سيتحرر يوما ما، و تنتهي أوجاعهم و

يخرجوا من الظلمات إلى النور.

2/ أسطورة سيزيف:

¹ - سميح القاسم: ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، 1987، ص66، 67، 68.

"سيزيف" هو محارب بارع، ابن "أبولوس" إله الريح، و قد كان يتّصف بالمكر و الدهاء، ففعل من الأفعال ما يغضب الآلهة، فأجبره "زيوس" على أن يدحرج صخرة عملاقة إلى قمة الجبل و لكنه ما إن يصل إلى القمة حتى تنزلق منه الصخرة و تعود إلى أسفل الجبل، و يظل يدحرجها و تسقط منه، و بهذا يظل "سيزيف" في العذاب الأبدي.¹

ظهرت أسطورة "سيزيف" في ديوان "سميح القاسم" بشكل غير مباشر في قصيدة "من أجل" في قوله:

من أجل صباح!.

نشقى أياما و ليالي.

نحمل أحزان الأجيال.

...

نحمل صخرتنا في أشواك خريف.

...

¹ - موسوعة الأساطير الإغريقية و الفرعونية، منتديات ملتقى العرب، ص: 03، 04.

خطوات ليس لها رجوع!!¹

تظهر الأسطورة في القصيدة من خلال الفعل "نشقى" و العبارة "نحمل صخرتنا"، فلطالما ارتبط اسم "سيزيف" بالصخرة و الشقاء الأبدى، و استطاع أن يكون بهذا رمزا للكفاح و المقاومة رغم معرفته بأن محاولاته كلها ستكلل بالفشل. "ففي داخل كل منا "سيزيف" يحركه: "إننا جميعا نعيش في هذه الحياة و نحارب فيها، و نحن نعلم أن كل هذا زائل و انه بلا جدوى إننا جميعا سيزيف!!"²

فكلنا نخوض معارك في الحياة، و أول معركة لنا هي معركتنا ضد أنفسنا بكل ما نحمله من آلام و آمال، و رغم ذلك لازلنا نقاوم و ندحرج صخرتنا عبر الأيام.

3/ أسطورة أورفيوس:

"أورفيوس" هو شاعر و موسيقي عظيم عندما يعزف تتحرك كل الكائنات من بشر و حيوانات و صخور و نبات³، و قد تغنى الشاعر بهذه الأسطورة في قصيدته "يوميات جوني غيثار" حيث يقول:

في البركة الدكناء

حيث التماسيح، و أفعى الماء

¹ - الديوان، ص: 114، 115.

² - موسوعة الأساطير الإغريقية و الفرعونية، منتديات ملتقى العرب، ص05.

³ - آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، تر: "سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق، سوريا، 2010 م، ص: 146.

يبدأ يا حبيبتي

دربي إلى خطيئتي،

فهنيئي لي الزاد و الثياب و الغيثار،

و دفتر الأشعار...¹

و هكذا إلى آخر القصيدة، "جونى" هو شاب لم يخلق للحرب بل للحب و الغيثار،
جندّه الرئيس الأمريكى "جونسون" و ساقه إلى "الفيتنام" و أبعدّه عن حبيبته. و قد جسد
"سميح القاسم" من خلال هذه القصيدة معاناة الشعب الفلسطينى الذى لم يخلق للحرب،
لكن الاحتلال الصهيونى ساقه إلى العذاب عن طريق التجنيد الإجبارى، و أبعدّه عن
محبوبته "فلسطين"، لكنه رغم هذه الآلام التى يقاسيها إلا أنّه لم يتخل عن محبوبته و
مازال يتذكرها و يحلم بأن يعود إليها يوماً ما.

كما نلمس حضور أسطورة "أورفيوس" فى قصيدة أخرى هي قصيدة "ثورة مغنى الرابطة"
حيث يقول:

غنيت مرتجلاً، و كان الشرق يحذر الارتجال

كانت أصابعه تجس، و ذهنه يلد المحال

و أنا أغنى...

¹ - الديوان، ص: 242.

و هو يبحث في كهوف الكيمياء

و أنا أغني...

و هو يرصد بانفعال و اشتها

نجما يحوم على المساء.

...

يا أمتي.

و سلبت - يوما ما - جوادك و الحسام،

و طرحت - يا ذلي - و طرحت

و غاب وجهك في الرغام...

و غدوت - يا ذلي - حطام.

في رسغك الأغلال ناهشة، و في فمك اللجام...¹

و هكذا إلى نهاية القصيدة، نرى الشاعر يصف لنا ما فعله الشرق و لا يزال يفعله في

أمته و أرضه، و كيف أصبحت مطروحة في الأرض بعدما كانت معززة. لكن الشاعر

أو الفرد الفلسطيني بصفة عامة يتحلى بالشجاعة و العزيمة القوية و هذا ما دفعه إلى

¹ - الديوان، ص: 213، 215.

تحدي العدو، و يظهر ذلك في قوله (غنيت مرتجلا، و كان الشرق يحذر الارتجال)
و هذا البيت يظهر جليا التحدي و الشجاعة و قوة العزيمة للتصدي للعدو و الدفاع
عن الهوية.

4/ أسطورة يوليس أو أوديسيوس:

"يوليس" هو مثال الملك العادل الذي دامت رحلته عشرين عاما حتى يعود إلى
وطنه، واجه خلالها العديد من المخاطر منها: cyclope العملاق في الكهف،
circé في الجزيرة، و التقى بالأمازونيات في إحدى الجزر و تغلب السيكلوب
عليهن، و طوال مدة غيابه pénélope الساحر قيسيري تنتظر عودته بكل يقين،
كانت زوجته بينيلوب تقاوم عدد الخاطبين الذين يسعون إلى الزواج منها طمعا في
ملك زوجها، إلى أن عاد "يوليس" منتصرا، و استعاد عرشه و انتقم من الطامعين.¹
نلاحظ حضور هذه الأسطورة في قصيدة "خطاب في سوق البطالة"، من بداية القصيدة
إلى غاية قوله:

يتحدى الريح... و اللجّ... و يجتاز المخاطر...

إنها عودة يوليسيز

من بحر الضياع...

¹ - سامية عليوي: ملامح أسطورية في شعر سميح القاسم، حوليات جامعة قلمة للغات و الآداب، ع:15،
جوان 2016، ص:276.

عودة الشمس، و إنساني المهاجر

و لعينيها، و عينيه... يمينا لن أساوم

و إلى آخر نبض في عروقي...

سأقاوم...

سأقاوم...

سأقاوم!!...¹

يشارك الشاعر و الأسطورة "يوليس" في نقطة تقاطع هي المقاومة، "يوليس" قطع
البحار من أجل درأ العدوان عن مملكته، و قاوم جميع الأهوال التي واجهته في طريق
العودة، حتى كَلَّ تعبُه هذا بالانتصار في آخر القصة عندما استعاد عرشه و تغلب
على الطامعين في مملكته.

أما الشاعر فلم تكن رحلته من أجل التغلب على العدو لكنها كانت نتيجة مقاومته
للعدو، فقد عانى "سميح القاسم" في حياته من النفي و الاضطهاد الذين لقياه جرّاء
صوت الحق الذي أبى أن يكتمه.² و القصيدة بصفة عامة لو أسقطناها على الحالة
المأساوية التي تعيشها فلسطين، لوضعنا الشعب الفلسطيني مكان "يوليس" البطل الذي

¹ - الديوان، ص: 449، 450.

² - سامية عليوي: ملامح أسطورية في شعر سميح القاسم، ص: 298.

قاوم من أجل مملكته و التي تمثل فلسطين للفلسطينيين، فهم يناضلون و يضحون
بالنفس و النفيس آملين أن يستعيدوا مملكتهم و تتجسد على أرضهم أسطورة "يوليس"
بحذافيرها.

كما تظهر الأسطورة في قصيدة أخرى و هي "البحث عن الجنة" في قوله:
عبثا تحاول أن تنام!!...!

فاحمل عظامك و امض في الدرب الطويل

تحفك الأخطار، جدّ رحلة الأحزان في أرض الضياع القاحل المشئوم،

في بحر الأسى الطامي الذي لا يرحم السفن البريئة تقطع الأبعاد... بالقرصان و
الملاح

و الأطفال و الشيخ العجوز و عادة عذراء

حاملة بفارسها الجميل... و زوجة فضلى

و زانية و قدّيس و إنسان يغامر.¹

تظهر الأسطورة من خلال استعمال الشاعر للعبارات (رحلة الأحزان)، (بحر الأسى

الطامي)، (أرض الضياع)، (زوجة فضلى)، فالشاعر حتى لو لم يذكر الأسطورة

¹ - سامية عليوي: ملامح أسطورية في شعر سميح القاسم ، ص: 306، 307.

بوصف صريح إلا أنه أشار إليها. و كما كانت "بينيلوب" زوجة "يوليس" موقنة بعودة زوجها و لم تمل من انتظاره حتى عاد، كذلك فلسطين لازالت تنتظر فارسها الذي يخلصها من هذا العذاب.

5/أسطورة أثينا:

أثينا هي ابنة "زيوس" و "ميتس"، و معناها الحكمة أو المستشار و هي إلهة حرب و لكنها تكره العنف اللامعقول، كانت حامية للحرفيين خاصة الحدادين و النساجين و الحائكين، و قد اعتمدت على شجاعة الحكمة حينما ناقشت إله البحر "بوسيدون" حول من الذي يحكم أثينا و انتصرت بحكمتها، كما أنها هي من ساعدت "أوديسيوس" في رحلة العودة من حرب طروادة.¹

ظهرت أسطورتها في قصيدة "اسكندرون في رحلة الداخل و الخارج" في قول الشاعر:

لم تعرفيني يا أثينا!

لم تعرفيني فالوداع إلى غد

يا أنتجونا!!

سقراط في هذا العصر، يرفض كأسه

و يموت بسم آخر

¹ - آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ص: 140.

في ساحة الإضراب،

في المنفى،

أو السجن الذي سيصير يوما مدرسة!!¹

في هذه الأبيات يقوم الشاعر بتوديع الأبطال الأسطوريين، و يخبرهم أن سقراط هذا العصر (الفرد الفلسطيني) يرفض أن يشرب كأس سقراط المسمومة التي مات بها، و إنما يفضل أن يموت في ساحة الإضراب، أو المنفى، أو السجن، أي أنه لا يريد أن يستسلم و يطمح أن يموت و هو يناضل على الأقل يكون قد فعل شيئا اتجاه وطنه.

_ الأساطير الفرعونية:

1/ أسطورة عروس النيل:

تقول الأسطورة أن المصريين القدامى رمزوا للنيل بإله سموه "الإله حابي"، و بما أن مزاجه كان متقلبا، مرة يرضى فيكون فيضانه بمنسوب مناسب، و مرة يغضب فيرسل فيضانا عاليا يهدد بإغراق الأراضي، أو فيضانا منخفضا فيهدد الناس بالمجاعة لذلك كان لابد من تقديم القرابين و الهدايا له، فكان المصريون كل عام يزيتون له فتاة و يرمونها في النيل ليرضوه.²

¹ - الديوان، ص: 720.

² - موسوعة ويكيبيديا www.wikipedia.org

و قد جاءت الأسطورة صريحة في قصيدة " عروس النيل"، حيث يقول الشاعر:

لمن تزيّونها... حبيبتى العذراء!

لمن تبرّجونها؟

أحلى صبايا قرّيتى... حبيبتى العذراء!

حسناؤنا... لمن تزف؟

يا ويلكم، حبيبتى... لمن تزف

للطمي، للطحلب، للأسماك، للصدف؟

نقتلها، نحرّمها، و بعد عام

تتزل فينا من جديد نكبة الطوفان

و يومها لن يشفع القرّبان

يا ويلكم، أحلى صبايا قرّيتى قرّبان

و نحن نستطيع أن نبتتي السدود

من قبل أن يدهمنا الطوفان.¹

¹ - الديوان، ص: 120، 121.

يتخيل الشاعر أن حبيبته هي من ستزفّ و تزيّن حتى تقدم قربانا للنهر، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على جهل المصريين القدامى و تقديسهم لمعتقداتهم و انسياقهم لخطى الطبيعة و تركها تسيطر عليهم. و أما "عروس النيل" فهي "فلسطين" و أما عن النيل فهو المحتل الذي يأخذ كل أرض غصبا، و يسلب كل شعب حريته و طمأنينته.

2/ أسطورة أوزوريس:

تقول الأسطورة أن "أوزوريس" كان ملكا عادلا يحكم مصر، و كان له أخ اسمه "ست" يحسده و يغار منه فدبر له مكيده للتخلص منه، فأقام وليمة و دعا المدعوين إلى الاستلقاء في الصناديق التي كان قد أعدها، فمن يجد الصندوق مناسبا له يأخذه، و لما استلقى "أوزوريس" داخل الصندوق أغلق "ست" و أعوانه الصندوق و رموه في النيل، لكن زوجته "إيزيس" استعادتته مرة أخرى و قامت بإعادة تركيبه بواسطة السحر و أنجبت منه ابنها "حورس" فلما كبر و اشتد عوده ذهب و قاتل "ست" انتقاما منه لأبيه الذي لزم عليه أن يعيش في مملكة الموتى بسببه، حتى هزمه في النهاية.¹

وظّف الشاعر أسطورة "أوزوريس" في قصيدتين، الأولى في قصيدة "حوارية العار" حيث يقول على لسان "أوزوريس":

عبر القرون الدامسات، و عبر طوفان الدماء

¹ - موسوعة الأساطير الإغريقية و الفرعونية، منتديات ملتقى العرب، ص: 19، 20.

عبر المذلة، و الخيانة، و الشقاء

عبر الكوارث و المخاطر

عبر المسافات السحيقة، عبر آلاف المجاور

عبر انكسار الرافدين

و عبر أحزان الجزائر

عدنا...

و ملئ قلوبنا، وهج النبوة و الفداء

عدنا... و ملئ شفاهنا،

تسيحة الأفق المكبل للضياء

عدنا...

فإما للزوايا الدكن... يا شعبي!

و إما للواء!!¹

استعان الشاعر بالأسطورة "أوزوريس" و وظف ما حدث له و طبّقه على حال فلسطين

اليوم، فكما تعرض "أوزوريس" للخيانة من طرف شقيقه، كذلك لحقت الخيانة بفلسطين

¹ - الديوان، ص: 550، 551.

من بلدان العرب، يرونها تتخبط في المذلة و الشقاء و لا يتحرك لهم ساكن، لكن رغم هذا مازالت فلسطين صامدة تتخبط وحدها فإما أن تسقط بشرف و إما أن تفوز بالحرية.

و نجد الأسطورة للمرة الثانية في قصيدة "أوزوريس الجديد" حيث يقول الشاعر أيضا على لسان "أوزوريس":

أنا و السيول المستميتة

يا زوجتي إيزيس... آلهة مريدة

لن تنتهي في مسلخ القرصان أشلاء شتيتة!

ما كان منا أمس يا إيزيس... أحلام شهيدة

في الأرض تبعثها غدا...

دنيا منورة... جديدة!!¹

لا يزال الشاعر يطرح فكرة البعث من جديد إلى الحياة، ف"أوزوريس الجديد" هو عكس

"أوزوريس القديم"، فهو يرفض أن تكون نهايته أشلاء و تمحى آثاره ببساطة، و

"أوزوريس الجديد" ما هو إلا محاولة الشاعر تجسيد أحلامه و بعثها على أرض الواقع.

¹ - الديوان، ص: 574.

و قد ذكر أوزوريس للمرة الثالثة في قصيدة "على قلعة الإمبراطور" و هذا ما يبين تأثر الشاعر بهذه الأسطورة و الأثر الذي تركته في نفسه.

ـ الأساطير البابلية:

1/ الإله تموز:

يقال أنه شقّ الإلهة "عشتار" الذكوري، >>عندما جسّد الإنسان القوى المهيمنة في إلهية تصوّرها قياساً على البشر في جنسين ذكر و مؤنث... وجسّدوا قوى الخصب الإلهية المتمثلة في الإلهة الأم "عشتار" و إله الخصب تموز<<¹. وكان الإله "تموز" يموت بانقضاء فصل الربيع و يعود من جديد إلى الحياة العام المقبل بحلول فصل الربيع مرة أخرى².

نجد أسطورة الإله "تموز" في قصيدة "حوارية العار" في قول الشاعر:

مولاي! يا الاسكندر العصري

يا باري الغيوم الواعدة!

أمطر على الأتباع يا قوتا...

لو نيرانا، على زمر الفلول الجاحدة!

¹ - فاضل عبد الواحد علي: عشتار و مأساة تموز، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ط: 1، 1999م ،

ص: 16.

² - نفسه، ص: 125.

هذا الزمان كما تشاء

و رهن شهوتك الفلك

و الخصب في كفيك

يا تموزنا!... و المجد لك...¹

يبدو الشاعر مؤمنا كثيرا بفكرة موت حياة من أجل انبعاث حياة أخرى، فكما يموت "تموز" و يفنى من أجل أن ينبعث نباتا في العام القادم، على الفلسطينيين أن يضحوا من أجل أن تحيي فلسطين و تفوز.

2/ أسطورة طائر العنقاء:

هو طائر ناري أسطوري يحترق كل خمسمائة عام فيموت ثم يبعث حيا من رماده، يمثل "طائر العنقاء" الخلود و الحياة الأبدية بالإضافة إلى السلام و المحبة.² وظّفه الشاعر في قصيدتين، الأولى "طائر الرعد"، حيث يقول:

هذا زمان الشدّ يا زيم

هذا زمان الشدّ و الإرخاء

هذا زمان الشدّ و التأميم

¹ - الديوان، ص: 549، 550.

² - منتدى ميثلون www.meithalun.yoo7.com

و التصنيع و الرخاء

و الموت بالألوف في سيناء

هذا زمان الصبر في الألم

لا بأس يا زيم

لا بأس... إني أنشق الرياح

و طائر الرعد على القمم!¹

و يقول أيضا في قصيدة "في انتظار طائر الرعد":

و يكون أن يأتي

يأتي مع الشمس

وجه تشوّه في غبار مناهج الدرس

و يكون أن يأتي

بعد انتحار القحط في صوتي

شيء روائحه بلا حدّ

¹ - الديوان، ص: 372.

شيء يسمى في الأغاني:

طائر الرعد!

لا بد أن يأتي

فلقد بلغناها،

بلغنا قمة الموت!!¹

يرى الشاعر في هذا الطائر الأسطوري الخلاص للشعب الفلسطيني، فالعنقاء رمز
لولادة جديدة، و حياة جديدة يتمنى "سميح القاسم" أن يحيها شعبه، حياة هادئة مليئة
بالطمأنينة، فمتلما يبعث طائر الرعد من الرماد من جديد، ليس صعبا على
الفلسطينيين تحقيق حريتهم و الخروج من رماد الانقراض.

من خلال دراستنا للأساطير الثلاثة الأخيرة (أوزوريس، تموز، العنقاء)، نلاحظ أن
الشاعر متأثر كثيرا بفكرة البعث من جديد بعد الموت، و هذا دليل على تشبته بهذه
الحياة و أمله و إيمانه القوي بأنه بعد كل هذا العناء و الشقاء سيأتي يوم و تبصر فيه
فلسطين النور و تسطع في سمائها شمس الحرية.

¹ - الديوان، ص: 438، 439.

2. الرموز:

بالإضافة إلى الأسطورة، نجد أن الشاعر "سميح القاسم" وظّف الرموز الأسطورية بنوعيتها الديني و التاريخي، من أماكن و شخصيات في قصائده حتى تخدم موضوعها. و هذا ما زاد كتاباته غموضا و تشويقا، تستدعي لفهمها إلماما بالتاريخ و الحوادث الدينية و الثقافة العامة حتى يتضح الفهم و تتشكل صورة المعنى. و من هذه الرموز نذكر:

1_ الرموز الدينية:

أ - الشخصيات:

• "قابيل و هابيل": و ذلك في قصيدة "الخطيئة و الوثن" حيث يقول:

دوري مع الإعصار! يا قطعان! ضيّعك الرعاة!

و ابكي ربيعا مات... مات!

من يوم شاء الله أن تهوي يدا قايين،

قاتلتين، غائصتين في الدم، في الحياة

و يروح يصرخ من وراء السدل

في عسف الطغاة... الأغبياء من الطغاة

قايين! يا قايين! أين مضت بهابيل خطاه؟!

اذهب يراففك الشقاء... جزاء فعلتك الحرام!¹

يمثل "قاييل و هابيل" أول صراع بين الخير و الشر فوق الأرض، ف "هابيل" هنا هو

الشعب الفلسطيني الذي يمثل الخير، أو الجهة المستضعفة التي تعاني في صمت

ولايات "قاييل" الاحتلال الذي طغى و استعمر أرضا ليست له و لا يملك من الحق

شيئا فيها، فالشاعر يتوعده بالشقاء جزاء ما فعل. يقول الله تعالى: >> فطوّعت له

نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين<<². و بهذا سيظل المستعمر الإسرائيلي

يسبح في الشقاء مادام مصرّا على الخطيئة.

• "يوسف عليه السلام": نجده في قصيدة "طفل يعقوب":

من هذا الصخر... من الصلصال

من هذي الأرض المنكوبة

يا طفلا يقتل يعقوبه

نعجن خبزاً للأطفال!

من ترمي في ليل الحبّ!

¹ - الديوان، ص: 312.

² - سورة المائدة، الآية 30.

انظر... و احذر

من حفرة غدر تحفرها في دربي

يا خائن عهد الرب!!¹

و يقول أيضا:

يا رائحين إلى عدن

معكم حبيبي راح

ليعيد لي وجه الوطن

ونهاية الأشباح...

يا رائحين، و خلفكم

عينا فتى سهران

مازال يرصد طيفكم

قمرا على أسوان...

قلبي تفتت، و التقى

¹ - الديوان: 131، 132.

في روضكم... وردة

عودوا بها... و الملتقى

في ساحة العودة!

يجيئون ليلا، يجيئون

فاستيقظوا استيقظوا.¹

ضمّن الشاعر في قصيدته "قصة النبي يوسف عليه السلام"، الذي كاد له إخوته كيذا

و تخلصوا منه، و تركوا أباهم حزينا مهموما عليه. فكما غدر إخوة يوسف به، كذلك

غدر العرب بفلسطين و تركوها في قلب العاصفة تقاوم ريح المغتصب. و تركوا

اللاجئين غارقين في الحزن.

• "أيوب عليه السلام": يقول الشاعر في قصيدة "من مفكرة أيوب":

عندي اللعنات... اليتيم... الأحزان

عندي الجوع... الدين... الغربة

من كل الألوان

عندي - بالجملة - للتصدير...!!

¹ - الديوان: ص 353.

عندي من خير الله كثير.¹

و يقول في قصيدة "معتاد":

كل الأخبار تقول:

أنا ما خاصمت الله

فلماذا أدبني بالوجع؟

حسنا فاسمعي أنفخ في الصور

يا لعنة أيّوب... ارتفعي

يا لعنة أيّوب... ثوري

و اسمعي أصرخ: يا أيّوب...

لا تخضع للوجع...

لا تجع.²

و أيضا في قصيدة "مرثية بدر شاكر السيّاب":

يا بعض الإخوة... يا بدر!

¹ - الديوان، ص: 173.

² - نفسه، ص: 186، 187.

أغلق في وجهي بابك

و اهجر أحبابك

لا لوم على أيوب العصر!

يا بدر!¹

النبيّ "أيوب" عليه السلام رمز "الصبر" الصبر على الألم، الصبر على المرض، على

الفقد، على الوجع، و مع كل هذا فقد رأى النور في آخر المطاف و جازه الله على

حسن و قوة صبره. حيث يقول تعالى: >> فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ و آتيناه

أهله و مثلهم معهم رحمة من عندنا و ذكرى للعابدين<<.²

و "أيوب" هذا العصر هو الفرد الفلسطيني الذي أصابه الوهن، و يظلّ ينتظر أن يحلّ

عليه شفاء من الله جزاء بما صبر.

• "عيسى عليه السلام": يقول الشاعر في قصيدته "رسالة إلى الله":

أرضنا عسل

يـحكى - بها الأنهار يـحكى - من حليب

أنجبت يـحكى - كبار الأنبياء

¹ - الديوان، ص: 543.

² - سورة الأنبياء: الآية 84.

لو عشقناها

و لكن انتهينا في هوانا أشقياء

و حملنا كل آلام الصليب

يا أبانا، كيف ترضى لبنيك البسطاء

-دون ذنب- كل آلام الصليب!!¹

كما نجده أيضا في قصيدة "في صف الأعداء" يقول:

حسنا... حسنا... حدث عن كوبا

هل تعرف شيئا عن شعب

ما عاد مسيحا مصلوبا.²

يتحدث الشاعر في القصيدة الأولى عن فلسطين، و قدوسية هذه الأرض التي أنجبت

كبار الأنبياء، لكن انتهى بها المطاف إلى أن تدنس من طرف المغتصبين الذين عاثوا

في الأرض فسادا. و هو يناشد و يستغيث أو بالأصح يعاتب "المسيح" على هذا

الشقاء الذي هم فيه.

¹ - الديوان، ص: 64، 65.

² - نفسه، ص: 111.

أما بالنسبة للقصيدة الثانية، فالشاعر وظف "كوبا" كمثال، و كأنه يقول أن هذا الاحتلال مهما طال، فستنتصر "فلسطين" على مغتصبها، مثلما تغلبت "كوبا" على دكتاتورها "فلجنسيو باتيستا".

• "يوشع بن نون": يقول الشاعر في قصيدة "يهوشع مات":

يهوشع مات

فلا تستوقفوا الشمس، و لا تستمهلوا الغروب

سور أريحا شامخ في وجوهكم إلى الأبد

يا ويلكم! يا ويلكم!

سرعان ما تغوص في أعماقكم

أظافر الغروب

يهوشع راح... و لن يؤوب

يهوشع مات!!¹

"يهوشع بن نون" هو >> القائد العسكري اليهودي الذي عبر الأردن من تيه سيناء، و احتل أريحا، و أحرقها...<<¹ و كأن "سميح القاسم" هنا يخبر اليهود أن "يهوشع" مات

¹ - الديوان، ص: 101.

و لن يعود، و أن "أريحا" ستظل صامدة في وجوههم و لا يحملوا أن يمسا منها قطعة أو يحرقوها، لأن ذلك عن منالهم بعيد.

كما نجده أيضا يذكر الأنبياء "موسى" و "عيسى" و "محمد" سلام الله عليهم، و يستنجد و يستغيث بهم. و كأنه يراهم النور الوحيد في وسط هذه العتمة، حيث يقول:

لاطم الريح بالجناحين... و اصعد... يا حبيب الحرية المتمرّد!

أيها النسر الذي راعه العيش بواد كاب... ذليل... معيّد

فتلوى في بؤرة الوحل و الشوك... بشوق إلى السنّى متوقّد

و أضاعت أحلامه برؤى موسى، و عيسى، و أمنيات محمد.²

ب - الأماكن:

• "سدوم": يقول "سميح القاسم" في القصيدة "الناقصة":

و كان ذات يوم

أشأم ما يمكن أن يكون ذات يوم

شرذمة من الصّلال

¹ - الديوان، ص: 99.

² - نفسه، ص: 107.

تسرّبت تحت خباء ليل

إلى عشاش... دوحها في ملتقى الدروب

أبوابها مشرعة

لكل طارق غريب

و سورها أزهار و ظل

و في جنان طالما مر بها إله

تفجّرت على السلام زوبعة

هدّت عشاش سربنا الوديع

و هسّمت حديقة... ما جدّدت "سدوم"

و لا أعادت عار "روما" الأسود القديم.¹

"سدوم" هي قرية قوم النبي "لوط عليه السلام"، الذين جاؤوا بفاحشة لم يأتي بها أحد

قبلهم، فكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، فنهاهم النبي "لوط عليه السلام" عما

يفعلونه >> و ما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس

¹ - الديوان، ص: 54، 55.

يتظهرون>>¹، و قد ذكر الله تعالى قصة قوم لوط في القرآن الكريم في الكثير من المواضع، و ما حلّ بهم من عذاب، و من هذه السور نجد قوله تعالى في سورة الشعراء:>> "ثم دمرنا الآخرين">². وهكذا أباد الله سبحانه و تعالى مدينة "سدوم" بمجرميها. أما "سميح القاسم" فقد استغل رمزية "سدوم" حتى يوصل رسالته إلى اليهود الصهاينة، و كأنه يخبرهم أنه بطغيانهم هذا سيلاقون ما لاقاه "قوم لوط". >> فالشاعر هنا لم يسرد لنا الأسطورة بمعناها التاريخي ليخبرنا عنها، فهي ليست مقصودة لذاتها بل حملها معاناته الحاضرة لواقع أمته الفاسد.>>³

• "إرم": يقول الشاعر في قصيدة "إرم الفاضلة":

البشرية: إرما... تريد القافلة؟!

الشاعر: إرما... على أرض جديدة

إرما... سعيدة

إرما... و لكن فاضلة

البشرية: ماذا لديك؟!

الشاعر: لدي عن إرم قصيدة.

¹ - سورة الأعراف: الآية: 82.

² - سورة الشعراء: الآية: 172.

³ - يوسف حلاوي: الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، دار الآداب، ط:1، 1994، ص: 40.

البشرية: فلتسكتوا...

فلتسكتوا!

و ليلق شاعرنا نشيده.¹

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: >> ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات
العماد<<.² كان قوم نبي الله "هود" عليه السلام أشدّاء، تميزوا بصحة و قوة أجسامهم،
أنشئوا مدينة إرم و سكنوها و اغترّوا بقوتهم و ضخامتهم و لم يؤمنوا بالله، فكان الله
سريع الجواب و ما كان منه إلا أن سلط عليهم ريحا عاتية نسفتهم جزاء لغرورهم،
يقول الله تعالى: >> سخّرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيّام حسوما فترى القوم فيها
صرعى<<.³

أول ما نلاحظه من خلال عنوان القصيدة "إرم الفاضلة" يتناقض مع القصة الحقيقية
لإرم، فإنّ الحقيقية لم تكن فاضلة أبدا، إلا أن الشاعر استبدلها فهو >يحلم باستبدال
جنته الأرضية بجنة أخرى، جنة يبتئها وفقا للخارطة التي رسمها خياله، جنة تهفو
إليها النفوس، إنها "إرم جديدة"، غير أنها -خلافا- لإرم "شداد بن عاد" التي طغى
حاكمها و تجبر حتى خسف الله به و بجنته -الأرض-، إرم فاضلة، لا جحود فيها

¹ - الديوان، ص: 303، 304.

² - سورة الفجر، الآية: 06، 07.

³ - سورة الحاقة، الآية: 07.

لأنعم الله، ... يمكن لهذا الحلم أن يتحقق بالعمل و التضامن... حيث تسود العدالة الاجتماعية. إنه السعي إلى تحرير هذا الوطن المغتصب>>¹.

2_ الرموز التاريخية:

أ- الشخصيات:

• "طارق بن زياد" و "عقبة بن نافع": "طارق بن زياد" صاحب الخطبة الشهيرة <>أيها الناس، أين المفر؟>>، فاتح الأندلس و ايبيريا، و على اسمه سمي "مضيق جبل طارق"، يفتخر به الشاعر فيقول:

و هتفت:

يا أحفاد طارق.

كونوا المنائر... و اغسلوا أجفان أوروبا البهيمية.²

ينسب الشاعر العرب إلى "طارق بن زياد" و يفتخر بهذا النسب، ليشحذ الهمم و يحرك فيهم روح الثورة على المغتصب.

¹ - سامية عليوي: التناص الأسطوري في شعر "سميح القاسم"، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية،

ع 07، جوان 2010، جامعة قلمة، ص: 26، 27.

² - الديوان، ص: 213.

بالإضافة إلى "طارق بن زياد" نجد "سميح القاسم" يذكر "عقبة بن نافع" في قوله:

كرّرت أمجاد الرسول، و كل أمجاد الصحابة

كرّرت عقبة - ألف مرة!

كرّرت طارق - ألف مرة!

و وضعت من عندي الكثير،

كذبت في أسف و حسرة...¹

"عقبة بن نافع" قائد للكثير من الفتوحات الإسلامية، و هو من فتح القيروان و جعلها مقرا للمسلمين.

بهذا الشاعر يحاول تذكير المسلمين بأمجادهم، و يدعوهم إلى إعادتها اليوم و ذلك بنصرة فلسطين.

• "صقر قریش" أو "عبد الرحمن الداخل": كتب "سميح القاسم" قصيدة و سمّاها

باسمه >> يعبر -من خلال غربة الداخل عن أرضه- عن غربة الإنسان الفلسطيني و تمزقه عبر المنافي<<.²

¹ - الديوان، ص: 216.

² - علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997 ص: 131.

• "صلاح الدين الأيوبي": محرر القدس من الصليبيين، و بطل معركة حطين، و

مؤسس الدولة الأيوبية.

وظّفه "سميح القاسم" في قصيدته "الميلاد":

أبي... لا كتبنا الملقاة تحت نعال هولاكو.

و لا فردوسنا المردود فردوسا إلى أهله

و لا خيل الصليبيين

و لا ذكرى صلاح الدين

و لا جندينا المجهول في حطين.¹

يستتكر الشاعر تنكّر العرب للقضية الفلسطينية، و يتأسف على زوال الأمجاد التي

كانت تتغنى بها هذه الأمة.

بالإضافة إلى الشخصيات العربية، استعان "سميح القاسم" بالرموز التاريخية

الأجنبية، منها:

¹ - الديوان، ص: 540.

• "أرنستو تشي غيفارا": يعتبر "تشي غيفارا" من الرموز التاريخية التي كانت و لا تزال

ملهمة و محترمة و مستقطبة للمخيلة الجماعية في الكثير من الآداب و الفنون، كونه

لعب دورا فعّالا في الثورة الكوبية، و كان جزءا لا يتجزأ منها.¹

وظّفه الشاعر في قصيدة "أحكي للعالم" في قوله:

اليوم أحرر هذا الخبر:

أرنستو تشي غيفارا

يبني قمرا

في أفق ما!!...²

و هذا إن دلّ على شيء، إنما يدلّ على قوة و عظمة هذا الرجل.

• "تيرون": >>هو أحد ملوك روما، و الذي قام بحرقها لإعادة بنائها، لكنه مات و

روما بقيت حية خالدة>>³ و قد قال الشاعر فيه:

روما احترقت يا مجنون!

روما أبقى من نيرون!

¹ - موسوعة ويكيبيديا www.Ar.wikipedia.org

² - الديوان، ص: 183.

³ - سامية بوراس: الخصائص الأسلوبية في شعر سميح القاسم، كلية الآداب و اللغات، جامعة المسيلة، الجزائر،

2015/2014، ص: 92.

روما لن تفهم أشعارك

روما تحفظها عن غيب.¹

و يقصد بهذا القول: أن فلسطين ستبقى رغم أنف الكائدين، فمثلاً انتهى عهد "نيرون"،

سيأتي يوم و ينتهي ظلم و جور الصهاينة على فلسطين لا محالة.

• "هولاكو": هو قائد و حاكم مغولي، غزى بلدان جنوب غرب آسيا، ثم توسع فيها و

قتل الكثيرين إلى أن أسقط بغداد عاصمة الخلافة العباسية.²

يقول "سميح القاسم":

إلى أخت وراء السور مسيبا

يدنّس طهرها المنهوب هولاكو،

و عصبته التتارية.³

ف"هولاكو المغول" يعيد نفسه عبر التاريخ ليتجلى في بني صهيون الذين دنّسوا طهر

أرض الأنبياء، و عاثوا فيها فسادا.

¹ - الديوان، ص: 556.

² - موقع www.mawdoo3.com

³ - المصدر السابق، ص593.

• "بابل": كتب الشاعر قصيدة سماها باسم "بابل"، كما ذكر بابل في قصيدة أخرى هي "الزوجة"، حيث يقول:

...

و عوّدت السواقي الموج ألا تؤذي العطرا

و لم أسرج جياذ الغزو يا "بابل"

و لم أخدعك... لم أغدرك يا "بابل"

و ما علّقت في بابي لواء الغدر و الباطل.¹

"بابل" هي مدينة عراقية تقع في الجنوب الغربي، >كانت عاصمة البابليين أيام حكم

حمّورابي<.² و قد ورد ذكرها في العهد القديم، كما أن الله تعالى ذكرها في قرآنه

الكريم. استعان بها الشاعر كرمز تاريخي عبّر بها من خلاله عن >هواجسه و

أحلامه و همومه، حيث يقع الشاعر في لحظة فاجعة و موجعة بين زمنين، زمن

الماضي في قوة إشعاعه الحضاري، و بين زمن الحاضر في قسوته و بؤسه، المتمثل

في بشاعة الحصار و الحروب و الدمار<.³

¹ - الديوان، ص: 588.

² - موقع www.marefa.org

³ - قيدي فهيمة: آليات تشكيل الرمز في قصيدة "أشد من الماء حزنا"، كلية الآداب و اللغات، جامعة البويرة، الجزائر، 2014/2015، ص: 49.

خاتمة

- و ختاماً نستطيع أن نقول أن الأسطورة لعبت دوراً كبيراً في الارتقاء بالشعر المعاصر، و جعله إبداعاً أدبياً يصعب الاستغناء عنه. و من خلال تناولنا لتوظيف الأسطورة في الشعر المعاصر عند "سميح القاسم" خاصة، استطعنا أن نستنتج من خلال دراستنا هذه جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:
- تعدد المفاهيم و التعريفات التي عرّفت الأسطورة سواء كان ذلك عند العرب أو الغرب.
 - كان للقرآن الكريم أيضاً نظرة للأسطورة و رأي فيها، فقد وردت في العديد من الآيات كلّ حسب مناسبتها.
 - تعدد أصل و نشأة الأسطورة بين الباحثين، فكل واحد منهم استند على أساس يقوم من خلاله على بناء فرضيته والعمل على جعلها حقيقية.
 - اختلاف أنواع الأساطير ناتج عن اختلاف الموضوعات و القضايا التي عالجتها خلال طرح نصها.
 - تمازج الأسباب و تنوع الدوافع وراء توظيف الأسطورة في الشعر المعاصر بين فنية جمالية و معرفية تعليمية.
 - تنوع أدوار الأسطورة و وظائفها في الشعر، و ذلك حسب القيم و العبر و المغزى و المعاني التي تحملها ويكون لها تأثير إيجابي أو سلبي على الفرد.

- اعتمد "سميح القاسم" على الرموز الأسطورية لما فيها من دلالات ومعاني تعالج حاضر الشاعر، من خلال التجربة الماضية التي تقدّم نظريات السلوك و الأخلاق التي يجب أن تحكم مجتمعا الحالي.
- لجأ "سميح القاسم" إلى استعمال مختلف الرموز الأسطورية الدالة على القوة والشجاعة، و ذلك لغرس القوة في نفوس الشعب الفلسطيني و الرفع من معنوياتهم لمواجهة الاحتلال الصهيوني.
- شعر سميح القاسم نموذج واضح عن حب الوطن، من خلال استدعاء الرموز التاريخية و الدينية المتصلة به (نوح و يعقوب و عيسى و محمد و صلاح الدين...) وغيرهم.
- وظّف "سميح القاسم" الرموز التاريخية و الدينية لإثبات هويته الوطنية العربية التي عمل المحتل الصهيوني جاهدا لطمسها من خلال افتخاره بالثورات وحركات التحرر في الوطن العربي (ثورة الجزائر و ثورة اليمن و انتفاضة العراق ...)، كما ساند الدول المظلومة من مختلف بقاع العالم مثل : كوبا , الكونغو , ...
- و أخيرا يبقى "سميح القاسم" من أهم الشعراء الذين تركوا بصمتهم في تاريخ النضال بالقلم، و يبقى شعره شاهدا عليه طول الزمن.

الملاحق

من هو سميح القاسم؟:



1

سميح محمد القاسم شاعر فلسطيني، ولد بمدينة الزرقاء بالأردن، من أسرة قروية سنة 1939م. ثم انتقل مع والديه إلى "الرامة" في الجليل الأسفل، حيث ينتمي إلى طائفة عربية إسلامية فاطمية درزية.

أنهى دراسته الإبتدائية في بلدته "الرامة" بالجليل، و التحق بثانوية "الناصره"، عمل بعد تخرجه في سلك التعليم، حيث عمل معلّما و عاملا في خليج "حيفا" لكنّه طرد بسبب شعره، و انتقل بعد ذلك للعمل في الصّحافة، حيث أسهم في تحرير مجلّة "هذا العالم" عام 1966م، ثمّ عاد للعمل محرّرا أدبيا في الإتحاد، و سكرتيرا لتحرير "مجلّة الجديد" ثم رئيسا لها،...

¹ - موقع www.m.facebook.com

برزت اهتماماته الأدبية و السياسية في سن مبكرة، فأسهم في نشاطات المدرسة الثقافية في المسرحيات، و نظم الشعر و هو لم يبلغ العشرين من عمره بعد، فقد كتب قصائده "أغاني الدروب" بين عامي 1964/1959، و ما إن بلغ الثلاثين حتّى كان قد نشر ستّ

مجموعات شعرية حازت على شهرة واسعة في العالم العربي.¹

حصل سميح القاسم على جوائز عديدة منها: جائزة "غار الشعر" من إسبانيا، و على جائزتين من فرنسا عن مختاراته التي ترجمها إلى الفرنسية الشاعر و الكاتب المغربي عبد اللطيف اللعبي، و على جائزة "البابطين" و "وسام القدس للثقافة" من الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، و على جائزة نجيب محفوظ من مصر، و "جائزة الشعر" من وزارة الثقافة الفلسطينية.²

من مؤلفاته في الشعر نجد:

1. مواكب الشمس 1958م.

2. أغاني الدروب 1964م.

- سمية محادي: ملامح المقاومة في الشعر العربي الحديث سميح القاسم أنموذجاً، كلية الآداب و اللغات، جامعة

1

المسيلة، الجزائر، 2014/2013، ص:40.

²- موسوعة أبحاث و دراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، الأديب سميح القاسم، ص:05.

3. دخان البراكين 1968م.

4. دمي على كفي.

5. سقوط الأقنعة.

6. قرقاش.

7. ديوان الحماسة.

8. مراثي سميح القاسم.

9. شخص غير مرغوب فيه...¹

كانت كتاباته عبارة عن نضال بالقلم، فلم يكن يكتب قصيدة قط إلاّ و تغنّى فيها ببلده

الحبيبة فلسطين. و بهذا اعتُبر "سميح القاسم" رجل نضال و ثورة إلى أن توفي

منتصب القامة في 19 أوت سنة 2014، إثر إصابته بالسرطان.

¹ - محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، دار هومة، الجزائر، 2010، ص: 411.

دیوان

سمیع الفاسم

دارالعمروۃ - بیروت

ديوان
سميعة الفاسم

دار الفؤاد - بيروت

حقوق الطبع محفوظة
لدار العودة

- ١٩٨٧ م

كورنيش المزرعة - بناءة ريفيرا سنتر

تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥

تلكس AWDA 23682 LE

ص.ب ١٤٦٢٨٤

مقدمة

بقلم : مطاع صفدي

لم يعيش الشعر مهرجاناً شعبياً ويكسر طوق العزلة عن
بضع مئات من النسخ ، تباع لنخبة مثقفين ، ويتحرر من
العوز والتجريد ، ويكسر استعباد الألفاظ ، ليختلط بتراب
الحياة وعرق كادحي الثورات الجديدة ، ويمتزج بأهازيج الناس
في حلبات اليأس والندب ، وترجيع لهاث الحزن القديم على
إيقاع الحقد الجديد . . كما يفعل الشعر المقاوم بنا وبثقافتنا
اليوم .

.. لم يكن للشعر العربي منذ أيام الجاهلية سوق عكاظ حقيقية مليئة بفروسية الكلمة الفعالة والفعل المتكلم ، كما كان له من عكاظ المقاومة وشعرائها ، في زمن بوار كل شيء ، واحتمال الآتي من كل شيء ، زمننا المائل الجامد هذا ، في لحظة انتظار ما لا يعرف ، ويعرف .

ما زلنا تحت الانبهار مما يفجر جدينا التاريخي ، ما زلنا لا نعي المقاومة ، ولا شعر المقاومة . إننا تحت وطأتها منبهرين ، كما لم نزل منبهرين تحت عبء الأيام الستة الصفراء . وإذا كانت بنادق المقاومين على أشواك الحدود ، وأغاني شعراء الأرض المحتلة داخل الحدود قد بنت حربنا الضائعة فوق البوار المسطح الذي تنزلق عليه إرادتنا لتقبع في قبور الفضاء ، فإن العزيف يتجاوز العزف ، وإن النشيد يسحق الأغنية ، وإن شعلة الإبداع مرة أخرى تبدأ عندنا وكما كانت دائما ، من بعث الكلمة المكوّنة كشيء الأشياء ، وليس كلفظ الألفاظ .

لقد كان المقاومون شعراءً يخطون إعلانهم الخاص بعد

البوار ، عما لم يكن ليستسلم إلى البوار ، ويشارك في المناحة العامة .

كانت كؤوسهم فارغة من دماء الآخرين ، ويطلبون دم الذات ، وبذلك تعود إلى الشعب سكينه ، ليكون المذبوح بسكينه ، وليس بهزائم الآخرين .

فإن للمقاومة شعراً ، قضية التوحيد بين اللفظ والفعل ، وتلك هي المهمة الأشق والأصعب ، في مشكلة الوجود التاريخي للشعب المناضل ، ذلك أن التعامل مع حقائق الواقع يؤلف مرحلة لم تنضج أبعادها حتى الآن . وقد بقي التعامل مع أصوات الألفاظ هو وسيلتنا التاريخية الوحيدة للمواجهة الخيالية ، مع جمود اليد . والشعر وحده ، من دون بقية وسائل التعبير اللفظي والفني عامة ، يعايش بتجاربنا منذ جاهليتنا وإسلاميتنا وانحلالنا ونهضتنا ، معاشة داخلية عضوية ، توحد بين مادة هذه المعاشة وبين أساليب التعبير عنها ، في ممارسة العمل واللاعمل ، اللفظ العامل واللفظ العاجز في آن واحد .

ومنذ مطلع الخمسينيات خاصة ، والشعر يتابع دوره
اللحمي ذاك ، متطابقاً مع عظم التجربة في الخواء والملاء
معاً . وكان نضاله ، كنضال التجربة ، سعيًا دائماً للانفصال
عن مادة الركود والانفعال بالركود وتجاوزه بمسافة تقييم
ووعي وتحرر . وكان سعي الرواد الأوائل ، من بدر شاكر
السياب الى عبد الصبور و خليل حاوي والجيل بكامله ، من
حملة الأعلام ، هو جعل الثقافة دماً ثانياً للأبداع فوق دم
المعناة . فاختلفت نسب الدمين بين شاعر وشاعر ، كاتب
وكاتب . ولكن معجزة الانسلاخ عن نمطية اللفظة وتقاليدها
البلاغية ، قد تحقق الفعل الحاسم المطلوب منها ، وهو
عودة عملية النظم الى ذات الكاتب لا كمغارة ترديد الأصوات
الخارجية ، ولكن كمحور عكس وانعكاس لعالم التجربة
كمعيشة وتعبير .

ولقد اهتدى هذا الجيل الى مفاصل هيكل الوضع
التاريخي ، فحاولوا أن يفصلوا على مقاييسه ، منشوراتهم
المحرزة على المعاشة الجديدة للفعل ، ولأصل الفعل .

واكتشفوا صلصال المادة الأولى الضرورية ، وشرعوا في اقامة معابد الترتيل البريء لدين لم تتضح عقائده الكلية بعد ، بغير رفض الكليات السابقة ، والحفر على مجاس ينباع الميتة تحت صلصال الهياكل الخربة المنقضية روحاً وتاريخاً .

والخمسينيات عهد تاريخي حقيقي ، انه البدء بالنكبة والرد على النكبة بذروة الوحدة . وأن الستينيات عهد تاريخي حقيقي كذلك ، أنه البدء بالنكبة الثانية في الانفصال ، والوصول الى النتائج الشاملة للنكبة الانفصالية ، في هزيمة حزيران الشاملة . والشعر العربي الحديث واكب هذه الأحداث . دعا لأهدافها وافتخر وانتكس وتصاعد معها وارتجف لقلقها وخوفها ، وقنوطها وتمردها أخيراً ، ولم يكن الشعر مواكباً لها من الخارج ، ولكنه داعية وجدانية لنبضها الذاتي من داخل . فلم يكن لينتظر ، ولكنه كان ليكون مسؤولاً معها عن الفرح والقنوط .

ولم يسمع أحد بشعراء الأرض المحتلة إلا بعد أن ساح وامتد الاحتلال حتى أصبح هو الحقيقة ، وسواه الظل والوهم أو ما

يشبههما الى حين أن تسربت الأصوات من داخل ، وعم
الانبهار ، وانطلق شيء جديد اسمه شعر المقاومة ، وكان
لفلسطين من قبل شعر النذب . وبين الشعرين انقلاب في
المعاناة ، تبعه ذلك التسريح الخصب لمواهب مكبوتة تلاقى
تلاقياً عفويّاً مع معطيات التحدي المباشر ، للعربي على أرض
الاحتلال ، إما أن يصبح غريباً الى الأبد في وطنه ، وإما أن
يصبح الآخرون غرباء في وطن ما كان ولن يكون لهم ،
هكذا ولد شعر المقاومة مواكباً في الواقع لتفتح موجة الشعر
الحديث منذ أواسط الخمسينيات ، ولم ينضج الشعر المقاوم إلا
بعد الهزيمة الشاملة في حين أن مدرسة السياب وعبد الصبور
وحاوي كانت تلاقى درجة معينة من الاشباع يؤذن بانتهاء
نضج وابتداء نضج جديد لولا أن السياب اختطفه موته المادي
في أوج شبابه الشعري .

لقد كانت ملحمة الحلاج عند عبد الصبور و (لعازر)
عند حاوي نذيري البوار المدقع في الانهزام الذاتي عند الأمة ،
قبل أن يتحقق الانهزام الأسود على الجبهات .

كان « الحلاج » صوت الحقيقة يواجه طغيان الزيف في

صميم الخلايا المراد بها نسج الكيان الجديد . وكان (لعازر)
صديق المسيح الذي مات وعاد الى حياة عاجزة عن مطارحة
أمها الأرض صبوة الانبعاث الحقيقي . كان (لعازر) يكذب
حياته الجديدة ويدعو الى موت حقيقي تخلفه حياة حقيقية .
بعض الضمائر المبدعة نادوا بـ (بشرى) هزيمة لا تبقي
ولا تذر ، منذ أطلال الوحدة . ولم يكن ثمة ما يعمل .
والكلمة وحدها للضمائر هذه ، طغى عليها زبد الإعلام ..
وإذا حلت الهزيمة أخيراً لم يكن إلا التبشير بالاستسلام ،
أو الصريخ على القبور ، وكان كل صوت للكلمة ينطلق من
البلاد المنهزمة لا يثير إلا قشعريرة الاشمئزاز .
ولا أحد اعتقد بأن ثمة موطناً آخر لكلمة تثير الثورة
ثانية .

كانت بندقية الفدائي ، وشعر المقاومين من الداخل ، هما
وحدهما ، ومعاً لأول مرة ، دليل العقيدة المفقودة في حياة
أخرى ، لم تعرفها نهضة العرب من قبل . فالانفصام بين القول
والفعل - مرة قول ، ومرة فعل - كان مشكلة الأدب
الثوري العربي . وكان القوالون غير فعالين ، ليس لديهم فعل

الثقافة في الوعي ، ولا فعل يدهم في عالم الأشياء . وكان صوت الضمائر القليلة يختنق في ازدحام الإعلام . والأقلام نصبت لها خياماً في سوق النخاسة . والازدحام على التأجير . وعهّرتنا المذيع والجريدة والتلفزيون كل صباح ومساء .

ذلك أن المقاومين شعراً ولدوا مع المقاومين دماً ، وفي مقر الهزيمة ، انبجس بترول الحريق الشامل الرهيب .

وتهاوى الشباب عشقاً للموت الجديد ، وللشعر الجديد . وأشرقت ابتسامة درويش وبراءة سميح فوق أعلام العباسيين السود المستسلمين للتتر - وليت السياب كان معنا مرة أخرى . وما زال القراء والنقاد يحبون أطفال الشعر الجدد ، يفرطون في الحب حتى ينادي بعضهم بدفع الحب عن صدورهم . وينادي آخرون بالتقييم الموضوعي لشعرهم ولكن هيهات ، وكيف يقيم الأب العاقر صوت طفل له ، ولد بعد سنوات المحل والوحدة مع الغبار .

كل ما كتبه جيل السياب وحاوي وعبد الصبور ، عاد أطفال الشعر المقاوم ليكشفوا عنه أسر التجريد ، ويكشفوا عنه أستار الثقافة ويردوا اليه صبوة الفسق والدم والحق

والعاصفة الحقيقية ، وينطلقوا به مرتلين ، دعاة مبشرين ،
جوالين بين خيام القلوب النازحة .

إنهم سوقوا شعرنا ، وعمموا مرة أخرى لفة الأفعال
ممتزجة بالأقوال القليلة ، المحتشمة العفيفة ، المزدهرة بكآبة
خلاقة لا تعترف بالأطلال والرماد ، إلا بدءاً لمولد القبيلة
الموعودة .

لقد حلم نزار قباني ابن دمشق الحضراء ، بأن يعمم شعر
الحب كالحبز منذ ثلاثين عاماً ، ونجح ، حتى جاء الشعراء
المقاومون ليعمموا شعر النضال ليصبح الشمس والهواء لجميع
المساجين خلف القضبان وبلا قضبان .

وبرهن الشعر ثانية أنه دم آخر للشعب العربي ، وأنه الرد
الانساني على الاعلام . فصوت حق واحد يخرس .

وتلك ظاهرة الصحة في قصائد درويش وقاسم وزياد
والمجموعة كلها ، التي تعزف وتتكامل ، كالأوركسترا الفاغنرية :
لحن واحد أساسي تردده حنجرات متعددة ليصبح صوتاً خاصاً
لكل حنجرة ، في الوقت ذاته .

فالجـمـيـع يعزفون من قاموس الحرية اللغوية ، ويتفننون في
صقل الألفاظ اليومية ، وردّها الى تحريضها الشعري .
والجـمـيـع يتحررون ويحررون ، من أساطير الشعب
المتخلف ، ومن أنماط الركود ، في الاعتقاد والقول والممارسة .
وجـمـيـعهم محرضون لحياة فوق الجثث ، وانبهار أخاذ بما
يرونه هم ولا يراه الآخرون .

وهم في الشعر يثورون - موضوعياً . وتلك هي معجزة
الانبهار بشعر هؤلاء الأطفال المتصايحين المتعارفين المتنافسين
على الحرق الموضوعي ، والتبشير الموضوعي ، والاندماج
العفوي بين لحم وعظم الرد التاريخي ، ليس على الهزائم ، بل
على أصل الهزائم فينا ومنا ، وفي أرضنا ودمنا ، وخرافات
الجثث في أرواحنا وعقولنا .

ذلك وجه الانبهار ، وحقيقة الصبوة الجديدة التي تتصاعد
في الوعي ، وليس من الفورة . وصبوة الوعي هي روح
الشعر المقاوم . والفرق بين صبوة الفورة ، وصبوة الوعي ،
هو الحد الفاصل الدقيق بين ممارسة الثرثرة في الشعر الحماسي
والخطابي السابق ، وبين ممارسة التغير في الشعر المقاوم .

والحماسيات تعيش من جلبة الألفاظ الكبيرة ، والأعيب
البلاغة المجردة ، وتتغذى من إمكانيات الخبث لدى الناظم .
والمقاومات تجسم اللفظ في العالم كإرادة تغيير وتسلك سلوك
الخطابيات ، إلا أنها تتوجه الى الوعي لتجعله ينبهر من بلادته
أولاً في خضوعه لآليات الركود ، ثم يتساءل عن أصل
الركود ويكتشفه في نفسه أولاً ، ثم يتصاعد التساؤل ليصبح
جلبة في أصول الأشياء كلها .

وهذا هو الفرق بين جبال من ألفاظ الشعر الحماسي
ومقالات الإعلام وإذاعيته وصحافته وكتبه ، وبين أصوات
المقاومة المتسربة من ما وراء الحدود .

ولولا الاستسلام الطويل لخطط الكذب الجماعي ، لما
أمكن للصحو أن يتحقق على همسات الشعر المقاوم . فلقد جاء
درويش وفاسم وجوحتها ليؤسسا مؤسسة صعبة ، كانت
عناصرها تبدو من التناقض والتباين بحيث أعجزت إمكانيات
شعرية كبيرة وكثيره .

فكيف تظل للشعر نكهة الأغنية ، ويظل يحفر في
الجمجمة ، يختصر الثقافة ، ويعايش عشب الأرض ، ينذر

الظالمين ويبشر المظلومين ، يتحدى ويتصاعد من موقف
التحدي المحدود ليمتزج بالتحدي الانساني والتاريخي لأصول
الظلم كلها ..

هكذا كان شعراء المقاومة ينسجون فنهم الخاص . وكان
سميح لا يني يقرأ التجربة كلها ويعيد . ويحاول من قصيدة
الى قصيدة ، أن يضمن الأبعاد كلها ، وأن يتجاوز معطيات
العمل الفني في شعرنا المعاصر ، ليأتي بمعطيات جديدة لشعر
جماهيري ، يمكن قراءته بدون جماهير ، ويمكن للجماهير كلها
كذلك ، أن تردده كنشيد واحد متحد الإيقاع والظل
والصدى .

يلجأ فن المقاومة عند سميح الى الحكاية العربية ، ويخلع
منها « كان يا ما كان » ويرصعها بالأهزوجة تارة ، والموال
تارة أخرى . ويربط مقاطعها بعبارات مألوفة ، ولكنها تأخذ
بريقاً جديداً على أوتار الوجدان المقاوم الذي بدأ ينمو في
صدر كل منا . انه شعر عائلي بيننا وبين أنفسنا ، في غابات
هزائنا المعروفة والمجهولة ، وتحت جبال من رماد المعارك غير

المفتوحة ، غير المدخولة ، إلا على صفحات الوهم واللفظ
الاعلامي .

كيف يتأسس الوجدان المقاوم . ان سميح لا يسأل ولكنه
يشرع في التأسيس بقدر ما يجعل كلماته شعراً عائلياً ، انه
شعر القرية والقبيلة ، والبيت والمقهى ، والوحدة والكآبة ،
ومع ذلك يتحرر ليكون الشعر العائلي المدافع عن كل العائلة
بأساطيرها وخرافاتها ذاتها ، وقد تحولت الى ما يشبه بنادق
المقاتلين .

ذلك الرفض الواعي الرشيق ، الذي ينبثق من المقاومين
جميعاً ، ومن سميح القاسم بخاصة . انه الذكاء « الموضوعي »
القادر على قلب جميع رموز الذل والتخلف الى أدوات حرب ،
بدلاً من أدوات كبت وانقضاء خارج التاريخ .

في قصيدة « ليلي العدنية » هذه الأغنية الملحمية التي
لا تريد أن تحكي إلا عن « فزعة » بدوية ، تتصاعد لتصبح
فزعة حضارية . وخلال الثأر والقتل ، تفكر ليلي بالحصاد .
وخلال دفن الأبناء والأعداء ، ترثي ليلي كل الموتى .

في هذه القصيدة يكتشف الشاعر أعمق الدوافع الموضوعية
للتغيير الانساني ، تحت ركام التقاليد المتخلفة . وذلك هو
الرفض الواعي ، ذلك هو الكشف عن الصيرورة الخالقة
تحت آفات الجود والركود . وفي كل القصائد الأخرى التي
يستعين فيها سميح بمناظر التخلف وممارساته اليومية ، يستخدم
فيها معطيات الوجدان الأسطوري والغبي ، فانه يوهج من
هذه العقبات جمرة احتراق العرس فيها لينبجس ضوء الوعي ،
ويؤسس الوجدان المقاوم ، فوق أساطير العناد والبطولات
الجوفاء ، وعلى مستوى المعرفة بالذات المهزومة ، والطريق
الحقيقي لدفع الهزيمة ، وأسباب كل هزيمة .
غير أن سميح إذ تأخذه حماسة تأسيس الوجدان المقاوم ،
فانه ، ومعه الجوقة كلها ، يعي التحرر من مضمون أدوات
الركود ، ولكنه في الفن ، ينزلق إلى الرقابة ، ذلك أن
الموضوع الواحد الذي يشد أعصابه ، يفرض نفسه على الخيلة
دائماً ، فلا يتحرر النمو العضوي من المنعزل الأصلي ، ويظل
ينداح حوله حلقات وحلقات متشابهة الشحن العاطفي والرمز
العقلي بألفاظ متغايرة بل مترادفة .

لأنه يخطب ، ولأنه يغني الموال ، ولأنه يكرر أقاصيص
الفلاح والبدوي ، ويعيش المشكلة الواحدة موزعة على أوتار
منضدة ملء جوه الذاتي المرنان ، فهو ليس دائماً بمنتصر على
رثابة مادته ، وليس دائماً بمتحرر من المباشرة ، والدورات
الكلامية حول النبضة الواحدة ، فليس كل ما يكتبه الشاعر
نبضات ، وما يقع في أسر الكلمات يجب أن يحذف أو يهمل.
وسميح متعجل تأخذه تسارعات المعركة وتلاشها المضني ، فلا
وقت يضيعه في الترميم والتغميس .

والشعراء المقاومون جميعاً هم كالمقدمة الموسيقية تمشي في
طليلة الجيش المقاوم والهنات الفنية مغفورة في أرض التسارع
والتلاهي . ولكن سميح القاسم مع ذلك لا يرضى لنفسه
الصياغة السهلة ، وهو يجتهد من ديوان الى آخر بنوعية صياغته .
وبالصبر على ائبفاعاته عليها تبرد قليلاً لتخرج من مرحلة المعاناة
الفردية الى مرحلة المثال الفني الموضوعي .

ولأن هذا الشعر المقاوم لا يحتاج الى رموز شمولية ، فإن
فرسانه محتاجون الى المباشرة . انهم مضطرون غالباً الى تسمية

الأشياء بأسمائها ، وإذا عمدوا الى الرموز فليس لضرورة فنية دائماً ، بل قد تكون ضرورة احترازية .

وكلمة فنية واحدة تبني خاطرة مقاومة شمولية ، فيغتني التعبير المباشر بالدلالة الوجودية . كتلك اللفظة المتوهجة المشبعة المتداخلة الرنين والشعاع والمعنى : أطلع في الأمطار ، أطلع في البرق الأزرق ، في النسمة وفي الأعصار ، أطلع من جرح فتحته قذيفة في صدر جدار ، أطلع من عطش الآبار ، أطلع من قنطرة صامدة ، في وجه الريح ، من نصبة لوز صامدة ، في وجه النار ، أطلع من توقيع الحاكم في ذيل التصريح ..

فليست الرقابة التي تحكم هذا الشعر ، ولكنها ضجة الإيقاع الذي يفجر المكان بشواهد المعنى ومؤلفاته العضوية . انه يلتقط الرموز الطبيعية والمكانية ، لينتهي الى الموقف الانساني « أطلع من توقيع الحاكم في ذيل التصريح » لتجيب لفظة « أطلع » كالرد الاشرافي المنتصر بإصرار الطبيعة ذاتها على تكرار الشكل ، وصمود الآثار التاريخية لمكان الشعب : الآبار ،

القنطرة .. البيت الطيني ، وكل رموز القرية العربية الصغيرة
الباقية في ذلك « المستنقع » على حد تعبير سميح .

وإذا يشغل الشعراء المقاومون ، قبل الرد الفدائي بتأصيل
حجة البقاء في الأرض ضد الرحيل ، فإن سميح يكشف عن
صفحة من المعاناة الخصب الشاقة ، في قصيدة رائعة تتشخص
من خلال حوار بين أخوين ، أحدهما اجتذبه المنفى واستغرق
في « نجاحات » المنفى ، والآخر يضرب بجذوره في « المستنقع »
المتبقي لعرب الأرض المحتلة .

وهنا يصبح النظم عملاً عقلياً وإبداعياً متكاملًا، لا تتجاوز
فيه الألفاظ والأوزان ، ولكنها تنبني بناء داخلياً محكماً ،
وتتتابع عن جرف بركاني هائل ، لتتكثف بدلالات مختصرة
معبرة مكثفة بذاتها .

تفيد القصيدة من إيماءات الواقع ، ومن إطارات الحياة
اليومية ، وتنتقي زوايا من الشارع والمكتب ، وتبني مسافاتها
الخاصة من أساس مسافات الشارع وأرض البشر الهندسية ،
وتتحدث بلغة الحوار والمخاطبة ، وتمسرح المنظر الدرامي بين

الشقيق المصمم على غرس رجليه بمستنقع فلسطين الباقية ،
والشقيق الممارس لشبقيات الاغراء والاغواء في بيروت .
وتصبح القصيدة في النهاية أشبه بوثيقة عن الفن والتاريخ معاً ،
والفلكلور العائلي والريف العربي .

ذلك الموقف الرحب من كل سيئات الأمة والوطن داخلياً
وخارجياً ، وتجديد محبة أشياء هذه الأمة ، وتجديد طقوس
وجدانها التراثي ، على وهج البراكين الواقعية الجديدة ، ذلك
التحويل الابداعي لأدوات الحضارة المنقرضة الى أدوات
لحضارة الثورة ، هو الممارسة الوجودية والفنية التي تؤسس
الوجدان الشعري المقاوم ، لدى قاسم ورفاقه . وهو لذلك فجر
الانبهار به مرة أخرى وبرسالة الشعر التي كادت تتلفها الثرثرة ،
ومضامين الرفض العبثي ، والتحلل العقيم .

وفي جحيم البقاء داخل مستعمرة إسرائيل على أرض
فلسطين ، والبقاء عربياً ، والبقاء تقديمياً ، حتى مرحلة البقاء
مقاوماً وثائراً . وأن يكون الصامد شاعراً ، ومتمسكاً
بثقافة الشعر العربي ، ومتشبعاً بفروسية هذا الشعر ولغته

المتجددة على ألسنة المبدعين ، كل ذلك يؤلف في حد ذاته
جوهر تلك الممارسة الخارقة ، الفريدة من نوعها في موسوعة
الثوريات . لأن مثل هذا البقاء هو الدحض اليومي لأكذوبة
إسرائيل كلها .

ولأن هذا البقاء الذي يمارسه مثقفو رموزنا العربية ، على
أرض فلسطين ، هو الخيرة الصحيحة لقضية تجدد الثورة
العربية من أرض المجاهبة . يقول سميح : قلت لي - أذكر
من أي قرار ، صوتك المشحون حزناً وغضب ، قلت
يا حبي من زحف التتار ، وانكسارات العرب ! قلت لي :
في أي أرض حجرية ، بذرتك الرياح من عشرين عام ،
قلت : في ظل دواليك السبية ، وعلى أنقاض أبراج الحمام !
قلت : في صوتك نار وثنية ، قلت : حتى تلد الريح الغمام ،
جعلوا جرحي دواة ، ولذا فأنا أكتب شعري بشظية ،
وأغني للسلام !

إن التواجد القومي والتقدمي والثوري كله تواجد عضوي
متداخل متوحد في تجربة تأسيس الوجدان الشعري المقاوم
لدى هذه الطليعة . وبدون مفارقات واصطناعات لحرب

الألفاظ الإيديولوجية ، تم لهم وعي موقفهم الثوري والفني .
فليس لديهم أسطورة القطر ضد الشمول القومي ، وليس لديهم
أسطورة العنصر القومي ضد الكفاح الانساني . وبالكلمة
المقاتلة يدعون للبندقية ويدعون للسلام .

وبالكلمة المكافحة يكشفون عن وجه الثورة العربية
الجديدة ، من أعماق الانسلاخ الاسرائيلي ، ويؤكدون عناصر
الفكر الثوري من معاناتهم اليومية دون تطفل ولا تراكم
أمواج ، ولا صراع مزايدات .

فإن سميح ودرويش وزياد وجميع مثقفي عربنا في
المستعمرة الإسرائيلية على أرضنا ، يرسون في الحقيقة أسس
مدرستنا الثورية الجديدة . وحتى لو لم يكتمل وعيهم بما
يعملون ، إلا أنهم عناصر حيوية في تجربة الريادة هذه وإذا كانوا
يجربون فنياً ، فإنهم يبنون كذلك تجربة حل التناقضات
القاتلة التي مزقت طلائع كثيرة خارج فلسطين ، حاولت أن
تبدأ من معاناة الانتكاب الى تحقيق الانتصارات ، وتساقطت
على درب الهزائم المتوالية .

كيف تكون الكلمة أساساً لوجود أصيل ولا تغطية
لوجود موهوم، غيبي، أو أسطوري، أو وجود كاذب خادع،
هذا هو سؤال شعرائنا المقاومين . ولقد أعطوا حتى الآن
الانبهار، وبقي فيض الرعد يخلفه طائر الرعد، في أعراس
سميح القاسم ومحمود درويش وطليعتهم المظفرة الجديدة .



أغاني الحرف

« ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد *
وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد *
لقد كان في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * »

الإهداء

« إلى الذين سدّ هواتهم غبارُ الدروب
لعلهم يجهرون !! .. »

أغاني الحرف

من رُؤى الأثلام في موسمٍ خصبٍ
ومن الخيبةِ في مأساةٍ جَدْبِ
من نجومٍ سهرت في عرشها
مُؤنساتٍ في الدجى قصة حبٍ
من جنون الليل .. من هدأته
من دم الشمس على قطنة سُحْبِ
من بحار هدرت .. من جدولٍ
تاه .. لم يحفل به أيُّ مَصَبٍ

من ذؤابات وعت أجنحة
جرفتھا الریح فی کل مهب
من فراش هام فی زھر وعشب
ونسور عشت مسح شهب

* * *

من دمی الأطفال .. من ضحكاتهم
من دموع طهرتها روح رب
من زنود نسقت فردوسها
دعوة فضلى على أنقاض حرب
من قلوب شعلت أشواقها
شعلا تعبر من رحب لرحب
من عيون سممت أحداقها
فوهة البركان في نظرة رعب
من جراحات يضري حقداهما
ما ابتنى شعب على أنقاض شعب

من دمي .. من ألمي .. من ثورتي
من رؤاي الخضر .. من روعة حيي
من حياتي أنت .. من أغوارها
يا أغاني ! فرودي كل درب

جيك المأساة

هنا .. في قَـرارتنا الجائعه
هنا .. حفرت كهفها الفاجعه
هنا .. في معالمنا الدارسات
هنا .. في محاجرنا الدامعه
نَبُوخَذُ نَصَّرُ والفاتحون
وأشلاء رايتنا الضائعه

* * *

فباسمك يا نسلنا المرتجى
وباسمك يا زوجنا الضارع
رد الزمان إلى رشده
ونبصق في كأسه السابعة
ونرفع في الأفق فجر السماء
ونلهم شمسا طالعه !

ما زال

دم أسلافي القدامى لم يزل يقطرُ مني
وصهيل الخيل ما زال ، وتقريعُ السيوفُ
وأنا أحمِلُ شمساً في يميني وأطوف
في مغاليقِ الدجى .. جرحاً يغني !!

لأننا

أحسُّ أننا نموت
لأننا .. لا ننتقن النضال
لأننا نعيد دون كيشوت
لأننا .. لهفي على الرجال!

في القرن العشرين

أنا قبل قرون
لم أتعوّد أن أكره
لكني مُكره
أن أشرع ربحاً لا يعيى
في وجه التنين
أن أشهر سيفاً من نار
أشهره في وجه البعل المأفون

أن أصبح ايليّا^(١) في القرن العشرين

* * *

أنا .. قبل قرون
لم أتعود أن أُلحد !
لكني أجلدُ
آلهةً .. كانت في قلبي
آلهةً باعت شعبي
في القرن العشرين !

* * *

أنا قبل قرون
لم أطرده من بابي زائر
وفتحت عيوني ذات صباح
فإذا غلاّتي مسروقه

(١) نبي يهودي حارب الأوثان ، وينسب إليه أنه قتل كهنة بعل .

ورفيقة ' عمري مشنوقه
وإذا في ظهر صغيري .. حقل جراح
وعرفت ضيو في الغدّارين
فزرعوا ببابي ألغاماً وخناجر
وحلفت بأثار السكّين
لن يدخل بيتي منهم زائر
في القرن العشرين !

* * *

أنا قبل قرون
ما كنت سوى شاعر
في حلقات الصوفيين
لكني بركان ثائر
في القرن العشرين !!

أمطار الدم

« النار فاكهة الشتاء »

ويروح يفرّك بارتياحٍ راحتين غليظتين
ويحرك النار الكسولة جوفَ موقدها القديم

ويُعيد فوق المرتّين

ذكر السماء

والله .. والرسول الكرام .. وأولياءِ صالحين

ويهزُّ من حينٍ لحين

في النار .. جذع السنديان وجذع زيتون
عتيق

ويضيف بُنًى للأباريق النحاس
وُيهيلُ حَبًّا (الهَيْلِ) في حَذَرٍ كريم
« الله .. ما أشهى النعاس

حول المواقد في الشتاء !

لكن .. ويُقلق صمت عينيه الدخان

فيروح يشتم .. ثم يقهره السُّعال

وتقهقه النار الخبيثة .. طفلةً جذلى لعوبه

وتتَّز ضاحكةً شراراتٌ طروبه

ويطقطق المزراب .. ثم تصيح زوجته الحبيبه

— قم يا أبا محمود .. قد عاد الدوابُّ

ويقوم نحو الحوش .. لكن !!

— قولي أعودُ .. تكلمي ! ما لون .. ما لون

المطر ؟

ويروح يفرك مقلتيه
- يكفي هراءً .. إنَّ في عينيك آثارَ الكبر ؟
وتلولبت خطواته .. ومع المطر
ألقى عباءته المبللة العتيقة في ضجر
ثم ارتقى ..

- يا موقداً رافقتني منذ الصغر
أتراك تذكر ليلة الأحزان . إذ هزَّ الظلام
ناطور قريتنا ينادي الناس : هبوا يا نيام
دَهم اليهود بيوتكم ..

دَهم اليهود بيوتكم ..
أتراك تذكر ؟ .. آه .. يا ويلى على مدن
الخيام !

من يومها .. يا موقداً رافقته منذ الصغر
من يوم ذاك الهاتف المشؤوم زاغَ بيَ البصر
فالشمس كتلة ظلمة .. والقمح حقل من إبر

يا عسكري الإنقاذ ، مهزوماً !

ويا فتحاً تكلل بالظفر !

لم تخسروا ..! لم تربحوا ..! إلا على أنقاض
أيتام البشر !!

من عزوتي .. يا صانعي الأحزان ، لم
يسلم أحد

أبناء عمي جندلوا في ساحة وسط البلد
وشقيقتي .. وبنات خالي .. آه يا موتى من الأحياء
في مدن الخيام !

ليثرثر المذيع « في خير » ويختلق « السلام » !!
من قرיתי .. يا صانعي الأحزان ، لم يسلم أحد
جيراننا .. عمال تنظيف الشوارع والملاهي
في الشام ، في بيروت ، في عمان ، يعتاشون ..
لطفك يا إلهي !

وأنا هنا ..

وتصيح عند الباب زوجته الحبيبه
- قم يا أبا محمود .. قد عاد الجُباة من الضريبه
ويصيح بعض الطارئین : افتح لنا هذي الزريبه
أعطوا لقيصر ما لقيصر !!

* * *

ويجالدُ الشيخ المهيب عذاب قامته المهيبه
وتدفقت كلماته الحمراء .. بركانا مفجّر
- لم يبق ما نعطي سوى الأحقاد والحزن المسمّم
فخذوا .. خذوا منا نصيب الله والأيتام
والجرح المضرّم
هذا صباحٌ .. سادن الأصنام فيه سوف يُهدم
والبعلُ .. والعزّي تُحطّم

* * *

وتندمدِم الأمطارُ .. أمطار الدم المهدوم ..
في لغةٍ غريبه

ويهز زوجته أبو محمود .. في لغة رهيبه

- قولي أعودُ .. تكلمي !

ما لون .. ما - لون المطر ؟

-

ويلاه .. من لون المطر !!

أطفال سنة ١٩٤٨

كَوَمٌ من السمك المقدّد في الأزقة . في الزوايا
تلهو بما ترك التتار الانكليز من البقايا
أنبوبة .. وحطام طائرة .. وناقلة هشيمة
ومدافع محروقة .. وثياب جنديّ قديمه
وقنابل مشلولة .. وقنابل صارت شظايا

* * *

« يا اخوتي السمر العراة .. ويا روايتي الأليمة

غَنّوا طويلاً وارقصوا بين الكوارث والخطايا «
لم يقرأوا عن « دنُ كَشوت » وعن خرافات القتالِ
ويجنّدون كتائباً تُفني كَتائب في الخيال
فرسانها في الجوع تزحف .. والعصيُّ لها بنادق
وتُشدّ للجبناء ، في أغصان ليمونٍ ، مشانق
والشاربون من الدماء لهم وسامات الرجال

* * *

يا اخوتي !
آباؤنا لم يغرسوا غير الأساطير السقيمه
واليتم .. والرؤيا العقيمه
فلنجن من غرس الجهالة والخيانة والجريمه
فلنجن من خبز التمزُّقِ .. نكبة الجوع العضالِ

* * *

يا اخوتي السمر الجياع الحالمين ببعض رايه
يا اخوتي المتشردين ويا قصيدي الشقيه
ما زال عند الطيبين ، من الرثاء لنا بقيه
ما زال في تاريخنا سطر .. لخاتمة الروايه !

غرباء

وبكىنا .. يوم غنى الآخرون
ولجأنا للسماء
يوم أزرى بالسماء الآخرون
ولأننا ضعفاء
ولأننا غرباء
نحن نبكي ونصلي
يوم يلهو ويفني الآخرون

* * *

وحملنا .. جرحنا الدامي حملنا
وإلى أفق وراء الغيبِ يدعونا .. رحلنا
شرذماتٍ .. من يتامى
وطوينا في ضياعٍ قاتم .. عاماً فعاماً
وبقينا غرباء
وبكينا يوم غنى الآخرون

* * *

سنواتُ التيهِ في سيناءَ كانت أربعين
ثم عاد الآخرون
ورحلنا .. يوم عاد الآخرون
فإلى أين ؟ .. وحتامَ سنبقى تائهين
وسنبقى غرباء ؟ !

القصيدة الناقصة

أمرٌ ما سمعت من أشعار
قصيدة .. صاحبها مجهول
أذكر منها ، أنها تقول :
سربٌ من الأطيّار
ليس يهّمّ جنبه .. سرب من الأطيّار
عاش يُنغمّ الحياه
في جنة .. يا طالما مرّ بها إله

* * *

كان إذا نشنَشَ ضوءُ
على حواشي الليل .. يوقظ النهار
ويرفع الصلاة
في هيكل الخصرة ، والمياه ، والثمر
فيسجد الشجر
وُيُنصت الحجر
وكان في مسيرة الضحى
يرود كل تلة .. يؤم كل نهر
ينبّه الحياة في الثرى
وُينهمض القرى
على مَطلٍّ خير
وكان في مسيرة الغياب
قبل ترمُد الشعاع في مجامر الشفق
ينفض عن ريشاته التراب
يودّع الوديان والسهول والتلال

ويحملُ التعبُ
وحزمة من القصب
ليحبك السلال
رحبةً .. رحبةً .. غنيّة الخيال
أحلامُها رؤى تراود الغلال
وتحضن العِشاشُ سرّ بها السعيد
وفي الوهاد ، في السفوح ، في الجبال
على ثرى مطامحٍ لا تعرف الكلال
يورق ألف عيد
يورق ألف عيد ..

* * *

وكان ذات يوم
أشأم ما يمكن أن يكون ذات يوم
شرذمةٌ من الصّلال
تسرّبت تحت خباءٍ ليلٍ

إلى عِشاشٍ .. دوحها في ملتقى الدروب
أبوابها مشرّعة
لكل طارقٍ غريب
وسورها أزاهرٌ وظل
وفي جنان طالما مرّ بها إله
تفجّرت على السلام زوبعة
هدّت عِشاشَ سربنا الوديع
وهَشَمَتْ حديقةً .. ما جدّدت « سدوم »^(١)
ولا أعادت عار « روما » الأسود القديم
ولم تدنّس روعة الحياة
وسرُّبنا الوديع ؟!
ويلاه .. إنّ أحرّفي تتركني

(١) سدوم وعمورة ، مدينتان على البحر الميت ينسب دمارهما لاهوتيا ،
إلى غضب الله لشدة ما اقترف أهلها من الخطايا .

ويلاه .. إِنَّ قدرتي تخونني
وفكرتي .. من رعبها تضيع
وينتهي هنا ..
أمر ما سمعت من أشعار
قصيدة .. صاحبها مات ولم تتم
لكنني أسمع في قرارة الحروف
بقية النغم
أسمعُ يا أحبَّتِي .. بقية النغم

بوابة الدموع

أحبائنا .. خلف الحدود
ينتظرون في أسى ولهفة مجيئنا
أذرعهم مفتوحة لضمنا لشمئنا
قلوبهم مراجل الألم
تدقّ .. في تمزّق أصم
تحارّ في عيونهم .. ترجف في شفاههم
أسئلة عن موطن الجدود

غارقة في أدمع العذاب والهوان والندم

* * *

أحبابنا .. خلف الحدود
ينتظرون حبةً من قمحهم
وقطرة من زيتهم .. ويسألون
كيف حال بيتنا التريك
وكيف وجه الأرض .. هل يعرفنا إذا نعود ؟!
يا ويلنا ..

حطام شعب لاجيء شريد
يا ويلنا .. من عيشة العبيد
فهل نعود ؟ هل نعود ؟!

صوت الجنة الضائعة

صوتها كان عجبياً
كان مسحوراً قوياً .. وغنياً ..
كان قداساً شجياً
نغمات أفلته الفردوس في آفاقنا
لفننا وانساب في أعماقنا
فاستفاقت جذوة من حزننا الخامد
من أشواقنا

وكما أقبل فجاءه
صوتها العذب ، تلاشى ، وتلاشى ..
مُسْلِمًا للريح دِفْئَه
تاركًا فينا حنينًا وارتعاشًا
صوتها .. طفل أتى أسرتنا حلواً حبيباً
ومضى سرّاً غريباً
صوتها .. ما كان لحنًا وغناء
كان شمساً وسهوباً ومرعه
كان ليلاً ونجوماً
ورياحاً وطيوراً وغيوماً
صوتها .. كان فصولاً أربعه
لم يكن لحناً جميلاً وغناء
كان دنياً وسماًءاً

* * *

واستفقنا ذات فجر
وانتظرنا الطائر المحبوب واللحن الرخيا
وترقّبنا طويلاً دون جدوى
طائر الفردوس قد مدّ إلى الغيب جناحا
والنشيد الساحر المسحور .. راحا ...
صار لوعه

صار ذكرى .. صار نجوى
وصداه حسرةً حرّى .. ودمعه

* * *

نحن من بعدك شوق ليس يهدا
وعيونٌ سُهِدَتْ ترنو وتندى
ونداءٌ حرق الأفقَ ابتهالاتٍ ووجداء
عُدْ لنا يا طيرنا المحبوب فالآفاق غضبي
مدلهمة

عد لنا سكرأ وسلوانأ ورحمه
عد لنا وجهأ وصوتا
لا تقل : آتي غداً
إنا غداً .. أشباح موتى !!

رسالة الى الله

« بلد الأحزان
« التاريخ .. ما دمنا حزاني

سيد الكون أبانا
ألف آمناً ، وبعد .
من حقول البؤس هذي الكلمات
من سفوح 'جوعت' ، من قمم
نسرُها أهوى على الشمروخ في يأس .. ومات !

من بحار لم تعد فيها جزيره
لم يعد فيها سوى أشرعة الذكرى المريره
من جنينٍ 'كبّلت فيه الحياة
كل ما تحمل هذي الكلمات
يا أبانا ، يا أبا أيتامه 'ملّوا الصلاة
يا أبانا ، نحن ما زلنا نصلي من سنين
يا أبانا ، نحن ما زلنا بقايا لاجئين

* * *

أرضنا ،
من غسل - 'يحكى - بها الأنهار - 'يحكى -
من حليب

أنجبت - 'يحكى - كبار الأنبياء
وعشقناها

ولكننا انتهينا في هوانا أشقياء
وحملنا كل آلام الصليب

يا أبانا ، كيف ترضى لبنيك البسطاء
دون ذنبٍ - كل آلام الصليب !!

* * *

يا أبانا ، نحن بعد اليوم لسنا بسطاء
لن نصلي لك كي تُطهر قمحا
لن نداوي بالحجابات وبالرقية جرحا
نحن أنجبنا على الحزن كبار الأنبياء
وخلقنا من أمانينا التي تكبر .. ربنا
شق من مأساتنا للفجر دربا

* * *

عفوك اللهم إن كانت حروفي مستفزّه

أنا إنسانٌ من الطين

أنا الخاطيء مذ كنت

ومولاي المنزه !!

انتيجونا

« ابنة أوديب - الملك المنكوب - التي رافقته
في رحلة العذاب .. حتى النهاية ! » (١)

خطوه ..

ثنتان ..

ثلاث ..

(١) انتيجونا هي بطة المسرحي الاغريقي سوفوخليس ، التي تمثل
رمز الوفاء للأب . والتضحية في سبيله . ظلت تقود خطوات أبيها
الأعمى ، الملك أوديب ، إلى أن حكم عليها بالإعدام ..

أَقْدِمْ .. أَقْدِمْ !
يا قربانَ الآلهة العمياء
يا كبشَ فداء
في مذبحِ شهواتِ العصرِ المظلم
خطوه ..

ثِنْتَانِ ..
ثَلَاث ..

زندي في زندك
نجتازِ الدربِ الملتاث !

* * *

يا أبتاه !
ما زالت في وجهك عينان
في أرضك ما زالت قدمان
فاضرب عبر الليلِ
بأشامِ كارثةٍ في تاريخِ الإنسان

عبرَ الليل .. لنخلقَ فجرَ حياه !

* * *

يا أبتاه !

إن تُسَمِّلْ عَيْنِيكَ زبَانِيَّةُ الْأَحْزَانِ
فَأَنَا مَلءُ يَدَيْكَ

مِسْرَجَةٌ تُشْرَبُ مِنْ زَيْتِ الْإِيمَانِ
وَعَدَاً يَا أبتاه أُعِيدُ إِلَيْكَ
قَسَمًا يَا أبتاه أُعِيدُ إِلَيْكَ
مَا سَلَبْتِكَ خَطَايَا الْقُرْصَانِ
قَسَمًا يَا أبتاه

بِاسْمِ اللَّهِ .. وَبِاسْمِ الْإِنْسَانِ

* * *

خطوه ..

ثَنَّتَانِ ..

ثَلَاثَ ..

أَقْدِمْ .. أَقْدِمْ !

بابك

أنا لم أحفظ عن الله كتابا
أنا لم أبني لقديس قبابا
أنا ما صليت .. ما صمت .. وما
رهبت نفسي لدى الحشر عقابا
والدم المسفوك من قافيتي
لم يراود من يديّ عدن ثوابا
فهو لو ساءلته عن مَطْمَحٍ
ما ارتضى إلا فدى النور انسكابا !

* * *

غضبتى .. غضبة جرح أنشبت
فيه ذؤبانُ الحنا ظفراً ونابا
وانتفاضاتى عذابٌ .. ودَّ لو
ردَّ عن صاحبه الشرقُ عذابا
وأنا أومن بالحق الذي
مجدُّه يؤخذ قسراً واغتصابا
وأنا أومن أنى باعثٌ
في غدي الشمسَ التي صارت ترابا
فاصبري يا لطخة العار التي
خطَّها الأمسُ على وجهي كتابا
وانظري النارَ التي في أضلعي
تهزم الليل وتجتاح الضبابا
شمعت في آسيا فاستيقظت
وصحت افريقيا .. غاباً فغابا !

* * *

يا حمام الدوح ! لا تعتب أسى
حسبنا ما أجهش الدوح عتابا
نحن لم نَزْجُرْكَ عن بستاننا
لم نَحْكَمْ في مغانيك الغرابا
نحن أشباه وقد أوسعنا
غاصب الأعشاش ذلاً واغترابا
فابك في الغربة عمراً ضائعاً
وارث عيشاً كان حلواً مُستطاباً
علّ نار الشجو تذكى نخوةً
في الألى اعتادوا مع الدهر المصابا
فتهد اللحد عنها جثث
ويمور البعث شيباً وشباباً

* * *

يا قرى .. أطلالها شاخصة
تتقرئ غائباً أبكى الغيابا

يا قرىَّ يُؤسى ثرى أجدائها
أنَّ في النسل جراحاً تتغابى
يا قرانا .. نحن لم نَسْلُ .. ولم
نغدر الأرض التي صارت يبابا
خصبها يهدر في أعراقنا
أَمْلاً حراً ، ووحياً ، وطِلاباً
والذرى تشمخ في أنفسنا
عزةً تحتطبُ البغي احتطاباً !.

* * *

يا بلاداً بَلَّاتُ كلَّ صدىٍّ
وصداها لم يَرِدْ إلا سرايا
يا بلادي نحن ما زلنا على
قسم الفدية شوقاً وارتقاباً
يا بلادي ! قبل ميعاد الضحى
موعدٌ ينضو عن النور حجاباً !

* * *

نكبةُ التيهِ التي أودت بنا
فطرقنا في الدجى باباً فباباً
عمّقت سكّينها في جرحنا
وجرت في دِمنا سماً وصاباً
وتهاوينا على أنقاضنا
فخرابٌ ضمّ في البؤسِ خراباً
ومن الأعماق .. من تُربتنا
هتف التاريخ .. والمجد أهاباً
فإذا أياมนา مشرقةٌ
بدمٍ .. من لونه أعطى التراباً
وإذا روما نداءً جارحاً
طاب يومُ النارِ يا نيرونُ طاباً !

* * *

أيها العاجمُ من أعوادنا
نحن ما زلنا على العجمِ صلاباً

فاسأل الجرح الذي عذبنا
كيف ألَبنا على الجرح العذابا
نكبة' التي سَدَّت بنا
كل أفق ضوأت فينا شهابا
فأفاقت من 'سبات' أعين'
وُلِدَ الدهرُ عليهنَّ وشابا
واشرأبت في المدى ألوية'
خفقت في الأربع الجُرد سحابا
وعلى وقع خطانا التفتت
أمم أغضت هوانا واكتئابا
ورؤانا أخضبت فاخضوضرت
أعصرُ ناءت على الشرق جدابا ؟

* * *

شعَفاتُ الشمس من غاياتنا
فازرعي يا أمتي الليلَ حِرابا

وإذا الأسداف أهوت جثثاً
وإذا أحنى الطواغيت رقاباً
وإذا فجرت أنهار السنى
وسنون الجذب بدّلن خصاباً
فانشري النور على كل مدى
وابعثي أجماده عجباً عجاباً
نحن أخرى مستجيباً إن دعا :
من يُفدّي؟ وهو أخرى مُستجاباً!

أكثر من معركة

في أكثر من معركةٍ داميةٍ الأرجاءُ
أشهر هذي الكلمات الحمراء
أشهرها .. سيفاً من نارٍ
في صفٍّ الإخوة .. في صفٍّ الأعداء
في أكثر من دربٍ وعُرٍ
تمضي شائخةً .. أشعاري
وأخافُ .. أخاف من الغدرِ

من سكين يُغمد في ظهري
لكني ، يا أغلى صاحب
يا طيّبُ .. يا بيتَ الشعرِ
رغم الشكِّ .. ورغم الأحزانِ
أسمعُ .. أسمعُ .. وقع خطي الفجرِ !
رغم الشكِّ .. ورغم الأحزانِ
لن أعدم إيماني
في أنَّ الشمس ستشرقُ ..
شمس الانسانِ
ناشرةً ألوية النصرِ
ناشرة ما تحمل من شوقٍ وأمانِ
كلماتي الحمراء ..
كلماتي .. الخضراء !

الساحر والبركان

« أسطورة مهداة إلى الحكم العسكري »

وشَعَّوْذ الساحر فانطلق
من 'قمقم البحار .. مارد' صغير
يريد للزورق .. أن يُقبَّل الفرق
يريد للحرية الحمراء
أن تقطن في كوخ .. من الورق
يريد للجدور أن تحيا بلا شجر

يريد للأشجار أن تحيا بلا ثمر
يريد للانسان أن يموت في الحياة !
يريد أن ...

وانفجر البركان !
والتهمت ساحرَه النيران
فعاد للقمقم يستجير
بساحرٍ جديد
بساحرٍ .. ليس له وجود !!

أخوة

« إلى الذين يعرفون الأخوة من جلدتها ..
« ويتركونها مرتجفة في صقيع الزيف !

أيا سائلي في تحدي وقوة
أتُنشدُ ؟ أين أغاني الأخوة ؟

قصائدك السود بركان حقد
ومرجل نار ، وسخط وقسوة

فأين السلام ؟ وأين الوئام
أتجني من الحقد والنار نشوه ؟ !

وصوتك هذا الأَجَشُّ الجريح
سَمِعنا صِداهُ الكئيبَ وشَجْوَهُ
فهلَّا طرحت رداء الحِداد
وغنيت للحبِّ أعذبَ غنوه !

* * *

أيا سائلي ! خلِّ عنك العتاب !
تلوم جريحاً إذا ما تأوَّه ؟
أخوك أنا ! هل فككت القيود التي
حَفرتْ فوق زنديٍّ فجوه !
أخوك أنا ؟ ! من ترى زج بي
بقلب الظلام .. بلا بعض كَوَّه ؟
أخوك أنا ؟ من ترى ذادني
عن البيت والكرم والحقل .. عنوه
تحمِّلني من صنوف العذاب
بما لا أطيق وتغشاك زهوه

وتشتمني .. وتُعَلِّمُ طفلك
شتمَ نبي . بأرضِ النبوه
تشكُّ بدمعي إذا ما بكيت
وتُسرف في الظن ان سرتُ خطوه
وتُحصي التفاتاتي المتعبات ..
فيوماً « أشار » ويوماً « تفوّه »

* * *

وإن قام ، من بين أهلك ، واعٍ
يبرئني .. تزدريه بقسوه
وتزجره شاجباً « طيشه »
وتعلن أننى توجّهت « لغوّه » !
وإما شكوتُ .. فمنك إليك ..
لتحكم كيف اشتيت فيك شهوه
فكيف أغني قصائد حبٍ
وسلم .. وللكره والحرب سطوه ؟

وأنشد أشعار حريّة ..

لقضبان سجنى الكبير المشوّه

أيا لائى ! أنتَ باللوم أحرى !

إذا شئتَ أنتَ .. تكون الأخوه !!

السلام

ليُغنَّ غيري للسلام
ليُغنَّ غيري للصدقة ، للأخوة ، للوئام
ليُغنَّ غيري .. للغراب
جدلانَ ينعقُ بين أبياتي الخراب
للجوم .. في أنقاض أبراج الحمام !
ليُغنَّ غيري للسلام
وسنابلي في الحقل تجهشُ بالحنين

للنورج المعبود يمنحها الخلود من الفناء
لصدى أغاني الحاصدين
لحُداء راعٍ في السفوح
يحكي إلى عنزاته .. عن حبه الخفير الطموح
وعيونها السوداء .. والقدر المليح

* * *

ليُغنَّ غيري للسلام
والعينُ ما عادت تبلُّ صدى شجيرات العنب
وفروعُ زيتوناتنا .. صارت حطب
لمواقد اللاهين .. يا ويلي .. حطب !
وسياجنا المهدودُ أوحشهُ صهيل الخيل
في الطَّفَلِ المهيب
والجُرْن يشكو الهجر .. والإبريقُ يحلم
بالضيوف

بال « يا هلا » ! .. عند الغروب

ورؤى البراوين المُنْغَبَّرَةِ الحُطِيمِ
تبكي على أطرافها ، تُتَفُّ من الصور القديمِ
وحقائبُ الأطفال .. أشلاءٌ يتيمة
لبثت لدى أنقاضِ مدرسةٍ مهدِّمةٍ حزينه
ما زال في أنحائها .. ما زال يهزأ بالسكينه
رَجَعَ من الدرس الأخير ..
عن المحبة والسلام !!

* * *

ليغنَّ غيري للسلام
وهناك .. خلف حواجز الأسلاك .. في قلب
الظلام

جثمت مدائن من خيام
سُكَّانُها ..
مستوطنات الحزن والحمى ، وسلَّ الذكريات
وهناك .. تنطفئ الحياة

في ناسِنا ..
في أبرياء .. لم يسيئوا للحياة !
وهنا .. !
كُهِمَت بِيَّارَةٌ من خلقهم .. خيراً كثير
أجدادهم غرسوا لهم ..
ولغيرهم ، يا حسرتي ، الخير الكثير
ولهم من الميراث أحزان السنين !
فليشبع المتضورون !
وليشبع الأيتام من فضلات مأدبة اللئام !!

* * *

ليغن غيري للسلام ..
وعلى ربي وطني ، وفي وديانه .. 'قتل السلام ؟

(الأسطر الثمانية الأخيرة من هذه القصيدة محذوفة
(بالشكل التالي :

x x x x x x x x

لا نُصَبَ .. لا زَهْرَةٌ .. لا تَذْكَارُ
لا بَيْتَ شَعْرٍ .. لا سِتَارَ
لا خِرْقَةَ مَخْضُوبَةٍ بِالدَّمِ مِنْ قَمِيصِ
كَانَ عَلَى إِخْوَتِنَا الْأَبْرَارِ
لا حَجَرَ "خَطَّتْ بِهِ أَسْمَاؤُهُمْ
لا شَيْءَ .. يَا لِلْعَارِ

* * *

أَشْبَاحُهُمْ مَا بَرَحَتْ تَدُورُ
تَنْبِشُ فِي أَنْقَاضٍ كَفَرَقَاسِمِ الْقُبُورِ

(الأَسطَر الثَّمَانِيَةُ الْآخِرَةُ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَيْضاً مَحْذُوفَةٌ
بِإِشَارَةِ الرَّقِيبِ الصَّهْيُونِيِّ ..)

وما

روما احترقت قبل قرون
لكنَّ الجذرَ الضارب في أرضه
لم يفقد في النكبة معنى نبضه
روما عادت .. يا نَـيرون !..

كر مثيل

« مدينة الحقد والجوع والجهنم »

صباح مساء
يطال عنا .. وجهها والسماء
ونبسم .. لا بسمه الأغبياء
ولكنها بسمه الأنبياء
تحدّاهم صالب تافه
يغطي الشموس .. ببعض رداء !

* * *

غداً .. يا قصوراً رست في القبور
غداً يا ملاهي .. غداً يا شقاء
سيدكر هذا التراب ، سيدكر
أناً منحناه لون الدماء
وتذكر هذي الصخور رعاةً
بنوها بأدعية من حذاء
وتذكر أناً ..

* * *

هنا سفرُ تكوينهم ينتهي
هنا .. سفر تكويننا .. في ابتداء !

من وراء القضبان

السجين الأول

دوريةُ البوليس لا تنامُ
ما فتئت تبهر في مستنقع الظلام
تجوس كل قرية .. تطرق كل باب
وتنكّت العتمة في الأزقة السوداء
من غيظها .. تكاد أن تقلّب الجيوب

لعابرٍ .. كان لدى أصحاب !

* * *

« يا بيتنا الوديع .. يا شبّاكنا المضاء
« ما أجمل السلامَ في حلقةِ أصدقاء
« يطالعون الشعرَ ، يشربون ، يروّون من
النُّكات

« ما يُضحك الأحياءَ من بليّةِ الحياة !
« وبينهم من جحفل الحرية الحمراء
« محارب مخضّب اللواء
« سلاحه .. أشعار
« تقطر من حروفها الدماء !

* * *

وداهمت مجلسهم دورية البوليس

لتلقي القبض على محارب وجهته النهار

.

وباتت الخمرة في الكؤوس

(حذف الرقيب الصهيوني المقطعين الثاني والثالث من هذه القصيدة
ومما على سعة سبع صفحات من الديوان) .

٤ - رسالة من المعتقل

ليس لدي ورق ، ولا قلم
لكنني .. من شدّة الحرّ ، ومن مرارة الألم
يا أصدقائي .. لم أنم
فقلت : ماذا لو تسامرتُ مع الأشعار
وزارني من كوةِ الزنزانةِ السوداء
لا تستخفّوا .. زارني وطواط
وراح ، في نشاط

يُقبِّل الجدران في زناتي السوداء
وقلت : يا الجريء في الزُّوَّار
حدِّث !.. أما لديك عن عالمنا أخبار ؟!
فإنني يا سيدي ، من مدَّةٍ
لم أقرأ الصحف هنا .. لم أسمع الأخبار
حدث عن الدنيا ، عن الأهل ، عن الأحباب
لكنه بلا جواب !
صَفَّقَ بالاجنحة السوداء عبر 'كوّتي' .. وطار !
وصحت : يا الغريب في الزُّوَّار
مهلاً ! ألا تحملُ أنبائي الى الأصحاب ؟..

* * *

من شدَّة الحرِّ ، من البقِّ ، من الألم
يا أصدقائي .. لم أنم
والحارس المسكين ، ما زال وراء الباب
ما زال .. في رتابةٍ يُنَقِّلُ القدم

مثلي لم ينم
كأنه مثلي ، محكوم بلا أسباب !

* * *

أسندتُ ظهري للجدار
مهدماً .. وغصت في دوامةٍ بلا قرار
والتهبت في جبهتي الأفكار

.

أماه ! كم يحزنني !
أنك ، من أجلي في ليلٍ من العذاب
تبكين في صمتٍ متى يعزود
من شغلهم إخوتي الأحباب
وتعجزين عن تناول الطعام
ومقعدي خالٍ .. فلا ضحكٌ .. ولا كلام
أماه ! كم يؤلمني !
أنك تجهشين بالبكاء

إذا أتى يسألكم عنيَ أصدقاء
لكنني .. أومن يا أماء
أومن أن روعة الحياه
تولد في معتقلي
أومن أن زائري الأخير .. لن يكون
خفّاش ليلٍ .. مدججاً ، بلا عيون
لا بدّ .. أن يزورني النهار
وينحني السجان في إنبهار
ويرتمي .. ويرتمي معتقلي
مهدماً .. لهيبه النهار !!

يهوشع مات

* على حد ما يبدو من القصيدة ، فان يهوشع هو اللفظ الآخر الذي يقصد الشاعر به يشوع بن نون ، القائد العسكري اليهودي الذي عبر الأردن من تيه سيناء ، واحتل أريحا ، وأحرقها ... » وكان بعد موت موسى ، عبد الرب ، أن الرب ، كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً * موسى عبدي قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني اسرائيل * كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى * من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم * ..

(العهد القديم - يشوع - الاصحاح الأول) .

يا حائرين في مفارق الدروب !

لا تسجدوا للشمس

لن يرقى لها صدى صلاتكم

بينكم وبينها سقف من الذنوب

لا تسكبوا الدموع ، لن ينفعكم ندم

الشمس في طريقها .. راسخة القدم

لا تركعوا .. لا ترفعوا أيديكم إلى السماء

تدمرت واندثرت أسطورة السماء

وأطرقت على متاه بؤسكم جنازة الهباء

يا حائرين في مفارق الدروب !

أغواركم خاوية .. إلا من الخواء

صلاتكم خاوية .. إلا من الخواء

يا ويلكم ! يا ويلكم

سرعان ما تغوص في أعماقكم

أظافر الغروب !

* * *

يهوشع مات

فلا تستوقفوا الشمس ، ولا تستمهلوا الغروب

سور أريحا شامخ في وجهكم إلى الأبد

يا ويلكم ! يا ويلكم !

سرعان ما تغوص في أعماقكم

أظافر الغروب

يهوشع راح .. ولن يؤوب

يهوشع مات !!

الذئاب الهمر

نُحِيتُ سراياك فاشربُ من سرايانا
كأساً جَرَعَت بها للذلّ ألوانا
واشحذْ مُدَاكَ على الجرح الذي عصفت
دماؤه بقلاع البغي نيرانا
أركانُ عرشِكَ ، آليتنا نقوِّضها
فاحشدْ فلولِكَ .. حياتٍ وعُقبانا
يا طامعاً بالذئاب الهمر ، ما غنمتُ
أطباعك السود ، إلا بعض قتلاننا

أسطورة الأسد المهزوم تمهرها
جداول من دم تجتاح « ردفانا »
يا غازياً غسِلْتُ بالنار حملته
لقد فتحت لدفن التاج كئيباً
بلادنا .. القدر المحتوم قاطنها
مذ كانت الشمس ، ما لانت وما لانا
وطارفُ المجد أقسمنا نسيده
على التليد الذي شادت ضحاياها
يا عابد النار ! ما زالت مؤرثة
على القنال .. فماذا تعبد الآنا

توتم

« توتم - رقصة إفريقية . تمثل صراع القبيلة
« مع وحش أسطوري مخيف .. يهاجم مضاربها من
« الغابة ولكنها تنتصر عليه ! ..

ألسنة النار تزغرد في أحشاء الليل
ويُدْمدِم طبل
وتهدئ بقايا الصمت طبول ضارية وصنوج
ويتهيج الإيقاع المبحوح .. يهيج

فَالْغَابَةِ بِالْأَصْدَاءِ تَمُوجُ
صَرَخَاتُ وَحُوشٍ تَطْفُو فَوْقَ هَدِيرِ السَّيْلِ
وَأَفَاعٍ جَائِعَةٍ تَحْتَ الْأَعْشَابِ الْعَمَلَاةِ تَنْسَلُ
وَيُحَلِّقُ حَوْلَ النَّارِ زَنُوجُ !
أَشْبَاحُ تَرْقُصُ حَوْلَ النَّارِ
وَإِلَى أَطْرَافِ الْغَابَةِ يَمْتَدُّ الظِّلُ
بِخَطَى تَتَرَدَّدُ .. هِيَابُهُ
وَيَمِزُّ قَلْبَ اللَّيْلِ دَوِيُّ الشَّارِ
تَوْتَمَ .. تَوْتَمَ .. تَوْتَمَ !
وَأَكْفُ سَوْدٌ تُلْهَبُ جِلْدًا طَبُولُ
فَتَدْمَدِمُ مِنْ أَلَمٍ .. وَتَدْمَدِمُ
دُمُ دُمُ .. دُ .. دُ .. دُمُ
دُمُ دُمُ .. دُ .. دُ .. دُمُ
أَحْقَادُ قُرُونٍ تَتَضَرَّمُ
وَيَعُودُ يَمِزُّ قَلْبَ اللَّيْلِ دَوِيُّ الشَّارِ

تَوْتَمَ .. تَوْتَمَ .. تَوْتَمَ !
وتُسْرَعُ في وهجِ النيرانِ رماح
تنقضُ لتغسل عارِ عصورِ الظلمةِ بالدمِّ
« الغابةُ قَبْرُكَ .. يا استعمار !! »

باتريسن لومومبا

« شاعر الحرية ورسولها . في مجاهل
غابات الكونغو الزنجبي المعذب ! »

لاطم الريح بالجنّاحين .. واصعد .. يا حبيب الحرية المتمرّد !
أيّ هذا النسر الذي راعه العيشُ بوادٍ كابٍ .. ذليلٍ .. مقيّد
فتلوّى في بؤرة الوحل والشوك .. بشوقٍ إلى السنى متوقّد
وأضاءت أحلامه برؤى موسى ، وعيسى ، وأمنيات محمد
وأضاءَ الحنينَ للذروة الشّماء .. بين النجوم .. أعلى وأبعد

فَنَزَا لِلْعَلَاءِ .. مِينَاؤُهُ الشَّمْرُوخُ ، فِي قِمَّةِ الْإِبَاءِ الْمُوَطَّدِ

* * *

يَا هَتَافَا ، لَوَقْعِهِ زُلْزِلَ الْكَوْنُفُو الْحَزِينُ الْمَعَذِبُ الْمُسْتَعْبَدُ
أَغْفَلَتْهُ عَصَابَةٌ سَاقَتْ الشَّعْبَ عَيْدَاً .. لِأَجْنِيٍّ مَسْوَدٍ
نَسَرَ إِفْرِيقِيَا الْعَظِيمَ .. نَدَاءُ الشَّمْسِ دَوَّى عَلَى الْوُجُودِ وَأَرَعَدَ
فَاسْتَجَبْتَ النَّدَاءَ .. لِيَكِ يَا أُمِّي .. غَدَاً فِي أَفْقِ الْبَطُولَاتِ
مُوَعَدَ

وَشَدَّدْتَ الْجَنَاحَ ، فِي الْقَلْبِ نَبْضٌ لَهْيٌ .. وَأُدْمَعٌ تَتَجَلَّدُ
بَعْدَ عَهْدٍ مِنَ الظَّلَامِ ، طَوِيلٍ ، فِي سَمَاءِ الْعَبِيدِ أَشْرَقَتْ فَرَقْدُ
فَاحْمِلِ الْمَشْعَلَ الْعَظِيمَ وَمَزَّقْ مَا أَرَادَ الْغَزَاةُ لَيْلًا مُنْخَلَّدًا !

في صف الأعداء

أمس استوقفني في الشارع يسأل عن « بار »
يقضي فيه بقية ليله
زنجي بحار

يعمل عتالاً في إحدى سفن الدولار
وتحدثنا فإذا بي أستلطف ظله
- هل نشرب كأساً يا صاحب ؟..
ولدى مائدة واجمة في المقهى الثثار

كان صديقي يشربُ .. يشرب باستهتار !

هذا الزنجيُّ يحب النسيان

فلماذا ؟ .. من أيةِ أغوار

ينبع هذا الانسان ؟

- قل لي .. حَدِّثني عنكم في أميركا الحرَّة

عن مدرسة البيض ، كنيستهم ، فندقهم ،

وعبارات

كتبتُ بالفوسفور وجابت كل الحارات :

« ممنوعُ إدخال كلاب ويهودٍ وزنوج » !

- او .. وه .. اتركني باسم الشيطان

هل حولك لي أنثى ؟ فقُبَيْلَ الفجر

سنُسَيِّبُ هذا الميناء .. ونمضي عبر الأخطار !

- حسناً ! حَدِّثني عن وطنِ النارِ السوداء

هل تسمع عن أبديٍّ يُصطاد

عن أدغالٍ تهوي تحت الليل رماد
عن حقل مزروع شهداء
عن شعب يَنْسَبَتْ في أرضٍ
بدماء القتلى مروية

عن شمسٍ تولد حاملةً
خبزاً .. أحلاماً .. حريّة

هل تسمع عن إفريقيه ؟!
- أسمع .. أسمع .. دقاتِ طبول « السمبا »
وأرى الحسناء الزنجيه
تترجرج كالنار الغضبية

في رقصة حبّ دمويه

- حسناً .. حسناً .. حدّث عن كوبا

هل تعرف شيئاً عن شعبٍ

ما عاد مسيحاً مصلوباً

لو أنشد هذي الليلة أغنيّه
— كوبا ؟ لو أحمل هذه الليلة قيثاره أغنيّه
فتزاح ستاره

عن جسدٍ بضٍّ في إحدى الشرفات

* * *

يا ساقية الحانه
وَيَلْمُكَ .. فارغةٌ كَأَسِي
وأنا ما زلتُ أَحْسُ على عنقي ، رأسي
ورفيقك .. ما لرفيقك أَخَذَ الحانه ؟ ..
أمس استوقفني في الشارع يسأل عن بار
واليوم صباحاً كان من الأخبار
أمريكيٌ أبيضٌ مات
مات وفي شفتيه نداءٌ :

فلتسقط كلمات

كتبت بالدم وبالأحزان
فليسقط عارُ الانسان
يرفعه الفاشست على وحلِ الرايات
« ممنوع إدخال كلابٍ ويهود وزنوج » !!

من أجل

من أجل صباح !
نشقى أياماً وليالي
نحمل أحزان الأجيال
ونكوكبُ هذا الليل جراح !

* * *

من أجل رغيف !
نحمل صخرتنا في أشواك خريف

نعري .. نحفي .. ونجوع
ننسى أننا ما عشنا فصلَ ربيع
ننسى أننا ...
خطواتٌ ليسَ هنَّ رجوع !!

الجنود

قوموا اخرجوا من قَبَونِكم ، يا أيها النيام !

اليوم للأعراس

دُقُّوا له الأجراس

وارفعوا الأعلام

لاقُوه في حماس

لاقوه بالهتاف .. بالأفراح .. بالأغاني

هبُّوا اصنعوا أعظم مهرجانٍ

غَطُّوا المدى بأغصن الزيتون
وطيِّروا الحمام

جاءكم السلام

يا مرحبا .. جاءكم السلام !

نحن على الحدود

نحن على الحدود .. لا ننام

أَكُفُّنَا لصيقةً على مقابض الحديد

عيوننا ساهرة .. تجود في الظلام

قلوبنا تدق في انتظارهم ..

أعدائنا الغزاة

نحن تعلمنا .. تعلمنا ..

أن نسلب الحياة !

* * *

نحن على الحدود .. كالكلاب ، كالقرصان !
لا نعرف الهدوء .. لا ننام
فاستقبلوه .. استقبلوا السلام
عاش السلام .. عاش السلام !!

عرفك النيك

أسمعه .. أسمعه !

عبرَ فيافي القحط ، في مجاهلِ الأدغال

يهدرُ ، يدنوي ، يستشيط

فاستيقظوا يا أيها النيام ..

ولنبتنِ السدود قبل دمة الزلزال

تنبهوا .. بهذه الجدران

تنزل فينا من جديد نكبة الطوفان !

* * *

لمن تُزَيِّنُونَهَا .. حبيبتى العذراء !

لمن تبرِّجونها ؟

أحلى صبايا قريتي .. حبيبتى العذراء !

حسناؤنا .. لمن تُزَفِّ ؟

يا ويلكم ، حبيبتى .. لمن تُزَفِّ ؟

لِلطَّمِي ، للطحلب ، للأسماء ، للصَّدف ؟

نقتلها ، نُحَرِّمُهَا ، وبعد عام

تنزل فينا من جديد نكبة الطوفان

ويومها لن يشفع القربان

يا ويلكم ، أحلى صبايا قريتي قربان

ونحن نستطيع أن نبتنى السدود

من قبل أن يدهمنا الطوفان !

* * *

بَدارِ .. باسم الله والانسان

فانني أسمعُ .. أسمعُ :

ولي أنا .. حبيبي العذراء !!

الى طاحب ملايين

نَمْ بين طَيَّاتِ الفراشِ الوثيرِ
نَمْ هانئَ القلبِ ، سعيداً ، قرير
فكل دنياك أغاني سرور !

* * *

المال في كفيك نهر غزير
والقوت ، أغلاه ، وأغلى الخمر

وألفُ صنفٍ من ثياب الحرير
والصوف والسجاد ، منه الكثير
« وكادِلاك » .. في رحاب القصور
والغيد ، واللحن وسحر الدهور !
نمّ خالياً .. لا قاربَتك الشرور
وكل ما تبغيه .. حتماً يصير
إن شئت .. فالليل صباح منير
أو شئت .. فالقفر ربيع نضير
والقبر إن ترغبُ .. حياةٌ ونور
واطلب .. ففي الجلود يصفو غدير
والآن ! يا نجلَ العلى يا أمير
يا عالي المقام .. يا .. يا خطير
يا تاجَ رأسي .. يا زعيمَ الكبير
إسمحْ لهذا الشيء .. هذا الفقير

إسمح له بكلمةٍ لا تضير
عندي سؤالٌ مثل عيشي حقير
أرجوك أن تسمعه ، ألاّ تشور
من أين هذا المال .. يا « مليونير » ؟!

المطر والفولاذ

وينتصب المصنع المارد
إلهاً .. كلانا له عابد
وتدوي الدواليب مزهوة
ويدوي بنا شوقنا الصامد
فيا سُحب الغيثِ مدِّي يداً
سحابُ مداخننا صاعد
وصبّي الحياة على شرقنا
فقد هيأ المنجل الحاصد

وآلتنا وَعَدَتْ طِفْلَنَا
بكلمك.. فهل يكسف الواعد ؟

* * *

تَهَلَّلْ بنا يا غداً لم يكن
سوى مطمحٍ .. فالسنى عائد
تَهَلَّلْ ! ستخضرُ أشواقنا
ويذبض شريانها الخامدُ
ففي كل أفقٍ لنا مشرقٌ
وفي كلِّ دربٍ لنا رائد
ومِغْزَلُنَا بعد طولِ انتظارٍ
تحرَّكْ منواله البارد
وضم غيوم البحار وغيم الـ
مصانعٍ .. منهجُنَا الواحد
إذا ماتَ من يأسِهِ عاجزٌ
فإنَّ الرجاءَ .. بنا خالد

السرطان

« إلى قايين وهابيل العصر اللذين
لم يصرع بعد ، أحدهما الآخر! .. »

- ١ -

شواهد الرخام
تجثمُ في الطين ، تغطي الشاطئَ المديد
ولم تزل سفائن العبيد
مُثْقَلَةً بالنارِ ، بالسُموم ، بالحديد
تتمخرُ بجر الدمع والصدید

وخلفها مدائن الموتى
والصمت ، والخراب ، والدخان
وفي مغاور المدى الدفين في الظلام
يعوي مخاض الرعب والقَتَامُ
والسرطان يُطفئ الشمس ويستفيق
يشبُّ من شهوته حريق
متى تزلزل الوجود صرخة اللئام ؟
إلى الأمام .. إلى الأمام ..!!

- ٢ -

من ألف ألف عام
لا ينشف السكين .. والجراح لا تنام
حمائم القماش في الفضاء
مطلقة بالمعدن المسوخ .. بالرياء
وخلف يبرق السلام

تَغْلِي صُنَابِيرُ الدَّمَاءِ
وَيَرْجِفُ التُّرَابُ فِي الْأَعْمَاقِ
وَيَهْلَعُ الْأَسْفَنْجُ فِي الْقِيَعَانِ
وَالرَّعْبُ يُقْلِقُ النُّجُومَ
وَالسَّرِطَانُ يَطْفِئُ الشَّمْسَ وَيَسْتَفِيقُ
يَنْتَظِرُ الدَّمُ الْمَرَاقَ
وَفُضْلَةُ الْجَذُورِ وَالْعِظَامِ
مِنْ أَلْفِ أَلْفِ عَامٍ

- ٣ -

مَفْتَرِقِ الطَّرِيقِ
مَنْ أَيْنَ يَا قَوَافِلَ الرَّقِيقِ ؟
فِي أَيِّ شَعْبٍ تَرْحَلِينَ ؟
لَأَيِّ أَفْئُقٍ تَرْحَلِينَ ؟
تَمْهَلُوا يَا حَامِلِي الصَّخُورِ
تَمْهَلُوا .. مَفْتَرِقِ الطَّرِيقِ

والبحر من ورائكم يموجُ
والعدو من أمامكم يموج
والشواظ .. والحريق
يُفَزِّعُ الغِلَالََ والمروج
والصخرُ في الأغوار
يضخمُ .. يعلو .. ينذرُ الخليج
وخلفكم ، يا ضائعون ، ماتت الشطآن
ولم يعد مكان
تُغْرَسُ في جراحه شواهد الرخام
خلفكمو لم يبق غير البومِ والديدانِ والغربانِ
والرعبِ ، والأوباءِ ، والظلام
والقيظ ، والصدى ، والازدحام
وخطوة المصير في مفترق الطريق
والسرطان !
يطفىء الشمس ويستفيق !!

طفلك يعقوب

« إلى فمك بالبوق ، كالنسر على بيت
الرب ، لأنهم قد تجاوزوا عهدي ،
وتعدوا على شريعتي » . (التوراة)

من هذا الصخر .. من الصلصال
من هذي الأرض المنكوبة
يا طفلاً يقتل يعقوبه
نعجن خبزاً للأطفال !

من ترمي في ليلِ الجُثِّ !
أنظر .. واحذر
من حفرةِ غدرٍ تحفرها في دربي
يا خائنَ عهدِ الربِّ !!

اقطاع

يا ديدانا تحفر لي رمسي
في أنقاض التاريخ المنهار
لن تسكت هذي الأشعار
لن تحمد هذي النار
ما دامت هذي الدنيا
ما دمنا نحيا
في عصر الاقطاع النفسي

فسأحمل فآسي
سأشجُّ حماقات الأوثان
وسأمضي .. 'قدماً ، 'قدماً ، في درب الشمسِ
بإسم الله الطيب .. بإسم الانسان !!

الإنسان الرقم

رَفَعَ المقعدُ لي نظارتيه
سيدي ماذا تريد ؟
ومضى .. بالقلم المسلول ، والوجه الكليل
يحرث الأوراق في صمت بليد
والحروف الصمّ والأرقام ثلجٌ في يديه :
سيدي .. ماذا تريد ؟

* * *

وتنحنحتُ .. أنا أبحث عن نفسي هنا
رَقَمِي .. خمسة آلاف وتسعة

* * *

ومضى يبحث عن خمسة آلاف وتسعة
ليس يعنيه « أنا » !

* * *

ثم عاد الأخطبوط الأصفر الشاحب من وعرة الرحيل
غاضباً .. بالقلم المسلول والوجه الكليل :
« سيدي .. ليس له أي وجود » !!

* * *

ثم عاد المقعد الميَّتُ يبحث من جديد
كُومَ الأوراقِ
يفتالُ الحروفَ السودَ والأرقامَ في صمتٍ بليدٍ

* * *

رقي ليس له أي وجود
و « أنا » .. ليس له .. أي وجود !!

مرثية أغنية قديمة

كم استثرتِ عندهم كوامنَ الأشواق
كم كنتِ بينهم حمامة السلام
فعاودتِ قلوبهم نوازعُ الغرام
ودمعت عيونهم من الفرح
فاختصروا العتاب
وعمّروا مجالس الشراب

* * *

من سنةٍ .. آخرهم .. يرحمه الله

ويومها ..

- ولم يكن يفهم ما تحكين إلاه -

من سنةٍ يرحمك الله !

يا طابعاً أهمله البريد

فلن يُعيد

من حلوةٍ جواب

لمدنفٍ مُتَيِّمٍ .. لن يجمع الأحباب

* * *

لن تستثيري عندهم كوامنَ الأشواق

لن تبعثي أجدادنا العشاق

يا جدّةً طاهرةً الرفات

يا حيّةً المات ..

يا مَيِّتَةَ الحياة !!

حرب الهلوة

عيناك !!.. وارتعش الضياء بسحر أجمل مقلتين
وتلفَّتَ الدربُ السعيد ، 'نَحْدَرَأ' من سكرتين
وتبرَّجَ الأفقُ الوضيء لعيد مولد نجمتين
والطير أسكتها الدهول ، وقد صدحتِ بخطوتين
والوردُ مال على الطريق يودُّ تقبيل اليدين
وفراشةٌ تاهت إلى خديكِ .. أحلى وردتين
ثم انثنت للنور في عينين .. لا .. في كوكبين

وَنَحْيَلُهُ هَمَّتْ لَتَمْتَصَّ الشَّدَى مِنْ زَهْرَتَيْنِ
رَحْمَاكَ !.. رَدَّيْهَا .. وَلَا تَقْضِي بِمَوْتِي مَرَّتَيْنِ
فَأَنَا .. أَنَا دَوَّامَةٌ جُنْتُ بِبَحْرِ مِنْ لُجَيْنِ
أَصْبَحْتُ ، مَذْ نَادَى بِعَيْنِكَ السَّبِيلِ .. كَمَا تَرَيْنِ
سُكَّرٌ غَرِيبَ الْخَمْرِ .. مِنْكَ .. اجْتَاحَنِي قَلْبًا وَعَيْنِ
مَاذَا ؟ .. أَحْلُمَا مَا أَرَى .. أَمْ وَاقِعًا .. أَمْ بَيْنَ بَيْنِ
يَا طَلَّةَ الْأَسْحَارِ قَلْبِي ذَابَ فِي غَمَّازَتَيْنِ
وَوَثَى هُنَالِكَ نَاسِكًا ، مَا حَمَلَ الْمَعْبُودَ دَيْنِ
يَا حُلُوةَ الْعَيْنَيْنِ ، إِنكَارَ الْهَوَى زُورٌ ، وَمَيْنِ
فَتَشَجَّعِي !.. وَبِقَبْلَةٍ صَغْرَى أَبِيعُكَ قَبْلَتَيْنِ
وَتَشَجَّعِي !.. وَالْحَبَّ يَخْلُقُ هَيْكَلًا مِنْ هَيْكَلَيْنِ
إِنْ تَعْطِنِي عَيْنَاكَ مِيعَادًا أَلَمْ الْفَرْقَدَيْنِ
أَيَكُونُ مِنْ حَظِّي لِقَاءٌ يَا تَرَى ؟ وَمَتَى ؟ وَأَيْنَ ؟ ..

يوم الأحد

« إلى الجنة الحزينة.. واللقاء الأول..
وشجرة الكرم ! »

المواعيدُ سَهتْ عن موعدي
فتشرّدتُ بتيه الأبدِ
أنكرتُ سود الليالي أرقى
وجناح الدفء جافى مرقدى
والتقينَا صدفةً قَدِيْسَةً
جمعتُ قلبين يومَ الأحدِ

فغدا يوم المسيح المفتدى
بدءً تاريخي ، وذكرى مولدي

* * *

حلوتي ، يا جنةً محزونةً
أنا من قبلُ ، بها لم أنشد
طائري ما كان يبني عُشه
في جنانِ الحب لو لم توجد
فاحضنني .. أدمعاً حائرةً
أقسم الحرمان ألا تهتدي
رؤيتُ منها قلوبٌ جمّةٌ
وأنا .. منبعها الثرُ .. الصدي
عانقيني بهجةً ناسكةً
غير أرباب الهوى لم تعبد
وخيالاتٍ تجلّت في دنى
لم تطفُ أشباحها في خلدٍ

عالمٌ للروح طوّفت به
شطه استعصى على كل يد
أنا أهواك .. هوىً نيرانه
تخذت أخطايا من جسدي
طهرت روعي ، ومست شفتي
فإذا فيها الذي لم يُعهد
قبّل تسألني عن شفة
لم تنل .. كالوهم في ظنّ الغد
وحروف يسجد الوحي لها
لسوى عاطفتي لم تسجد
يا ابنة الأحلام في غيبوتي
جسدي أحلام حي .. جسدي
المواعيد التي لم نحياها
أمس .. نحياها غداً .. في موعد

وماذا

ألا تشعرين ؟ ..
بأننا فقدنا الكثير
وصار كلاماً هوأنا الكبير
فلا لهفة .. لا حنين ..
ولا فرحة .. في القلوب ، إذا ما التقيننا
ولا دهشة .. في العيون ..
ألا تشعرين ؟ ..

بأن لقاءاتنا جامده
وقبلاتنا بارده
وأننا فقدنا حماس اللقاء
وصرنا نجامل في كل شيء .. وننسى
وقد يرتمي موعد .. جثة هامده
فنكذب في عذرنا .. ثم ننسى
ألا تشعرين ؟ ..
بأن رسائلنا الخاطفه
غدت 'مبهات' .. قصيره
فلا حِسّ .. لا روح فيها .. ولا عاطفه
ولا غمغات 'خياليّة'
ولا أمنيّات .. ولا همسات مثيره !
وأن جواباتنا أصبحت لفتات بعيده
كعبء ثقيل .. نخلّص منه كواهلنا المتعبه
ألا تشعرين ؟ ..

بدنيا تهاوت .. ودنيا جديده
ألا تشعرين ؟ ..
بأن نهايتنا 'مرّة' .. مرعبه ؟ ! ..
لأن نهايتنا .. لم تكن 'مرّة' .. مرعبه ؟ ! ..

قربان

هذي الحروف المدهمة
يا سيدي ، أحزانُ أمّه
سطّرتها بتمرّدي
في فجرِ آتٍ لم أضمه
وبها أروّي غرسةً
بلظى جحيمك مستحمة
لأصيد من وادي الأسى
والدمع ، للأطفال ، بسمه

لأردّ للشكلى ابنها
لأعيد للمفجوع أمّـه
يا سيدي !.. فأغضب وثر
واقطع عليّ طريق لقمه
حسبي من الزاد الصمود
ومن جنى الإيمان نعمه
يا سيدي !.. أنا لن أجوع
وبي من الأحقادِ تحمه
فاشحن مـداك على جراحي
إنني قربان كلمه !!

دخات البراكين

دخان البراكين

« حين يفرغ الحاكمون من كلامهم
« فسوف يتكلم المحكومون !! .. »

ليلى العدنية

« قصيدة دم .. على ربابة شهدائنا »
إلى واحد من فدائيي الشمس في جنوبنا المقاتل ..
واحد .. من الرجال الذين أرادوا الحرية ، فاخترقوا إليها الموت ! ..
إلى الجندي الذي صنع من عظام أطفاله القتلى ، سكاكين ثار ، ومناجل
حصار .. ومن حجارة بيته المنسوف ، صنع تمائيل أطفال ، وقوارات
ورد ..
إلى .. القوي مكوي .. أخاً ، ومعلماً !

من :
سميح القاسم

- ١ -

شاءها الله شهية !
شاءها الله .. فكانت .. كبلادي العربية !
شعرها .. ليلة صيف بين كئيبان تهامة
مقلتاها .. من مهابة يمينه
فمها .. من رطب الواحة في اليد العصية
عنقها .. زوبعة بين رمالي الذهبية
صدرها نجد السلامه
يحمل البشرى إلى نوح ،
فعودي يا حمامه !
ولدى خاصرتها ، بعض شطآن القصيه
شاءها الله فكانت كبلادي العربية !
نكهة الغوطة والموصل فيها .
ومن الأوراس .. عنف ووسامه
وأبوها شاءها أحلى صبيته

شاءها إسمًا وشكلا
فدعاها الوالد المُعْجَبُ : ليلي
وإليكم أيها الإخوان .. ليلي العَدْنِيَّة !

- ٢ -

كبرت* ليلي على سحر الليالي البدويه
كبرت ليلي .. وصارت
تشتهيها العين ، حسناً وسجيه
أصبحت قِبلة غلمان القبيله
رغم أن المهر غالٍ .. والمحاصيل قليلة !
كبرت ليلي ..
وفي يوم من الأيام ، ناداها أبوها :
- لبن الناقة في القصعة ، والتمر كثير .
وأنا ماضٍ ، إلى الشيطان ، ماضٍ يا عَجِيَّة (*)

(*) العجية ، في القاموس ، وفي لغة البادية ، هي أنثى الإبل ، أو
الانثى التي فتدت أمها رضية ، فربيت بلبن غيرها .

ثم شدَّ البندقية

ومضى يدفع عن ليلي الذئاب الأجنبية !

وراح مرزوق وخلص في يد الرحمن بيته

راح .. فالشيطان غصَّت بذئابٍ وعقارب

من مغيرين أجانِب

أقبلوا من جزر الاسمنت والقرميد ، من بحر الشمال ،

من بلاد ، اسمها .. بريطانيا العظمى - يقال !

ويقال

إنها ملأى ضباباً ، ودواليباً وغابات مداخل

أقبلوا ، باسم إلهٍ خائبٍ ، في السنّ طاعن

حلمهم أن يحملوا للغرب بنته

حلمهم أن يحملوا ليلي سبيته !

طار مرزوق على سرجٍ مكرٍ

من جيادي العربي

في يديه البندقية

وعلى عينيه من عنف الصحاري
ألقَ صلب ، وقبظ ، وضواري
تهدر الريح على جنبه غضبي ، مستفزّه
وتُدوي شفتاه

بالأهازيج .. فقومي يا حياه
هَلِّلي للفارس القادم .. إيماناً وعزّه !
طار مرزوق على ظهر مكرّ
من جيادي العربيه
في يديه البندقية
ومضى يوم .. ويومان .. وما عاد المحارب
كانت الشيطان ملأى بذئابٍ وعقارب !

- ٣ -

أنخيل ؟
أم فَرَاشي ما-هم يُبدع لوحاتِ الأصيل ؟

وصبَا البید الرخیَّه
أم نواحات عجبیه
لم یعد والدها ، والشط غیلانُ منیَّه ؟
رائعاً کان النخیل !
کل نخله

لبیوت الشَّعر مرساة ، وللقوم مظلة
رائعاً کان النخیل !
کفراشی 'ملنهم' یبدع لوحات الأصل
حین دوَّت فی فناء الحيّ ضروضاء سنابک
.. وصهیل

فاهرعی لیلی ، إلى فتحة بابک !
- یا إلهی ! ویل یتمی !
- فزَّعی الرِّبع

وشقَّتی دونهم ، شقی الثیاب
جلَّ یا أخت المصاب

فزعي الربع فقد عاد الجواد
عاد .. لكن .. وحده يا أخت عاد !!

- ٤ -

رائعاً كان النخيل !
بائساً صار النخيل ..
بعد أن أهوى على الشاطئ ، مرزوق القتيل
برصاصات الدخيل ..
خرّ مرزوق ، وعيناه ، وعين البندقيه
في الوحوش الأجنبية
خرّ مرزوق الذي نادته للحرب بلاده
ومضى من حوله يسهل محزوناً .. جواده !
وانقضى يوم ، ويومان ، ومرزوق ممدّد
تندب الشمس عليه ، والسواقي تتنهد ..
- فارس البید مجنّد -

فلمن يا ابن الجياد الصَّيدُ تصهل ؟
نُعد إلى المضرب ، فالقيظ شديد
نُعد ، وإلاَّ مت ظمآنًا كمرزوق الشهيد !
واستدار العُنُق الأَصنيد ، يا ليلي ، فقومي ..
فزَّعي القوم ،
وشقِّي دونهم ، شقِّي الثياب
جلَّ يا أخت المصاب !

- ٥ -

منذ أن عاد بلا فارسٍ ذاك الجواد ،
'كحل' ليلي صار ... باروداً ورملاً وغبار
وغدا الميل ، رصاصه
وبكت ليلي .. بكت ليلي طويلاً ..
دمع ليلي لم يكن ماءً وملحاً وانكسار
كان جمرأ ، ونداءاتٍ لثار !

ومضت ليلي إلى الحيّ .. وصاحت :
يا لثأر الفارس المذبوح بالأيدي الغريبة
يا لثارات العروبه
يا .. لثارات .. العروبه
وعلى ظهر الجواد ،
زغردت ليلي ،
فلبّى المُرْد والشيب وهبوا للجهاد !!

- ٦ -

ذات يوم .. كانت الصحراء قيظاً ، وخيالا
وسراباً ، ونخيلاً وجمالاً
كانت الصحراء ، رملاً وحداءً وهوادج
همها أن تلهم الشّعْر مغنّين كسالى ..
كانت الصحراء .. كانت .. ذات يوم
زغردت ليلي ، فدوى اللغم في أعقاب لغم-

صارت الصحراء مقتاة رؤوس .. ذات يومـ

والضغائن

ترقب الأعداء ، في صمتِ الكائن !

ومضت ليلي ..

– أبي !!

واهتزت البید الوفیة !

جثة ، تدفنها الريح ، برملٍ وغبار

في جلالٍ ورویة

والجراح السود تستصرخ : أقدم !

أيها الآتي ورائي .. خذ بشاري !

خذ بشاري .. خذ .. بشاري ؟!

وانحنت ليلي الشقیة

قبّلت جبهة حامیها القتیل

وعلى خدّیه مرت راحتها

مثلما اعتادت ،

مقي رويح من أخطار تجوابٍ طويل !

- ٧ -

عانتُ ليلي أباهما !

ثم هبت واقفه

نزعت من راحتيه البندقية

وبصوتٍ العاصفه !

وبأصواتِ الملايين الغضاب الزاحفه !

صرخت : لن تدفنوه !

قسماً .. لن تدفنوه ،

قسماً ، ما لم نطهر كل شيطان العروبه

من ذئاب الغزو ،

مصّاصي صحارينا الحبيبه !

وبصوتٍ العاصفه ،

وبأصواتِ الملايين الغضاب الزاحفه !

هتفوا من حولها : لن ندفنه ،
قسماً .. لن ندفنه
قسماً .. ما لم نطهر كل شيطان العروبه
من نفايات القرون المنتنه !
كانت الصحراء ، ذلاً وخنوعاً .. ذات يوم
ويُدوِّي اللغمُ في أعقاب لغم
صارت الصحراء ميدان معارك ،
فخنادق ..
وبنادق ..
ودماء .. وحرائق !
فلتحسِّي اليوم - يا بريطانيا العظمى - بعارك
لتعودي لصغارك !!

- ٨ -

« رهط مرزوق » على السفح وفي الوادي العقارب

- احكموا التصويب .
- أفنؤهم ، وإلّا ، أأرقؤا كل المضارب !
ضغطت ليلي حديد البندقية
قبّلت إصبعها حدّ الزناد
وبكت ليلي .. بكت ليلي الشقيه ،
صنعوا منها أداة دمويه
فلماذا ؟

صنعوا منها أداة دمويه !؟
وبكت ليلي ، وشدت يدها حد الزناد
- الحصاد !
- الحصاد !

- يا بني عمّي .. الحصاد !
وكما تنقضّ أسراب النسور
وكسيل غاضبٍ يحرف للوادي الصخور ،
هكذا انقضّ على الغازين من خلف البحور

« رهط مرزوق » الجسور !
ساعةٌ مرّت - ومرت ساعتان
طلقة منا - ومنهم طلقتان
جثة منا - ومنهم جثتان
« رهط مرزوق » إلى الوادي ، وللسفح العقارب !!
- أحكموا التصويب !
- أفنّوهم ، وإلاّ ، أهلكوا مَنْ ظلّ منا ..
وأبادوا الزرع والضرع
وأفنت نارهم كل المضارب !
زغردت ليلي - فيا بيدُ أعيدي
وبنار الثائرين السمر .. ميدي !
الأهازيجُ تدوي :
« ما نطيق الذلّ : يا ربع الجدود
« وابن أخت النذل : مَنْ يرضى القيود
« ما نطيق الذلّ : للعادي الغريب

« نهزم المحتل : لو حق نبيد !
ساعة مرت - ومرت ساعتان
طلقة منا - ومنهم طلقتان
جثة منا - ومنهم جثتان !

- ٩ -

همدت ريح الغزاة !
والفقى المحظوظ منهم ،
أسلم الساقين للريح .. فصانته الحياة !
هربت منهم بقايا
وعلينا .. تركوا همّ الضحايا
فتعالوا يا بني أمي ، تعالوا ..
كي نخط القبر للقتلى
لقتلانا وقتلاهم ،
ونتلو ما لدينا من صلاة

رحم الله الضحايا
من بنينا والغزاة !
مثل خفّ الجملِ الجوّال في البيدِ الرحيبه
كانت الشمس الكئيبه
مثل وجه الجثة المُلقة في أرضٍ غريبه
كانت الشمس الكئيبه
ضوءها الشاحب ، ينهار على السمر الرجال
- مزقوا قمصانهم
وأجعلوا منها ضمادات الجراح
وأجمعوا القتلى .. هلموا !
لحظة .. ثم ينادينا القتال
إنه موسم نار وكفاح !

- ١٠ -

- من ضحايانا

- عليّ - وأمين - وسعيد
وأبو محمود - والمهدي - وفهد ورشيد
وأبو النصر - ومروان - وعبدالله - وال ...

ل .. ي .. ل .. ي !!

ودوَّى الاسم « ليلي » .. ثم دوَّى

وعلى جثتها ، كالنجم أهوى !

كان مفتوناً بها عدنان .. عدنان الحزين

طالما منى بها النفس .. بعرض ..

وببيت .. وبنين ..

كان يهواها الحزين !

وسدوها سرج مرزوق وصلوا :

« دم ليلي لا يُطَلَّ ! »

سبّوا الجفنين .. يا صيد القبيله

وخذوا منديل عدنان

خذوا منديله ، شدوا يدي ليلي القتيله !

لا تنوحوا .. لسوانا .. عادة الدمع الذليله
لا تنوحوا ..

زهرات الفل والبرقوق ، في الصدر الوديح
هي بشرى للصحارى .. بالربيع !

- ١١ -

هذه يا أيها الإخوان ، ليلي العدنيه
شاءها الله ، فكانت كبلادي العربيه ..

سقطت ليلي الحبيبه

سقطت .. باسم العروبه !

سقطت ليلي .. ولكن

قسماً ! لن تدفنوها

قسماً .. لن يطمس الرمل بلادي العربيه !

من دم القتلى ، سندسقيها . ونحييها ..

ونعطيها حياة أبدية ..

باسم ليلي ! .. باسم ليلي العدنيه !!

من مفكرة أيوب

جدول أعمال

ساعاتُ الصبح أُقضيها في النوم
لا حاجة للإفطار اليوم
الجبنة ، في العادات المرذولة
والجوع .. فضيله !
ساعات الظهر أُقضيها في المكتب
سأردّ على تسعين جريده

نشرت أقوالاً كاذبةً ..

عن أُمِّي المعبوده !

أأسبُ ... مراراً .. لا بأس !

فمفيدٌ للصحة أن نغضب

لا داعي لليأس

ما بعد الظهر يناديني التلفون الثرثار

– ما عندك يا حلوة من أخبار ؟

– لن تأتي هذي الليلة .. لا بأس

خيرٌ للصحة أن نجرع .. أكثر من كأس !

ساعات الليل

شعرٌ موسيقى أخبار

تعليقاتٌ .. أقوالٌ الصحف .. أحاديث

جازٌ .. أخبارٌ .. تعليقاتٌ .. حزن ..

شعرٌ ودُّوار !! ..

عندي من خير الله كثير

عندي اللعناتُ .. اليُتمُ .. الأحران
عندي الجوعُ .. الدّين .. الغربه
من كل الألوان

عندي - بالجملة - للتصدير ..!!

عندي من خير الله كثير
أحكامٌ شتّى ، أوراقٌ رسميه
أكداس قوانينٍ ما خطرت في بال
عندي ما يدهشُ كل الأجيال

بالجملة للتصدير

والربحُ على الله ، وحُسن النيه ..!!
قلبي كُمثرأةٌ أحياناً .. أحياناً كتلةٌ قصدير
أحياناً قنبلة يدويه

قلبي بالجملة للتصدير

والربح على الله ، وحسن النيه ..
عندي من خير الله كثير ..

.. للتصدير !!..

أمشي

مُنتَصِبَ القامة .. أمشي
مرفوعَ الهامة .. أمشي
في كفي .. قصفة زيتونٍ وحمامه
وعلى كتفي .. نعشي
وأنا أمشي
قلبي قمرٌ أحمر ..
قلبي بستان ..
فيه العوسج ، فيه الريحان !
شفتاي .. سماءٌ تمطر
ناراً حيناً حباً أحيان !
وأنا أمشي .. أمشي

‘منتصبَ القامةِ .. مرفوعَ الهامه ..
في كفي قصفةُ زيتون وحمامه
وعلى كتفي .. نعشي !! ..

أندلسية

— الله .. الله !!
اللحنُ جميلٌ يا زريابُ
اللحنُ جميل .. وجديد !! ..
سبحان الواضع قدرته في خشب العود
الله .. الله ?? ..

— سبحان الواضع قدرته فينا
يا عبدا لله ..

من عطش الصحراء
روينا الدنيا ..

أعطينا في كرم آيات الأبداع
اللحن جديد واللفظة ، والأيقاع
حسناً يا زرياب

رجل « الغيتار » يدق الباب
فأحمل هذا العود
وتعال نعود

طالت في الشام ، وفي بغداد
أشواق الأحباب ..؟؟
ووراء الباب

رجل « الغيتار » العائد يبكي .. يبكي
وينادي الغيتاب :

غرانادا .. غرانادا أليّله
الولد الهارب عاداً .. أليّله
غرانادا .. غرانادا ..
- الله ..؟؟ ..

من أين

— من أين أتيت ؟
بيدي أغمدتُ الخنجرُ
في صدركَ .. في الجنب الأيسر
بيدي . ونسفتُ البيت ؟
من أين أتيت ؟ ..
— القول مباح ؟
— القول مباح ؟
— حسناً يا عمي الغالي
من أجيالٍ
يُحكى أن هناك رياح
وهناك لقاح
وهناك — كما يُحكى — بذره
تتسلل .. روحاً في صخره ؟

وتشققّ الدرب إلى الشمس
وإذا أغمدت الخنجر
في البذرة ، والصخرة ، والشمس ؟؟ ..
- 'يحكى أن هناك رياحا
وهناك لقاح
وهناك جذوراً .. لم تمرض باليأس ؟؟ ..

ماذا سأقول
في المكتوب الألف
المبعوث إلى الداعي في مولد صيف
كتبت : أشتاقُ إليك
وأخاف عليك
يا حاملَ همّ الأجيال
فتعال .. تعال ..
يا ولدي !!؟؟

إن أذتَ أتيتُ
يا نوّارة قلبي .. سيضيء البيت
فتعال .. تعال .. تعال
يا ولدي !...

* * *

في المكتوب الألف
المبعوث إليها .. في مآتم صيف
أكتبُ والبسمة في شفتي
أكتبُ والدمعة في عيني
أكتبُ والغصّة في رئتي :
— يا وردة قلبي المذبوح
يا روحي ..
يا وشمّ الحب على صدري
يا أعمق نبض في شعري

يا تعويذة خطواتي في الدرب المسدود

سأعود إلى حضنك

أبني عليّ

أتزوّج .. أنجب ذريته

وأخفف من حزنك

الولد المفقود

يا أمي .. سيعود

لكني .. لن أرجع وحدي يا يمه

لن أرجع ما دام لَداتي ، أشباحاً في ظلمه

لن أرجع ما دام لَداتي ، آثاراً في بيدة

ماذا سأقول إذا سألتني أمٌ أمينٍ :

« أين أخوك »

ماذا سأقول لأُم خليلٍ ؟

ماذا سأقول

أحكي للعالم

أحكي للعالم .. أحكي له
عن بيتٍ كسروا قنديلَه
عن فأسٍ قتلت زنبقةً
وحريقٍ أودى بجديله
أحكي عن شاةٍ لم تحلب
عن عَجْنَةٍ أمٍّ ما خُبِزَتْ
عن سطحٍ طينِيٍّ .. أعشَبُ
أحكي للعالم .. أحكي له

* * *

يا بنتَ الجارِ المذسِيَّةِ
الدميةُ ، عندي محمِيَّة ..
الدمية عندي . فتعالِي
في باصِ الرِّيحِ الشرقيِّه ..

حنّا ؟ لا أذكر قَسَمَاتِكَ ..
لكنني أشقى .. كي أذكر
في قلبي خفقةُ خطواتك
عصفورٌ .. يدرجُ .. أو يَنْقُرُ
كُنّا .. ما أجملَ ما كنا
يا بنتَ الجار .. ويا حنّا
كُنّا .. فلماذا أَعَيْنُنَا
صارت بالغربة مجبولة ؟
ولماذا صارت أيدينا
بجبال اللعنة مجدولة ؟
أَحكي للعالم .. أَحكي له ..
أَحكي للعالم ..

٥ - ٥ - ٦٨

- موسيقى الصبح .. سخيّفه .
- البنُّ قليلٌ يا ضيف

فلنشرب قهوَتنا اليومَ خفيفه .
- دخّن ..

« وإليكم نشرتنا الأولى :

« صرح ليفي إشكول :

« شرع درك هرشتفلس كرشت

« الملك .. يقول :

« برش تفتو حشتر لشندبثل

« أميركا فقدت إحدى قطع الأسطول

هدد مكنامارا ..

- ابنُ ال..... مسطول !!.

- اليوم أحرر هذا الخبرا :

أرنستوتشي غيفارا

يبنى قمرًا

في أفقٍ ما !! ..

معتاد

اليوم مثيرٌ - كالمعتاد
عدد القتلى في هايفونغ ازداد
في عدنٍ ، قتلوا ستة أولاد
ذكرى النصر على النازية
ذكرى مجزرة بشرية
في « إسرائيل » حداد ..
قائد أركان الجيش .. يُهدد سوريته ..

٧ - ٥ - ٦٧

لا شيء جديد ..

١١ - ٥ - ٦٧

ضمّني .

مرّبي بيدك على وجهي
أعطيني

قبلة ميلادي
ولتكن الليلة برداً وسلاماً
في نار جبيني .
مُضمّني .. في أتعسِ أعيادي
أعطيني .. قبلة ميلادي
في مائتم عامي الثامن والعشرين
لمن الدعوات ؟
لصديقٍ مات ؟ .
لقريبٍ لم يسألني عن حالي من سنوات
قومي نذر باقاتِ الزهر
في غرفة فقري
في قبري
قومي .. لنارس رقصتنا المحبوبة
السмба ، الباكية ، المشبوبة
قومي نشربُ

قومي نصخب
في ضوء الشمع .. وضمّني
في الضوء الشاتي
يا حي القاتل سنواتي
يا مأساتي ..
ضمّني .. حتى أجمل أعيادي
حتى - ميلادي ..

١٢ - ٥ - ٦٧

كل الأخبار تقول :
أنا ما خاصمتُ الله
فلماذا أدبني بالوجع ؟
حسنًا .. فاسمعي أنفخ في الصور
يا لعنة أيوب .. ارتفعي
يا لعنة أيوب .. ثوري
واسمعي أصرخ : يا أيوب ..

لا تخضع للوَجع ..
لا تَجُعب ..

ملاحظة :

سادتي القراء .. الصفحات الباقية من مفكرة أيوب ، غارقة في
« الحبر الأحمر » وتتعدد قراءتها .. فمعدرة !..

الشاعر

الذي قتل في المنفى كتب الي

ذاتَ يومٍ فاجأوني .
دفعوا أمي وأختي جانباً ،
واعتقلوني .

.
كالتماثيل الترابية كانوا
بوجوهٍ فقدت ضوءَ العيونِ
يوم جاءوا فجأةً ..

واعتقلوني ..

.

والذي كان يصلّي
لإله الأرض ، في تربة حقل ،
حقلنا الموروث من قبل قرون
يومَ جاءوا فجأة ،
واعتقلوني
وبعيداً .. أخذوني .

.

ومع العتمة في بعض السجون
ضفّروا لي الشوك ..
لكن .. ظلّ مرفوعاً جبيني .

.

وعلى الأوحال والأسلاك
جروني ، طوال الليل

لكن ظلّ مرفوعاً جبيني .

.

فركوا بالرمل والملح جراحی

وإلى ركنٍ كريحٍ ركلوني

كانت الأحذيةُ السود الهجينة

من بقايا فرق الإس. إس. ،

في بون اللعينة .

.

كنت بستان جراح

رايةً حمراءَ .. منشورَ كفاحٍ

حين صرّ الباب في بعض السجونِ

قبل ميلادِ الصباحِ

وبلا رعشةٍ هُذبَ ..

قتلوني .

.

قتلوني ذات يوم
يا أحبائي .. لكن ..
ظلّ مرفوعاً إلى الغرب .. جيني ..

مزامير

« في هذه القصيدة مزج لتجربتين متماثلتين ، تمتد بينها شقة من الزمن
« سحيقة.. ومن مصادفات التاريخ: أن ميدان التجربتين كان واحداً..
« هو بقعتنا هذه من الكرة الأرضية !.. ومن مفارقات التاريخ أن
« الظالم آنذاك هو المظلوم في عصرنا (١١) ، وأن المظلوم آنذاك هو
« الظالم في عصرنا .. وتعميقاً لمראה المفارقة ، أدخل الشاعر في جزء
« كبير من القصيدة ، تعابير وصوراً ثوراتية ، من المزامير ، ومن سفر
« إشعياء بالذات !.. »

مجلة الجديد - حيفا - ٥ - ٦ - ٦٧

مزمور الجنراالات

إسمعوا يا آل إسرائيل صوت الأنبياء
واسمعوا يا آل هارون النداء
نُصدر الأمر لكل الملحدِين الأَشقياء
ولكلّ الطيبين الأتقياء :
إعبدوا أصنام واشنطن ، قوموا واعبدوها :
خالطوا أوْثانَ بونَ القاتله
واجعلوا أبناءكم قربان آي . بي . سي .
وفي القلب احفظوها
باسمها .. دكّوا البيوت الآهله
وأريقوا تحت رجليها الدماء
وعلى أقدام كنعان اسجدوا ، يا آل يا هودا ،
ولا بأس إذا صارت مغانيكم ، صحاري قاحله !
هَلِّلُويا .. هَلِّلُويا !

.

مزمور بقايا الفلسطينيين

من هنا

من مطهر الأحران في ليل الجريمة .

أيها العالم ، تدعوك العسافير اليتيمه .

من هنا من غزّة الموت ،

ومن جينين ، والقدس القديمه ..

أيها العالم ندعوك

فرد الغاز ، والنابال ، والأيدي الأثيمه !

هللوا ..

.

ذات يوم

كان في غزّة صبر وحنين

وُفلول من أناس طيبين

ذات يوم ، كان موال حزين

يشعل النكبة في كل خيام اللاجئين

ذات يومٍ ،
كان في القدس صغار ينشدون :
راجعون .. راجعون .. راجعون !
هللوا

.
كان في القرميد أعشاشٌ ، وفي الأفقِ سنونو
كان في المنفى قلوب وعيونُ
تحت لفح الشمس .. تحت الريح ..
كانت تتمنى ،
« يا إله المجد ! جربنا طويلا ..
فأعدنا .. »
هللوا .. هللوا

.
كان يا ما كان ،
وانقضت نسورٌ معدنيه

لم تكن حاملةً من آل صهيون - إلى صهيون -
أفواجَ البقية .

لم تكن حاملة لحائط المبكى .. مزامير تقيه .
يا إله المجد .. ماذا حملتْ . ؟

ناراً .. وغازاً .. ودخاناً
ومجاعات .. وصلباناً .. ويطماً .. وهواناً !!
يا إله المجد فاسمع

صوت شعب - يتفجّع
يا إله المجد .. يكفيننا قروناً ما حملنا
نحنُ جربنا طويلاً .. - كيف لا تقنعُ ؟ -
'جربنا طويلاً .. فأعدنا ..
هللوا .. هللوا .. هللوا ..

مزمور أطفال العالم
يا إله الانتقام !
يا إله الانتقام اظهر .. وردَّ الخيلاء !

رد من يذبح في القدس اليتامى

والشكالى والايامى ..

رد من يظلم ميراثك

من يصلب في القدس السلاما

كيف لا يسمع من كوّن سمعا للبشر ؟

كيف لا يبصر ، من سوّى البصر

يا إله الانتقام

هلمويا

شق للفاسق حفرة

رد للماكر مكره !

مزمور احفاد أشعيا

نحن أحفاد إشعيا ،

نناديه ،

ننادي وجهه السمع الهلامي ،

الذي يرتج ، من خلف الدموع القانيه !

نحن أحفاد إشعياء نناديه .. غضاباً مجهشين :
يا إشعياءُ الذي أغفى قروناً وقرون !
كيف صارت هذه القرية .. صارت زانيه ؟!
زغلاً فضتْها صارت ،
على أيدي الطغاة الأغبياءُ
كيف يقضون بعسفٍ لليتيم ؟
كيف لا تبليغهم دعوى الأرامل ؟
يا إشعياءُ المناضل
هللوا

.

رسل السلم هنا ييكون حقدأ ومراره
بعد أن حزَّ رؤوسَ الآمنين
أدعياءُ الحق .. أعداءُ الحضاره .
يا إشعياءُ الحزين .
فانهض اليومَ وصحْ في قريةٍ

تهوي على سفح الممالك :
« بعد سبعين ، رعاك الله يا هذي ،
« فلم عدت إلى الأجرة ،
« تزنين مع التجار ، من كل الممالك ؟
.....

إنهض اليوم ، وصح في تل أبيب :
« الف ويل للذي لا يطلب الرب
« ويمضي نحو مصر
« حاملاً للشرق أعواد الصليب .
يا إشعياء الحبيب .
ذاك وحي جاء من تيماء ، من أرض العرب :
احملوا الماء ولاقوا اللاجئين
أيها الناس :

ووافوا الهارب الجائع أياماً بنخبه ..
ضمّدوا للمرة الأخرى جراح النازحين

من أمام السيف وَلَوْ هَارِبِينَ
ومن القوس الذي شدته للحرب أكف المجرمين
.

يا إشعياء الشجاع
إنهض اليوم لكي يلعب أطفال فلسطين
ولا يخشون أنياب الصلال
ولكي يأمن حملانٌ ، بأجامِ السباع .

.
هللوا ..

.
ثمَّ يُقضى في الأممِ
دون أن يُزهق حق
دون أن يُكتم فمٌ

.
يا إشعياء المناضل .

ثم تغدو سككاً كل السيوف
ورماحُ القومِ تنصبُ مناجل
ثم لا ترفعُ سيفاً أمةٌ كما تقاتل .
وصغار القوم لا يدرون ما الحرب وما سفك الدماء
وسيحلو ليهودا وفلسطين الغناء :
هلوليا .. هلوليا ..
يا إله المجد حاربنا طويلاً وذبجنا .. وذبجنا
وسفحنا دمنا ، دهرأ ، سفحنا
يا إله المجد .
جربنا طويلاً .. واسترحنا ...
هلوليا .. هلوليا .. هلوليا ..

الطفل الذي ضحك لأمه المفتولة

حَبَا في ساحةِ الدارِ ..
وكررَ حينَ فاجأها
جوارَ السورِ مطروحه .
وفاجأَ بضعَ أزهارِ ،
مبعثرةٌ على صدرِ
جميعِ عراه مفتوحه
تصيحُ :

« تعال يا ولدي ..
تعال ارضع .
فخفّ لها على أربع
وغرّد ثغره : « أمّاه »
وكرر ، حين لم تسمع ..
وشدّ رداءها ،
ورؤاه .. دغدغة وأرجوحه -
وردّد عاتباً أمّ لا .

* * *

وظلت في جوار السور مطروحه
وظلت بضع أزهار
تنزّ دماً
على صدرٍ جميع عراه مفتوحه
تصيح : « تعال يا ولدي » ..

الموت يشتميني فتيا

تعبُرُ الريحُ جبيني
والقطارُ

يعبرُ الدارُ ، فينهارُ جدار
بعده يهوي جدار
وجدارٌ بعده يهوي ،
وينهارُ جدار ..

* * *

تعبّر الريحُ جبينِي
ويميدُ البيت بالضجةِ ..
آهٍ - أنقذيني .
انني أسقط يا أمي .
تعالِي .. أنقذيني .
إنني أغرق في قاع المحيط
وكلاب البحر من حولي
ومن حولي يدور الأخطبوط
وأنا أعلم أن الموت
يا أمي
فتياً يشتهيني .
فتعالِي .. واشتريني ..
انقذيني ،
أنقذيني !! ..

زنا بق طز طرية فيروز

- من أين يا صديقه
حملت المزهريه
والنظرة الشقيه
* من القدس العتيقه .
- ومن ترى رأيت
في عتمة القناطر
من شعبنا المهاجر
وما ترى سمعت ؟

* رأيتُ بنتَ عمِّك .

في طاقةٍ حزينة

تبوح للمدينة

بهمَّها وهمك .

رأيتُ في الشوارعُ

ليلاً من العيونُ

واخوةً يكونُ

وألفَ طفلٍ ضائع .

رأيتُ سائحينُ

وبائعاً يصيح :

من يشتري المسيح

بحفنتي طحينُ

رأيتُ في المداخنُ

عصفورةً جريحهُ

وطفلةً كسيحه

تبكي على المآذن .

ومرة سمعتُ
مغنياً مهاجر
يصيحُ : يا ضمائر
أضعتِ يومَ ضعتِ ؟

هناك يا ابن عمي
حملتُ المزهريه
والنظرة الشقيّه
وقصةً عن أُمي
عن أُمي الضحيّه

— لديّ يا صديقه
زنابق حمراء
ألوانها دماء
من القدس العتيقه

(١) زنبقة حزينه
من دمّ بذت عمّ
وجدتها مذبوحه

في طاقةٍ مفتوحة
تصبح بالمدينه :
قولي لابن عمي !!

(٢) زنبقةٌ بريئة
من مقلّةٍ مفقوءه
لكنها تنادي .
أراكِ يا بلادي !

(٣) زنبقةٌ ريتانه
من طفلةٍ محروقة
تصبح : يا خليفه
مهلاً ! أنا عطشانه !

(٤) زنبقةٌ شريتها
من بائعٍ مجندلٍ
على سياج منزلٍ
لكنني .. ما بعثتها !

إليك يا صديقه
زنا بقي الحمراء
زنا بقي الدماء
كي تكمل الهدية
ورد .. ومزهرية
من القدس العتيقة !!

ثورة مغني الربابة

غنيتُ مرتجلاً على هذي الربابة ، ألفَ عام !
مذ أسرَجتُ فرَسي قريشُ ،
وقال قائدنا الهمام :
اليومَ يومُكمو ! فقوموا واتبعوني ،
أيها العرب الكرام
اليومَ يومُكمو ..
وصاح : الى الأمام .. الى الأمام !

* * *

غنيت مرتجلاً على هذي الرابةِ ، ألف عام
مذقيل : باسم الله والقرآنِ ،
فامتشقوا الحسام !
ولكزت في شغفٍ جوادي ،
وانطلقتُ .. لألفِ عام !
عمرت في شيراز قصرأ
وابتنيتُ بأصبهان
ردهات معرفة ،
وعدتُ إلى الحجاز بطيلسان
وعلى دمشق رفعتُ راياتِ النهارِ ، مع الأذان
وجعلت حاضرة الكنانة
في تاج مولانا المعزِّ ، جعلتها أغلى جمانه
وبنيتُ باسم الله - قرطاجنة العربِ العظيمه
وتلوتُ فاتحتي ، على أنقاض أوروبا القديمه
وبنيت جامعةً ، ومكتبةً ، ونسقتُ الحداثق

وهتفت :
يا أحفاد طارق .
كونوا المنائر .. واغسلوا أجفان اوروبا البهيمه .

* * *

غنيتُ مرتجلاً ، وكان الشرقُ يحذر الارتجال
كأنت أصابعه تجسّ ، وذهنه يلد المحال
وأنا أغني ..

وهو يبحث في كهوف الكيمياء
وأنا أغني ..

وهو يرصد بانفعالٍ واشتهاء
نجماً يحومُ على المساء .
كانت أصابعه تجسّ ، وذهنه يلد المحال ..

وسنابكُ الخيل الأصيله .
تطوي المسافات الطويله
وتطال شيئاً لا يطال
وأنا أغني للبطوله

وأشدُّ من همم الرجال

* * *

للشرقِ .. للشرقِ الهُمام
غنيتُ مرتجلاً على هذي الرَبابةِ ألفَ عامٍ .
للزحفِ .. للمُدنِ الجديدةِ .. للحدائقِ .. للسلامِ
غنيتُ في ظلِّ المآذنِ
للمُقلعينِ وللسفائنِ
لقوافلِ التجارِ ، والجندِ البواسلِ ، والمواسمِ ..
غنيتُ - آهٍ - للصبايا
للسنابلِ .. للحمامِ .
غنيتُ أمجادَ الخليفةِ ، والفتوحاتِ السعيدةِ
غنيتُ للتُّرَعِ الفتيةِ .. للنوافيرِ الرخامِ ..
لروائعِ الدنيا الجديدةِ .
غنيتُ مرتجلاً على هذي الرَبابةِ ألفَ عامٍ

* * *

يا أمتي .
وسُلبتِ - يوماً ما - جوادكِ والحسام ،
وُطرحتِ - يا ذُلِّي - طرحت
وغابَ وجهكِ في الرغام ..
وغدوتِ - يا ذُلِّي - حطام .
في رُسغِكِ الأغلالُ ناهشة ، وفي فمك اللجام ..

* * *

يا أمتي .
وقعدتُ مفجوعاً على أعتاب دارك
أبكي وآكلُ من غبارك
يا أمتي .
وجمعتُ حواري ما تكاثر من صغارك
أحكي لهم ، عن مجدكِ الماضي ، وأُغريهم بشارك !
يا أمتي !
عَدَدتُ أجيالاً على هذه الربابه

كررت أجداد الرسول ، وكل أجداد الصحابة
كررت 'عقبة' - ألف مرة !
كررت طارق - ألف مرة !
ووضعت من عندي الكثير ،
كذبت في أسف وحسره ..

* * *

« بغداد يا بلد الرشيد »

ماذا تبقى منك ، لم أنزه للوتر البليد ؟
ماذا تبقى يا طليطة الشقية ، من كلام ؟
ماذا تبقى .. يا كنانة .. يا شام ؟
ماذا تبقى للصباح ..

ودمي تخثر في شراييني : ووجهي مستباح ؟!

* * *

غنيت مرتجلاً على هذي الربابة ألف عام ،
وأعدت مفجوعاً ، على هذي الربابة ، ألف عام ،

مذ طار من يدك الحسام
وسقطت عن سرج الرياح ، وغاص وجهك في الرغام !
أطفالنا ملئوا البطولات المكررة القديمه
سئموا سروجاً كالخات ،
صار فارسها الغبار !

عافوا سيوفاً لأكها الزنجار ، والذكرى السقيمه !
كرهوا الرماح المشرعات على الجدار !
أطفالنا يكون ، لو فهموا الإذاعات الكثيره
والثرثرات عن المشاريع الكبيرة والصغيره
أطفالنا يكون ، لو فهموا « الأحاديث المهمه »
في مجلس الوزراء ، والخطب المثيره
وتشاور السفراء .. إعداداً .. لمؤتمرات قمه !
يا أمتي !

ماذا لديك ؟ تكلمي ! ما أنت أمه ؟
عودي ! فقد تعب اللسان ، ومات قراء الجريده

عودي ! مغنيك القديم ، يود تبديل القصيده
يا أمتي .. قومي امنحي هذه الربابه
غير البراعة في الخطاب
لحناً جديداً ..
وامنحي الأجيال .. أمجاداً جديده !

أغنية مشوره حروب

سيداتى ، آنساتى ، سادتى !
سأغنى أغنيه
واغفروا لى .. كلماتى مُزريه ،
وعلى جدران صوتى ،
لم يزل رَجْعُ انفجارٍ فائتٍ
غير أنى سأغنى الأغنيه
باذلاً فيها قصارى طاقتي

فأعيروني - أذنًا مُصغية !
سيداتي ، آنساتي ، سادتي ،
وطني بستان لوزٍ وأجاصٍ وعِنَبٍ
وأبي كان الملكُ ..
ولأمي الملكة ،
سلطةُ التنظيفِ والطبخِ ، وتكديسِ الحطبِ
وأنا ، كنت وليّ العهد .. أرعى الملكة
أطردُ الوحشَ ، وأغزو الحشراتِ المهلكة
مرت الأعوام ، مرت ..
ثم كان
أن أتنا ذاتَ يومٍ قبَّعه
تحتها عينان ، من فحمٍ وملحٍ ودخان
ومع القبَّعةِ السوداء ، جاءتنا رسالته !! ..
زلزلاتُ أمي ، فأهوت ، كومةً ممتقعهِ
وأحالت والدي الشيخ .. حثاله !

سيداتي ثم كان ،
أنني أصبحتُ جندياً جبان
أكرهُ الرشاش ، والزحفَ ، ولو قالوا .. مقدس !
فأنا أفهم ، أن اللوز ، إن 'يهمل' .. تبيتس .
وأنا أفهم ، أن الحشرات
سوف تغزو وطني المتروك ،
تغزو بالمئات ..
وتخليه جذوعاً -نخرات- .
آنسائي ، ثم كان
أن نار الجبهةِ اشتدت ، وغطّانا الدخان
ثم مرّت لحظات
سادت الموقفَ فيها الطائرات
وتساقطنا .. تساقطنا .. خفافاً كالذباب
ثم أحسستُ بوخزٍ في عظامي

وانحلالٍ ، ودوارٍ ، و .. ضباب .
سادتي ، لم أدرك مرّةً من الوقت عليّ
وتحسست المكان
غير أنني لم أجد - آه يديّ
ثم 'نبئت' .. بأني
في سبيل الله ،
ضاعت ساقِي اليمنى ، وعيني
وأبي أستشهد - أيضاً في سبيل الله -
لكنّ الحكومه
أدخلت أمّي مستشفى المجاذيب ،
الذي شيد لتكريم الأمومه .

* * *

سيداتي .. آنساتي .. سادتي
لست فنّاناً عريقاً في الغناء

غير أني ، باذلٌ فيه قصارى طاقتي
واعذروني ،

فأنا في حاجة الأجير ،
من أجل طعامي ودوائي ..

مغني الربابة على سطح من الطين

على سطح من الطين
تئنُ ربابةُ المأساة ، في كفين من حجر
فتسقطُ أدمعُ القمر
ويصعد صوتُ محزون
ينادي الإخوة الغيَّاب ، في دنيا بلا خبر
يناديهم ، مع اللحن الفلسطيني :

* * *

« طلع العِشْبُ عَسْطَوْحَكَو .. ويبس العشب
« يللي عهدّ الأرض مَرْمِيَّين
« يا ريت تيجو تطلطلوا عالّتين
« وتنجبرو المشحّره .. قلام العِنْبُ
« يا ريت تيجو ، ترشقو لبِئُوت
« وتصلّحوا لبواب والسدّه
« وتنشلوا حفنة ميّ للورده
« وتَمْشُطو عنها وراق التوت »

* * *

« رُدِّي .. ولكّ يا بذت جارتنا
« صرّلي سنين ، وكبريت الغابه
« وكبريت معها ، ووالدي ختير
« وكل ما بحسّ بكرجة الطابه
« برجع طفيل .. وبلادنا بتزغّر !

* * *

« يا ناس ! بردت دلة القهوه
« ومعزب الرحمن واقف للسلام
« بدثو يزغرت عس عالسروه
« ويصيح .. طلثوا يا هلا ! .. برج الحمام !

* * *

غناؤك يا غريب الأهل !
طال ، وطالت الأيام !
وأورقت الرّبابة في يديك
وشاخت الأنغام
فهل ستظل طول العمر محروماً تناديني
مع اللحن الفلسطيني ؟
وهل ستظل طول العمر ،
تشحد عودة هـرمت
على سطح من الطين ؟ !

انادي الموت

يحثمُ الحزنُ على قلبي .. كدوريٍّ مريضٍ
كيامه

روّحتُ من سَفَرٍ مُضْنٍ ، على الأفقِ العريضِ
كغمامه

قعدت تبكي ، على بابِ المساءِ
يحثمُ الحزنُ على قلبي .. ويُغري بالبكاءِ
غير أن الشمس .. والبركان .. والقتلى

على شطآنٍ أنهارِ الدماء ،
أبدأ تجذب وجهي بالنداءاتِ الخفيه
لمكانٍ خلف أسوارِ الشقاء
إرمي ذات العباد !!
إرمي .. أمنحها من كل قلبي للعباد
ثم أنهارُ قريراً ، عبرَ وديانِ الرماد
لتُعفّيني .. كما شئت ،
حماقاتُ الرياحِ الهمجيه .
فأنا يا أمَّ أطفالي الشقيه
أنا لا أنكر مأساتي الطويله
أنا لا أبني سياجاً ، حول أحلامي القتيله
إنني أرفع وجهي للرياح
أتحدّاه .. وأُعطي في الصباح
للمساكين ، تراتيلي القليله
أنا لا أنكر مأساتي ، ولا أخفي عذابي

إنني أنزِفُ تاريخي ، على ظفري ونابِ
فاغفري لي ،
إغفري لي غِلظةَ البركان .. لو ناديت موتي
طال صلي ..
وعلى جرعة 'سم'
ينهبُ الأعداءُ لحمي
والأحباءُ .. تقاطيعي وصوتي !!

القديسات الخمس

باختصار ..
يومها كنّا رجالاً أربعة
من صغار الأنبياء
معنا خمس صبايا
حسناً - خمسُ نساء
حسناً - خمسُ بغايا !

* * *

كانت الليلة زخاتِ مطر
وُبروقاً ورعوداً مفزعه
ومناحاتِ رياحٍ وشجرٍ

* * *

وعلى ضوءِ شموعٍ نذفت ممتقه
كانت الرقصةُ جنازاً ،
وإيداناً بويلاتِ السفر !

* * *

داخ في الغرفةِ خطوُ الراقضين
وهي ، كانت تسكبُ الخمرَ
وتعطي الظامئين ..

ومع الأدمع ، والكُنْيَاك ، واللحنِ الحزينِ
كانت الليلةُ تمضي
وعلى خطوتها تمضي قرون !

* * *

ليلةٌ مرّت .
وأخرى ، بعدها مرت
وأخرى ..
وأفقنا ذات فجر ،
أيقظتنا خضّةُ الشارع ، والناس ،
وضوضاء الرياح
أيقظتنا شاحناتُ الجندِ رتلًا إثر رتلٍ
وهدير القاذفاتُ
رائحاتٍ غادياتُ
وعلى الرّيّقِ ، عوت صفّارةُ الإنذارِ
في رعبٍ وذلٍّ
فكفرنا ،
وجرعنا كأسنا المرّ ، فخذّرنا الجراح
ثم قلّبتنا - على أعصابنا - صحفَ الصّباح
أول الأخبار كان :

« أمس مساء ، احتشد جمهور كبير من المدعوين ، في قاعة الخالدين
« على اسم (....) في مكان ما من البلاد .. وبينما كانت الجوقة
« الموسيقية تعزف النشيد الوطني ، جرت في الجو المهيّب مراسم
« التكريس ، وأعلنت الخمس : شهادات قديسات !

تعقيب :

حفلة التكريس كانت ممتعة

ملاحظة هامة :

لم يشاهدها الرجال الأربعة !

التعاويذ المضادة للطائرات

نحنُ في عزّ الظهيرة ،
نصفُ قرص الشمس يبكي في الزقاق
والدجاجات يولولن ، على وقع البساطير الكبيره
وأبي يحشو رصاصاتٍ غبيه
في بقايا بندقيه
بين إلحاحِ نداءات الرفاق :

« راحت البروة » (*) .. يا ويلى على تلك الشقيه
وعلى اللّيات .. يشد الحناق .

.

كنتُ طفلاً آنذاك
كنت أمتص حليب التاسعه
وحليب الفاجعه
كنتُ جدياً حالمَ العينين ،
من حوّلِي آلاف الشِّباك
يوم قالت ليَ أمي بارتباك :
« هذه الليلة لا تخلع ثيابك »

(*) البروة هي قرية الشاعر محمود درويش صديق سميح القاسم الأثير..
تلك التي أُمحت من على وجه الأرض في عداد المئات من القرى العربية
الفلسطينية الأخرى بعد فترة وجيزة من قيام دولة العدو في فلسطين ،
عام ١٩٤٨ .

« ساعة النوم ،
« ولا تخلع حذاءك !
لم أكن أفهم ما تعنيه بالضبط ،
ولكني بكيت !

.

نحن في ساعات تهويم المساء
نصف قرص القمر المغدور ، يبكي في الزقاق
لم يعد بعد أبي ، والشائعات ،
عن خيانات القيادة
واندفاع الجيش .. لكن للوراء
دفعتنا للبكاء !

.

عسكر « الإنقاذ » خرفان تولى للشمال
عسكر « الإنقاذ » يلقون البنادق
في الخنادق ..

وعلى الوحل ،
يزتون النياشينَ وشاراتِ القتال
عسكر « الإنقاذ » .. يا عارَ الرجال !
أقبل الفاتحُ يا أبناءَ رامة (*)
أقبل الفاتحُ يا ناسُ ،
فلوذوا بالسلامه ..
ما الذي تجديكم الآن أناشيدُ الكرامه ؟
صوبوا كل التعاويذِ بوجهِ الطائرات !
ألبوا الله عليها ،
واقذفوها بالوصايا العشرِ ،
والجفرِ
وآيات السماء البيّنات
.....

(*) الرامة هي قرية الشاعر سميح القاسم ، وتقع في قضاء عكا .

كنت طفلاً ، آنذاك ..

علّموني أن مجرى الأرض ، في كفّ السماء
علّموني أنه ، سبحانه ، يُحيي ويُفني ما يشاء
علّموني أن أطيع الأولياء
دون أن أسأل : من كانوا ؟
وماذا صنعوا للتعساء ؟!

علّموني الدّجلَ ، والرقصَ على الحبلِ ،
وإذلال النساء

علّموني السحرَ والإيمانَ بالأشباح
والرقيةَ والتعزيمَ ،
والخوفَ إذا جاءَ المساء !

علّموني ما يشاؤون ، ولم يستنبئوني ما أشاء
فرَسُ الخضرِ .. كفيلٌ بي

وحسي .. الفقهاء !!

يا أبي المهزوم .. يا أمي الذليله !

إنني أقذفُ للشيطانِ ، ما أورثتاني ،

من تعاليم القبيله !

إنني أرفضُها تلك الطقوسَ الهمجيه

إنني اجتثتها من جذرها ،

تلك المراسيمَ الغيبه

إنني أبصقُ أحقادِي وعاري

في وجوه الأولياء الصالحين

انني أركل قاذورات ذليّ وانكساري

للتكايَا والدرأويش ،

وأقزام الكراسي النابحين !

.

إنني أصرخُ من قعر جحيمي :

يا وحولاً لصقت في نعلِ تاريخي العظيم

إنني أحكم بالموتِ عليكِ

فأعدي كفنًا من جلدِ أنصافِ الرجال !
وإذا شئت نقوشًا ، وصليبا ، ونجومًا ، وهلال
ووصايا وابتهاال
طرزها بيدك !!

من يوميات جوني غيتار

« جوني ، شاب وهمي ، خلقتة أغنية قديمة تنشدتها امرأة
« تعبسة .. ولبراءة جوني في العزف على الغيتار ، أطلقت
« عليه المغنية العاشقة اسم « جوني غيتار » ... وما زالت
« منذ سنوات بعيدة ، تغني لحبيبها « الذي لم يكن له شبه في
« روعة عزفه » .. وجوني ، الذي لم يخلق للحرب ، بل للعب
« والغيتار ، جنّده الرئيس الأميركي جونسون وساقه
« إلى فيتنام ..

« وهناك ، في خط النار ، يكتب جوني يومياته .. مناجياً
« فيها حبيبته التي تحصل لقمتها من العمل في مصنع للنابالم ..
« وتنتظر عودة حبيبها جوني .. حبيبها .. جوني غيتار !! ..

- ١ -

في البركة الدّ كناء
حيث التماسيح ، وأفعى الماء
يبدأ يا حبيبتى
دربي إلى خطيئتي ،
فهيني لي الزاد والثياب والغيتار ،
ودفتر الأشعار ..

- ٢ -

أغمس غرّتي
في الحبر - يا حبيبتى - وأرسم الحداد
على جبيني الشمع
ومن خلال الدمع
أواصل الإنشاد
لحبّتي المتروك في مدينتي

لوَجهكِ المودّع المغمورِ بالبكاءِ
كزهرةِ الشتاءِ ..
فليرحم الرئيس !
ولترحم السماء !
وجهكِ .. والعودة يا حبيبتي !

- ٣ -

مُنِعتُ من أن أحمل الغيتار
في قلب خطّ النار
وحين مدّت نعمة ذراعها إليّ
من عالمٍ ينهار
بكى على أصابعي ارتعاش
لأن ، يا حبيبتي ، عازفك الشقي
لا يحسن العزف على الرشاش !

- ٤ -

'خنتك في الخيال !
لأنني عَشقتُ يا حبيبتى ،
عشقتُ في الخيال
صبيةً جاءت من الشمال
لم أعرف اسمها
لكنني بكيتُ يا حبيبتى
لأنني في ساحة القتال
كنت .. عدوَّها !

- ٥ -

في ليلة الميلاد ..
أُمرتُ ، يا حبيبتى ، بالعزف والإنشاد
في قاعةٍ مصدوعةٍ الجدران
ترقص في أثاثها عرائسُ النيران ..

في قاعة مفروشة .. باللحم والرماد
وجثث الأولاد ..
أمرت يا حبيبتى !

- ٦ -

كان الصباح رائعاً .. في غابة الكمين
لكنّ جاري « مايك » ظلّ ساهماً حزين
ومايك .. يا حبيبتى ..
مهرّج وراقص طروب
ومايك .. زنجي من الجنوب ..
أمس ، أتى أخوه ، في كتيبةٍ جديدة
وقال إن أمّه
خلفها في الكوخ ، في ديترويت
أرملة .. وحيدة
وقال إنّ - آه يا حبيبتى -

أباهُ .. مزقّ قوه في مظاهره !!
وظلّ جاري مايك ، ظلّ ساهماً حزين ..
كان الصباحُ رائعاً ، في غابة الكمين
وبائساً صار النهار ، بائساً
في غابة الكمين ..
حين رأيت مايك يهوي ،
أحمرَ الجبين !
واشتعل السكون ..
وفجأةً أحسستُ يا حبيبتى ،
بوخزة في الصدر .. في ناحية اليسار
حيثُ حفظتُ وجهكِ المعبودَ والغيتار
وبعدُ يا حبيبتى ،
أفقتُ في حمالة الجرحى !
فهيشي الدموع والأزهار
لعلها تقول لي - إن عدت حياً -

جئتَ ؟ يا مرحى !
أو ، علّتها - إن عدتُ في صندوق ،
عبّأتِه ذاتِ نهارِ عملٍ ، في مصنعِ النابالم
لعلها تكون لي الدموع والأزهار ..
أقارباً .. جاءوا لأخذ جثتي ،
من ساحةِ المطار .

أنا وأنت

لو حَزَّوْنِي مِثْلَ لَيْمُونَةٍ
تَبْقِيَنَّ لِي ، فِي الصَّدْرِ اِيْقُونَهُ
تَبْقِيَنَّ لِي ، لَوْ نَتَفَتْ جَسَدِي
أَيْدٍ مِنَ الْفُؤْلَازِ .. مَأْفُونَهُ
لَوْ نَزَّفُوا حَتَّى الْعِظَامِ دَمِي ،
تَبْقِيَنَّ .. فِي الْأَعْصَابِ مَخْزُونَهُ
تَبْقِيَنَّ لِي ، لَوْ فَتَتُوا بَدَنِي

فأصير بعضَ غبارِ زيتونه !
وإذا ولجتِ رثائهم نفساً
تضحين أطيّبَ ما يشمونه !
بالشمس ، ضوء الشمسِ 'ملتحم'
عبثاً .. تشادُ حواجزُ دونه
أنا أذت .. أذت أنا .. وكل يدٍ
بيني ، وبينك .. الف مجنونه !!

لا تطعميني

حالت على الدرب القراصية (*)
يا بنت عمي ، يا دمشقية
وأنا ببابك جائع .. وأنا
يا بنت عمي .. ابن منفيه
لا تسألي عنها ، فقد دفنت

(*) يشير الشاعر في هذه القصيدة الى الأغنية الشامية الشهيرة :
« طعميتو .. طعماني .. القراصيه » .

في ظل عبهرة رمادية

* * *

وأبي؟.. كفى فالجوع ينهشني
ووجوههم في الشوك مرمية
لا تنكأي جرحي : فقد عبرت
أعوامه . ودماه منسيه

* * *

لن تطعميني !.. آه يا وجمعي !
عادت عذاباتي الجحيمية

* * *

حسناً ، سأوقظهم ، لتطعمني
بيارة في الشط .. مسبيه
وأعود .. لا جوع ، ولا ظمأ
يا بنت عمي .. يا دمشقيه !

أيها الحراس أراه حياً واقتلوني

الجواد العربي

كبيارقِ التسليم ، أيدينا 'تلوّح' بالمحارم
كمدافع ملوينة الأعناقِ من 'ذلّ' الهزائم
كقلوع صاريةٍ حزينة
تبكي ، وفي غرَفِ السفينة
تصطكُ أجنحةُ النوارسِ بالهياكل والجماجم !

.
.

ذكريات بعيدة

من عهد نوحٍ آمنتُ بوجوهنا
من عهد نوح !
رضيت بروّاد القبائل
من عهد نوح !
رضيت بفرغرة الجلاجل
من عهد نوح !
رضيت برنات المعاول
من عهد نوح !
ألفتُ بيوت الشعرِ
والنارَ الكريمة ، والربابه
وغداة مرّرت في مشارفها سحابه
قالت : هبوني بيتَ صوّان وشوح !
وخذوا ينابيعاً ، وأقماراً ، ومطحنة ، وغابه

كبرت دوالينا ، وشاخ اللوز
والزيتون صاح : أنا الخلود .
صارت مضاربنا مدائن
صارت مراعيننا جنائن
وشتاؤنا ، صارت لياليه المبتخرة المثيره
ميدان راوية الجدود ، عن الجدود ، عن الجدود :
رحنا إلى حلب 'محملة' قوافلنا الطويله
عنباً وتفتحاً ،
وتطريزاً .. إلى البنت الجميله !
« يا سادتي ، وغداً 'نقضّي الليل في قصص البطوله » :

* * *

والداء .. كان الداءُ يا أخوانُ ينخرُ في القرى ،
والجوعُ قاتل .

ذكريات قريبة

ستون ألفاً بين مليون .. وماذا ؟

نحن أهل السيف
مَلَقَى الضيف .. ان جار الزمان ،
يا مرحباً بك .

* * *

لا بأسَ ،
بيتُ الضيقُ 'متَّسعٌ' لألفٍ يا صديق
وَلَدَى ابنِ عمك ، يدخل الغرباء ،
للبيت المشرَّع في الطريق
زادُ الفتي العربيَّ يكفي اثنين ،
فأشبع يا ابن عمي .. يا صديق !
- ستون ألفاً دون مليونٍ ؟ ، ..
- وماذا ؟

(قال راوية صفيق ..)

« بَدَّوْ من الصحراء ،
أعينُهم ثقوبٌ في الرمال

« ماذا إذا عادوا الى تمرِ الجزيرةِ
« المضاربِ .. والعقاربِ .. والجمال
« بدؤوا من الصحراء ،
« قادت شهوةٌ للغزوِ أرجلهم
« إلى وطني المعذب في الشمال .

العار

شفتا حبيبي تقطران دماً وغسلينا وقارا
عينا حبيبي ترحفان وراءَ قنديلٍ توارى
رثتا حبيبي نورسان
خفقا على شوكي .. وطارا
ويدا حبيبي بيرقان
منكّسان على الصحارى
يا مَنْ رأى شفتي حبيبي
يا مَنْ رآه يغيبُ خلفَ النهرِ .. ذلاً وانكسارا

عشرون مزموراً لشاعرِكَ المَعذَّبِ يا حبيبي
عشرون مزموراً ، موقَّعة على خشب الصليب
صلَّيتُ . صمتُ .. بكيتُ ثرتُ
دعوتُ وجهك من سجوني
ناديتُ حراسي ، وقلت : أراه حياً ، واقتلوني ،
ثوبي تمزَّق بين أنياب الصخور ، وجفَّ حلقي
وتهرأتُ قدماي في الأشواك ، من غرب لشرق ،
ان نمت .. من تعبٍ أناام
أو 'جعت' .. فالميسورُ من 'عشبِ الجبال
حسب الفقير من الطعام
وإذا مرضتُ .. أطيبُ من لمساتِ كفكِ في الخيال
لأعودَ أضرب في الدروب
وأسائل الرعيان والأسرى وقطَّاع الطريق :
يا بعضَ أهلِ الله ، هل فيكم صديق ؟
ليُعينَ هذا العاشق المذبوح .. من وطن الصليب ؟ ..

ابن السبيل أنا ،
ألوب على السبيل إلى حبيبي .
أسروه من عشرين عام
نزعوه مني ذات مُعتمةٍ ، وقالوا أن أنام
قالوا أنامُ

ولم أزل سهران .. من عشرين عام
أبكي وأغضبُ في الظلام
وأصيحُ .. من وجعي أصيح :
منذا يردُّ إليَّ من منقاهُ محبوبي الجريح ؟
وأصيحُ : يا طيرَ الحمام
خبِّره أني ناذر .. لا أستريح
حتى يروِّح في سلام .

عودة الى الجواد العربي

كقطوفٍ داليةٍ مُرنحةٍ على هزج المواسم ،
كحمامٍ بيضاء ، أيدينا تلوِّح بالمحارم ..

لجوادِنا العربي ، يسهلُ في معاركه الطويله
ويقول : يا نار الأعاجم
أفنى .. ولا يرتدُّ عرفي
أفنى .. ولكن لستُ أغدُرُ فارسي ، وأخونُ سيفي ،
أنا لم أزل في وجهكِ المجدورِ يا نار الأعاجم
شعباً يدافعُ عن حشاشتهِ .. وتاريخاً يقاوم !

طلب انتساب للحزب

طالب انتساب للحزب

مقدمة

طلب انتساب للحزب

استمراراً في مهمة نشر الأدب الفلسطيني بشقيه في المهجر والأرض المحتلة تبادر « دار العودة » الى اخراج هذه المجموعة للشاعر الفلسطيني الطليعي سميح القاسم .

وقد سبق أن نشر شعر « الأرض المحتلة » ، ولكن هذه القصائد بالذات لم يسبق نشرها لأنها ذات نفس ماركسي ، وكان الذين يحذفون هذه القصائد في البلاد العربية يحتجون

بأن هويتها اليسارية تسيء الى الشاعر المناضل أكثر مما تحسن اليه .

وفي الحقيقة ، فإن هذا الزعم باطل من أساسه ، لأن محاولة إخفاء الهوية السياسية لكاتب يعتبر الكلمة رصاصة ومهنة الأدب كفاحاً ، وينبض كل حرف من حروفه بموقف واضح الدلالة والرؤيا إنما هو عبث شبيه بحركة النعامة .

وإن كان لنا أن نضيف فإننا نقول أن الناشر لا ينبغي أن يتحول الى رقيب على نتاج الفنانين أمام إحساسه بأن بعض السلطات الرسمية ستتخذ موقفاً ما من نتاج الفنان .

إن الناشر والفنان ينبغي ان يقف كل منهما ضد إرادة العسف الفكري ، ضد الرقابة والحجز على ذهن المبدع ، وضد تسلط السلطة وممالاتها بشكل من الأشكال . وخاصة عندما تكون السلطة رجعية ، وعندما يكون الرقيب سليل هذا النظام الرجعي .

ونذكر - مع هذا - أن الهوية الماركسية لم تعد كفوراً

سياسياً ، ولا إلهاداً قومياً ، وأن الحركات التقدمية في عالم اليوم تستقي فكرها من الماركسية فلسفة حياة ومنهج تفكير . وتكراراً ، فإن الزعم بأن الماركسية تسيء الى الشاعر هو زعم باطل حتى للذين لا يؤمنون بالماركسية ، لأن الماركسية طرحت نفسها على عصرنا كله .

ولقد ذكرنا في تقديمنا لمجموعة قصائد شيوعيون للشاعر توفيق زياد أن « دار العودة » لا تنتمي للفصيلة الحزبية التي ينتمي اليها شعراء الأرض المحتلة ولكنها تلتف مع كل المبدعين والباحثين والمثقفين حول الشعار المجيد المنادي بالحرية الفكرية الكاملة لكل الكتّاب باحثين ومبدعين .

* * *

وقصائد هذا الديوان تنقسم الى قسمين ، نشر الشاعر سميح القاسم أولها في مجموعته « دخان البراكين » الذي طبع في الناصرة في الأرض المحتلة ، والقسم الثاني نشره في كراس بعنوان « ارم » في مطبعة الاتحاد في حيفا من الأرض المحتلة .

قصائد القسم الأول النبرة الحزبية واضحة فيها ، ولكن الحزبية لم تقض على المستوى الفني الذي عرف به سميح القاسم بل أثبتت أن الفن العظيم يستطيع أن يكون ملتزماً الى أبعد الحدود دون أن يتحول الى صراخ سياسي .

وقصائد القسم الثاني قدمته « أم الفحم » تلك القرية الفلسطينية الباسلة : فعلى غلاف الطبعة الأولى كتبت هذه الجملة : « نادي النهضة بأم الفحم يقدم سميح القاسم في ارم » . ونود أن نذكر أن « أم الفحم » كانت وما تزال موطن الحركة الفكرية للمقاومة في فلسطين المحتلة ، ذلك أنها أكبر القرى العربية في الأرض المحتلة ، وفيها كانت البوليسية الصهيونية تمارس أكبر الضغوط لمحو الشخصية العربية وقتلها معنوياً ، وكانت وما تزال مقراً لأكثر الحكام العسكريين الاسرائيليين وأكثرهم عنفاً .

ويبدو أن اختيار اسم « أم الفحم » ووضعه على غلاف مجموعة قصائد « ارم » له دلالة قومية واضحة ، فأم الفحم هي الضمير الفلسطيني المقاوم ، وقصائد سميح القاسم من النسخ

الفلسطيني الحقيقي للضمير الفلسطيني ، واقتران اسم أم الفحم باسم سميح القاسم هو اقتران بين الأرض والانسان وتعبير اضافي عن أن فن الفلسطيني الملتزم هو فن الجماهير الفلسطينية .

وأبرز ما يميز قصائد المجموعتين معاً - غير النفس اليساري - هو الرؤيا القومية الشاملة ، وهي على أية حال رؤيا الانسان الفلسطيني الذي لم يستطع يوماً أن ينسى أنه جزء صغير من الوطن الكبير - رغم كل ما كابده وعاناه - فالقصائد تغني للأسطى سيد في مصر الذي يشيد قلعة الصناعة والسد العالي ، وتغني لتغني لمحمد مهدي الجواهري أمير الكلمة الملتزمة ، وتغني لنجيب محفوظ الذي يغرف مادة فنه من نبع الشعب الطيب البسيط .. إنها تثبت أن الأسلاك الشائكة والجدران الصلدة لم تقطع صلة الرحم بين فلسطيني الاحتلال وفلسطيني المهجر بين فلسطيني الاحتلال وعرب الأرض العربية كلهم .

دار العودة - بيروت

احمد سعيد محمدي

طالب انتساب للحزب

« إلى ماير فلتر .. وشيوعيين
لا أعرف أسماءهم من أسيوط واللاذقية
وفولغوغراد ومرسيليا ونيويورك
وازمير ، ومن جميع المدن والقرى
وأكواخ الصفيح والعرائش ..
المتشبثة بكوكبنا - بكرتنا
الأرضية » !.

اعطني إزميلك المسكوب من صلب المراره !
لم أعد أقوى بأظفاري
على هذي الوجوه المستعاره
هرأت عظم أصابعي ، النتوء الهمجيه
في الوجوه الحجرّيه ،
والأفاعي لم تزل تنسل
من افواه اعداء الحضاره
من تجاويف العيون الجاهليه !

* * *

اعطني مطرقةً .. من منجم الحقد المصفى
علني أنسف ما ظلّ من الأصنام
نسفا !

أعطني من قلبك الملعوم حبه
علني افتح مجرى
لدم يصدّم صخرًا

كلما همّ - ليلقى في الغد الآتي مصبه !

* * *

اعطني من نارِ عينيك شراره !
علّني احرقُ جيفه
سمّمت حقلي وآباري وريحتي
وأحالت قريتي أرض خرافات مخيفه !
أعطني بعض شراره ..
علني أصبح للآتين من خلفي ..
مناره !

* * *

أيها النسر المقاتل
أيها الأعصار
يا ناهش اطنان السلاسل

أيها الملدوغ من جحرين مرات عديده !
اعطني إزميلك المسكوب من صلب المراه
اعطني مطرقة .. لغماً .. شرار
علي أصنع فأساً - من قصيده !

أفكار از دهمت بدون ترتیب

المذلة

ذات يوم ، شيد الأقصى
وعشى الفقراء
كل ليله
يا رفاقي ، ورأيت
ذات يوم فبكيت
كان يستعطي لدى بوابة الأقصى ،

وفي عينيه ، ادركت المذلة !
قتل الثعلب في برج حمامه
سوف ارثيها ، واحمي البرج ، لكن
لست استعجل ميعاد القيامة !



القلق

قمري يخفش في الوحل ،
وفوهات البنادق ..
أعين مسعورة ، ترصده عند المفارق !



عجيبه

أنا في الأسلاك ، مشتاق الى طعم العذوبه
أنا في البركان ، مشتاق الى لمس الرطوبه
كدسوا من حولي القندول .. لكن
حرموني زهرة القندول ، في ارضي الحبيبه
فاسمعوني !
وافهموني !
انني أصنع في الأرض عجيبه !



لو

لو ان في الميدان
سيف ابي ذرٍ ،
ولو لم يغتصب عثمان
قيادة البلاد ، بالحديد والدماء
ما استأسد الثعالب الرومان !

* * *

لو هزنا ان يصنع الاعداء
... .. من حذوة الحصان
ما أصبحت حبيبتى وجهاً من الدخان
وجثة صفراء ،

يزني بها شرادم القرصان !

* * *

لو كان .. ياما كان
ما صار .. ياما صار
فافسحوا لي الدرب ،
اني قادم من خلل الدخان
من خلل الرياح والدموع والأمطار
آت انا ،
احمل في حقيبتي .. خريطة
للسمس والبركان
وصورة الإنسان !



قال وهو ينشج على صدر أمه

سألوني عن التي أنا منها

وهي مني

ربابة ومغني

عندليب وسوسنه

وكتاب

وبلال ومثذنه

وانطلاق

من هراء البیداء ، والخيل والليل

لدنيا .. اسوارها خشعت لي

في حنين الى ولادة طفلي

سألوني .. فما عساي أقول ؟

عزيزي

عزيزي .. ايفان ألكسييفتش اكتوبر

قميصي غارق في الدم ، يا إيفان
ونصل الخنجر المسموم ، ما زال
يحر .. بحر في لحمي
وطاووس الخيام السود والنابالم ، ما زال
يحوب البيت مختالا
ويصبغ ريشه المنقوش ، في دمّي !

جبيني مثقل بالوحل ، يا إيفان
وقلبي غاب أياماً ، وراء وكالة الانباء
وعاد إليّ محمولا مع الجرحى
على حمالة حمراء !
وراياتي التي كانت تمد الريح بالنخوه
مهلة : هلا مرحى ! هلا مرحى !
وتخفق وهي مزهوه
على نبض الملايين التربى الضوء والآلات والقمح
غدت يا صاحبي إيفان
لقتلانا الوجدناهم .. غدت اكفان !
قميصي غارق في الدم
ووجهي مثقل بالوحل
رراياتي ممزقة ..
ولكني أقول اليوم للأحزان
دعيني الآن يا أمي .. دعيني الآن

فإن يداً تشد يدي ، وتنشلني الى القمه
وتمسح عن جبيني الوحل ،
وفي حب ، وفي رحمه
تضمد جرح خاصرتي
وتغسل قلبي المطعون .. بالإيمان
وتطبع في فمي نجمة
دعيني الآن يا أحزان
أدور على بقايا من حداثق لم تتركها النار
واجمع ضمة سالت من الأزهار
أزينها بطابع نجم
واعقد حولها شريان
وفي اكتوبر الغالي
اسلمها بريد الدم
ليوصلها إليك هناك .. عبر الليل والقضبان !
صغيراً كنت يا إيفان

صغيراً كنت يوم أفقت مذعوراً

على صرخات أمي :

آه - مات أبوك مغدوراً

وشدّتنني ..

تعال إليّ يا ولدي

فخلف الباب ما زالت

ذئاب الليل .. والغربان !

وصرت معذباً بالسل

تلعق من دمي الديدان ..

ومر العام .. تلو العام ،

جبيني قطعة من شمع دير خانه الرهبان

وفي عينيّ مسرجتان مطفأتان

ولبت على رصيف الأرض ،

لبت ممزقاً عريان

وجست معاهد التبشير والأوعاظ والحكمة

ودور رعاية الأيتام
سألت العدل .. لا اللقمة !
فأنكرني مدير وكالة الغوث الخرافيه
ورد الباب في وجهي ،
وتمم ضاغطاً فكيه :
حسبك يا ابن مسبيّة !
ومر العام ، تلو العام ، تلو العام
وفي يوم من الأيام
صحوت على يد مست جبينني الجهم ، في رفق
وصوت معلم جوال
أتى من قمة الشرق
يقول : تعال يا ولدي الشقي .. تعال
فلء البيت سائبة ~
ذئاب الليل والغربان
وأنت ميتم ..

أتضيع بين مآدب الأنذال !
وحدثني طويلاً ،
عن بلاد الثلج والأطفال
والأزهار والعمال
وعن قصر الشتاء ،
وعن صراع الجوع والأجيال
عن الفولغا ،
ونوتين تهر في أغانيهم ،
خطى الزحف العظيم ،
وقصف اورورا ..
وعن فرح الشكالي يوم عاد بقية الأبطال !
وفرّ الليل مبهورا ..
رفيقي - آه يا إيفان
عميقاً كان صوت معلمي الجوال
وعذباً كان

هي .. مطراً على صحراء
تشرّبه الى الأعماق
قلبي الأسود الصلصال
فأصبح وردة حمراء
وأصبح بعد عقم طال ،
جوهرة .. وكثرة
وعصفوراً ، ومصباحاً على الطرقات !
رفيقي - آه - يا إيفان
وصارت نكبة النكبات
جناحي ثورتي الحمراء ،
باسم حبيبي الإنسان !
بكيت على أبي المغدور في دوار قرينتنا
بكيت على حديقتنا
بكيت على رفاق طفولتي ، في وحشة المنفى
تلوت قصائدي الأولى

على جثث الحساسين
ودقت قبضتي باب السماء
ولدت بالدين
رثيت لوائي المدعوك في الطين
هجوت الشوك ،
يغتال الزنابق في بساتيني
سقطت لدى مزار الضوء
أعشى ضائع الخطوه
بلا حول ولا قوه ..
دعوت الأولياء الصالحين
فردت الوديان :
إلهك كان يا هذا .. إلهك كان !
وقهقت السفوح السود
والقمم النحاسيه :
إلهك كان .. يا طرح الأناشيد الحماسيه !

بكيت'

هجوت'

ناديت'

دعوت'

بكيت'

صليت'

وجاء معلمي الجوال

من الفولغا أتاني ،

من درى الاورال

من الهند الشقية جاءني

من مصر من لبنان

أتاني من بلاد الصين

من كوبا .. من الصومال

أتاني - آه - يا إيفان

وأورق في ضميري الرمل والصوان

وعاد إليّ في الصوتِ
جيني الأول العالي
وقلبي عاد .. مركبة فضائه
تخط طريق أجيالي
وعادت ملء أجفاني المسافات الربيعيه
وغابات المداخن
والصنوبر ،
والقراصيه !
أجل عادت مع الصوت
رؤى نسلي الذي أقسمت أن يأتي
ووجه الأرض مخلوق من البدء
بصورة سفر تكوينٍ
يسمى الاشتراكيه !
وفي البدء
تعوم الارض في الضوء ..

وكيف نشاء
سنرسم صورة الافلاك والامواج والاحياء !
رفيقي - آه يا إيفان الكسييفتش
أتاني الصوت .. صوت الجد اكتوبر
أتاني طيباً .. أخضر
وقال : تعال يا ولدي الشقي .. تعال !
فملء الليل سائبة
ذئاب الليل ، والحيات ، والغربان
وأنت مُيتم ،
أقضيح بين مآدب الاندال
ورحت ادور يا إيفان
ادور على بقايا من حدائق لم تملكها النار
واجمع ضمة سلمت من الأزهار
لأبعثها لبيت الجد اكتوبر
سلاماً يا سواعد اخوتي العمال

سلاماً يا مداخنهم
سلاماً يا منازلهم
سلاماً للجسور الشهل ،
للآلات ،
للأبراج ،
للأزهار ،
للأطفال !
لطهر حدائق العشاق
للأكواخ ، للأحراج
للمدن الزجاجية
سلاماً للسهوب الخضراء
للقطعان
للسفن ..
سلاماً يا نوارس
يا شواطئ

يا أغاني الليل ، ملء شوارع المدن !
أنا .. رغم الجراح النجل في بدني
وفي وطني ،
أشارك .. منشداً للعيد .. عيد العالم الأجل
واجعل جيلي الدامي
فدى أجيال مستقبل !
أشارك منشداً للعيد ،
عيد الجد اكتوبر :
حبال الضوء ، يا سكي الحديديه
أكون مسافراً ، لو شئت .. الأوجـ
وارقص عارياً ، لو شئت .. في الثلج
واجذب خصر حوريه
مدلة ، طفوليّه !
حبال الضوء !
يا قدرى الذي أهوى

ويا رايات أسفاري البطوليه
أكون مسافراً لو شئت ، عبر مخاطر البحر
إلى الأرض الفدائيه
هنالك أنحر الآلام .. أنحرها إلى الأبد
وأستلقي .. إلى الأبد
على أعتاب أفراحي التي كانت خرافيه
حبال الضوء ، شديني إلى القمه
إلى القمه ..
إلى القمه !
إلى شفق ، جراح الأمس في جنبه ملتئم
شموساً لا نهائيه !
تزود متحف الآثار ،
بالأحزان ،
والأصفاد ،
والظلمه .

۱۳۴

۱۰۴

تزجية

إلى الأحياء !..
الذين يدأبون على إرم الفاضلة
حُباً ... وأزرا ...
وإلى الموتى !..
الذين يدأبون على بعث إرم الخاطئة ؛
شجباً وزجراً !

س . ا .

تليين

في الأساطير أن شداد بن عاد عندما بسط سلطانه على الدنيا بأسرها حشد عباقره المخططين ، فنفذوا أمره بتشيد مدينة ذهبية جدرانها مطلية بالمسك والعنبر ، ويحيط بها سور فضي مموه بالذهب ، حيث أصبحت غير مرئية من شدة وهج الضوء المنعكس عنها .

ونهضت المدينة ، مؤلفة من مئة ألف قصر .. أعمدها زبرجد وياقوت ، تجري بينها أنهار حصاها من الجواهر ، وعلى

حافاتها أشجار جذوعها من الذهب ، واوراقها وثمارها من
اللآلئ . وأطلقت بينها شتى الطيور .. تصدح وتغرد ...
غرق أهل هذه المدينة « إرم » في نعمة لا توصف
واستهوتهم شتى ضروب الملذات فغاصوا في الرذائل ، ويوم
أرسل لهم الله من يعظهم لعلمهم يرفعون ، تنكروا لله وكفروا
به ، وواصلوا ضلالهم (* فصب عليهم ربك سوط عذاب *)
وصاروا مثلاً وعبرة (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات
العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد *) .

هذه هي « إرم » التي ورد ذكرها في الأساطير ، وفي
القرآن الكريم ، والتي كتب عنها وألف حولها الكثيرون
من الكتاب والشعراء .. أما « إرم » التي أحلم بها وأكتب
عنها فهي إرم جديدة .. إرم فاضلة .. تحلم بها الإنسانية
جمعاء .. وتناضل من أجلها .. مضحية في سبيلها الطويل
الوعر يحسام التضحيات وغواليها .. مؤمنة بأنها البديل الوحيد
وواثقة بأنها البديل الأكيد للعبودية البشرية ، وفنائها الشامل .

إرم الفاضلة

البشرية : إرما .. تريد القافله ؟ !

الشاعر : إرما .. على أرض جديده

إرما .. سعيده

إرما .. ولكن فاضله !

البشرية : ماذا لديك ؟ !

الشاعر : لدي عن إرم قصيده !

البشرية : فلتسكتوا ..
فلتسكتوا !
وليلق شاعرنا نشيده !!

* * *

البحث عن الجنة

– عبثاً تحاول أن تنام !
قدر عليك السهد والفرع المدمر والظلام
فاهجر فراشك .. ألف صل في فراشك مستثار
ووسادك المحموم أشواك ونار !
سرب من الغربان في أعماقك الشوهاء حام
والليل حولك والعواصف والثلوج فلن تنام
عبثاً تحاول أن تنام
قدر عليك البؤس والألم المبرح والسقام

مأساتك السوداء كانت منذ قال الله : فليكن الوجود
وكان .. ثم بدا له أن يصنع الشمس اللعينة والحياة
فدارت الأجرام في الفلك المقيت ودبت الأحياء
في الآفاق سائبة يعيش ببعضها بعض .. وكنت
لتلتقي في روحك الموبوء آلام الخليقة والشقاء المر من ندم
يغلغل في كيائك كلما أوغلت
في تقليد ما سواك ، بالعقل المعذب والهيام
بشهوة صفراء رائعة البداية مرّة التاريخ
فاجعة الختام !
عبثاً تحاول أن تنام !!..
فاحمل عظامك وامض في الدرب الطويل
تحفك الأخطار ، جدّد رحلة الأحزان في أرض الضياع
القاحل المشؤوم ،
في بحر الأسى الطامي الذي لا يرحم السفن البريئة تقطع
الأبعاد .. بالقرصان والملاح

والأطفال والشيخ العجوز وغادة عذراء
حاملة بفارسها الجميل .. وزوجة فضلى
وزانية وقديس وانسان يغامر
في سبيل الحق ، يحدجه اللصوص
ويهمسون .. ويرسمون
خططاً يطل ورائها وجه يقهقه ساخراً
عبث حياتكمو ! .. جنون !! ..

* * *

سل جدك المجدوب الأعمى
وسل أبويك ، هدهما العذاب وقورست ظهريهما
عجلات شيء وأسمه الدهر
الذي لا ينتهي !

سل كل وجه اغبر القسمات يقذفه المدى
في وجهك المكذور .. لا لوثات مجدوب
تغطيه بأكداس الهناء السمج

والفرح المزيف والصفاء الأبله !
سل كل انسان تحدر في كيائك ما تحدر
في كيانه من دم يغلي بنار الله ، بالصحو
المصفى من سلو ضل عن وجه الحقيقة
هل تغلب واستكان ضميره في الوحل
في الدوامة الحمقاء فاستعلى وأفلح
أن ينام ؟!

عبثاً تحاول أن تنام !
فاحمل مصيرك وامض في الليل المولود
عبر ندف الثلج عبر الرعب والريح المخيفة
والوحوش ونكبة الكون المشنج في الظلام !

عبثاً تحاول أن تنام !
عبثاً تحاول أن تنام !! ..

— منذا هنالك ؟ .. أي طيف في الطريق
الموحش الموحول منذا أذت يا شبحا

يقوم ويرتمي في كدرة الأسداف .. لا الأمطار
ترحمه ولا الأشواك والصخر المسنن والرياح ؟
من أنت ؟؟

– صنوك ضارب في الأرض
ودّع أهله قبل الصباح !
ومضى وفي أعماقه الكدراء ينزف
مثل ما في قلبك الدامي وروحك من جراح !
– من أنت ؟؟

انسان تغرّب في طريق الرحلة الصفراء
يزحف نحو أقصى الدرب ، نحو البقعة
السوداء في الأفق المشوّه .. في المجال
المعتم المرهوب ، غلفه السحاب !
– منذ هنا لك ؟؟

– لعنة أخرى تلوب على المدى المجهول
مطفأة العيون ، تدب في قلق مميت ،

خائق الجدران ، تسرح في جوانبه الحديدية
سائمات الظلمة النكراء ، تنهشه الأفاعي والذئاب !
وتند عنه ، جريحة الاصداء ، عائرة التمرد ،

صرخة رعناء دامية ،

تمزقها الأعاصير الغبية ثم يلقفها ويبلعها
المدى المظمور في الدم ، في المزابيل
في الخرائب ، في الضباب !!

رباه ! أين الدرب ؟ ! .. ثم يقهقه
اللا درب ، يسخر من فظاظة طينة بلهاء
ينخرها وباء السل والسرطان

ثم تلفها الأوحال في صمت وهيمنة ملوثة ،
وهزء ساحق الأثقال
جنده العذاب !

ويود لو يتوسد الطين المعفن كي ينام
فيضج في اسماعه المكدودة المضناة
صوت راعد : لا ! لن تنام !!

الخطيئة والوثن

- دوري مع الأعصار ! يا قطعان ! ضيَّعك الرعاة !
وابكي ربيعاً مات .. مات !
وتهيأي للمسلخ المشؤوم تهدر فيه زاكية الدماء ..
من القرون الخاليات !
من يوم أنشب آدم المغدور في حواء ناباً
يغتذي من لحمه المغبون ينهل من دماه !
ويظل يؤمن أن في صلب الخطيئة هادر

ينبوع أسرار الحياة
ويهز صوت الله أركان الوجود :
- اليوم تفقد جنتي ! فاخرج يرافقتك الشقاء
مدى رحيلك في يباب الأرض ..
خلفك موصل عدني ، وأمسك لن يعود !!

* * *

- دوري مع الأعصار ! يا قطعان ! ضيعة الرعاة !
وابكي ربيعاً مات .. مات !
من يوم شاء الله أن تهوي يدا قايين ،
قاتلتين ، غائصتين في الدم ، في الحياة
ويروح يصرخ من وراء السدل
في عسف الطغاة .. الأغبياء من الطغاة
- قايين ! يا قايين ! أين مضت بهابيل خطاه ؟!
إذهب ! يرافقتك الشقاء .. جزاء فعلتك الحرام !
قدر عليك السهد المبرح والسقام

وتند عن أرض الخلود العاهره
صرخات بُقيا اللحم والدم والعظام !
الشلو أقسم لن ينام !
الشلو أقسم .. لن ينام !! ..

* * *

— الرب (راع) !
ما زال يرمقه الملايين الرعاع
يتعبدون ويرفعون له الذبائح والقرايين البريئة ،
يسجدون الليل .. حتى منتهاه
— ماذا وراء الصمت تكتم يا إله ؟!
ويضج أعصار الحقيقة بين أغلال
تصفده بها الأوهام ، غادرة الجموح ، غبيّة التيار
نادمة المصير !

— لا سر في صمت الإله !!
لا شيء غير الجوع والحرمان والطوفان ،

يحتاج القرى السوداء .. يكتسح العبيد
الضاربين بلا وجوه ، يحملون جبال صوآن
على الأكتاف ، داكنة النجيع
يحز فيها النير مذ كانت وتنهشها الضباع !
والرب (راع)

ما زال يعبد الملائين الرعاع !..
والمؤمنون الآبقون ، وجوههم للات ترو
في خنوع أبله ، قطعانهم في الرمل تزحف
.. هاربين من الضياع إلى الضياع !!

* * *

- الليل في النزاع الأخير !
ونسائكم يبكين في صمت مرير
يبكين في جوع وحرمان ، يبوخ الطين
من زفزاتهن البكم ، يحترق الحصير
طالت سنون الجذب . والاهرام تلتهم الرجال !

خوفو يموت .. فشيدوا قبراً يعيش به الزوال !
وتهبأوا للجوع ، للأوباء ، للقمل السعيد ،
وللاسياط ، تنز حانقة بأيدي الثائرين على الفناء
العائشين على الفناء ، الخالدين على الفناء !
لا كانت الأطفال ! حتى ينجب ابن الشمس
طفلاً لا يموت !

هبوا فان الليل في النزاع الأخير
والشمس صمت . وابنها ، خوفو المدلل
بات في النزاع الأخير .

* * *

يا نمل بابل أن في مولاكم شوقاً
لأسرار السماء !
فتكدهوا قبل الصباح
ستشيدون سبيل مولاكم لأبواب السماء
بيعوا حلي زوجاتكم

جزوا غدائره من نجد لها حبلاً أو سياطاً
أو مشانق للعصاة الأشقياء
واستسلموا للريح أن هدّت عرائشكم ،
وقصّفت الكروم الخضر ..
إن الله يرزقكم غداً من عنده الخير الكثير !
وإذا استباح الداء آلافاً من الأطفال
فاستلقوا على أعتاب برجكم العتيد ،
وعزّموا ، تحمل نساؤكم ثوائم ..
ان ربكمو على كلٍّ قدير !!

أبطال الراية

- دعهم ، فان ضلالهم قدر يرافقهم الى اليوم الأخير !
جالد إذا أفلحت ، منتزعاً خطاك من الوحول
الداميات
وعد الى فردوسك المهجور ، للجنات تجري تحتها
الأنهار ، للقصر الكبير
للليل (غوثاما) ! والأعصار (غوثاما) !
يؤول غداً بمشعلك المصير

ستظل في أوهامك البيضاء (نيرفانا) ..
تظل رؤى مقدسة ، إلهاً من أثير
والله ! نحن نشاؤه بغرورنا ،
شيئاً له قسماقتنا الشوهاء ترسمه أناياتنا ..
فاهبط من الأبراج ، من شم القباب
وإذا استثير لهيبك القديس من صوت الضمير
وشقيت في ما يحمل الإنسان عن عبء العذاب
فالمس جراح الأرض في رفق ..
ودثر عريها الدامي بأسمال التراب !!

* * *

حطم وصاياك الشقيه !
واسجد مع الكفار للعجل الغبي ، فللسدى
تعطو أمانيك الغبيه
ألواحك الآجر تغري النمل والديدان
والابريز في العجل المدلل يخطف الأبصار

يقذف بالعقول الدكن في دوامة غضبي دجيه !
آنست ناراً ضوأت سيناء ! ثم سمعت
قل .. ماذا سمعت ؟ سمعت صوت الله
يا موسى .. فبشر في البريه !
طوّف قروناً تحت جناح الليل .. في شفتيك
يهدر صوت يهوه
والمشعل القديس في كفيك ترفعه ،
تذود الدكنة الشوهاء عن كون مشوّه
وغداة يسبك كل شعب ما لديه من الحراب
الى محاريث وترعى الشاة ما بين الذئاب
ماذا يكون ؟؟ ستفتك الشاة الوديعة بالذئاب
وسيبعث الإنسان ملحمة الصراع ،
وآن تشم المحاريث الدماء ستستحيل إلى حراب
ويزيح قايين القديم جميع أكداس التراب
يزيح قايين القديم جميع أكداس التراب :

فأرحم وصاياك الشقية !

حطم وصاياك الشقية !!

* * *

– شرف الأقانيم الثلاثة والصليب

شرف الدماء الزاكيات النازفات من الجراح ،

جراح هيكلك الخضيب

شرف الأحبوا بعضكم بعضاً ..

وهذا خبزكم جسدي وخمركمو دمي الجاري

وفي الناس المسره

والأرض يغمرها السلام .. فلا قتاد غاصب

يودي بزهره

شرف المحبة والخلاص من الخطيئه

شرف التعاليم البريئه

لم يلهم الإنسان معنى الخير ..

لم يثن الغزاة الطامعين البله عن وهم الفتوح !

ورسولك القديس بطرس ، عاد للشك القديم ..
فليس من تلميذك المعهود ،
ليس سوى مسوح
فارحم جراحك يا مسيح !
ما عدت في الإنسان غير حكاية تحكى
عن الرب الجريح !!

* * *

- حرّاء ! هل هجرت حمامتك الوديعة ؟
هل جفتك العنكبوت ؟
حرّاء ! هل دهمت قريش أمان لائذك الكريم ؟
فراح تحت سنابك الكفار
مغدوراً يموت ؟!
عادت (منى) وأبو لهب
عادا .. فما تبت وتب !
والكعبة استخذت منابرها للغو خوارج ،

لا الله يكبح من جماح ضلالهم ، لا الأنبياء
ولا الكتب !

واستشهد الأنصار .. وانهارت مدينتهم ،
وشرعت المساجد للصوم المارقين !
و « الله أكبر » ! لكنة جوفاء
تطلقها نفايات المسوخ التافهين !
فاركب بعيرك يا محمد !
وتعال .. لي في الشمس معبد !!

* * *

— ما جئت بالتنزيل ! لم يفاجئك جبرائيل
في رهط الملائك بالنبوه !
لم تلق وجه الله ! لم تسمع من النيران دعوه !
لم تحي أمواتاً ولم تنهض كسيعاً !
لم تزل برصاً ولم تخلق نبيداً من مياه
لم تجيء بالمعجزات الخارقات

لكن وجهك يا رسول العصر أشرق في ظلام العصر ..
أحلاماً ، وإيماناً وقوه !
وهدير صوتك هز أعماق الخليقه
فاستفاقت جذوة سجنت بأعماق الحياه
فإذا الظلام يسبح في دعر ، ونور الفجر
يولد في العيون المطفآت
وإذا أنا الإنسان ! أجهر بالصلاة !
وإذا صفاري يشبعون ، ويدرسون ويلعبون !
ومشيئة الرحمن والأقدار
بعض من نفايات القرون !
والأرض بعد العقم أثمار وأزهار وخضره
فاسمع أغاني الثائرين
واشهد نهايات السجون
واهنأ فإننا بأسمك الجبار نجتاز المجره !
واهنأ فإن الشمس تشرق كل يوم ألف مره !!

حيثما

تبيضُ أجنحة الغراب !
وتلف أذناً ، من الحزي ، الكلاب !
وتلوب في فزع وفي خجل ، على أرض الرماد المر
أسراب الذباب
وتجف من رعب السؤال ... تجف حنجرة الجواب :
— من أي أعماق البشر
يتفجر الموت الزؤام على البشر !؟

ولأي كهف ينزوي الله المعفّر بالغبار
وبالدخان وبالشرر ؟
وبأي معراج يلوذ الأنبياء الصالحون
غداة تربد الصّور ؟
بالحظ ؟ بالمقسوم ؟ بالمكتوب في غيب القدر ؟ !

* * *

طفل بلا رجل ، بلا عين ، ومخلوق بلا وجه ،
وأشباح من الانس المشوه تستغيث
وتقهقه الأوباء والقحط الخبيث :
- كل الأنث هنا عواقر
كل الرجال هنا معقمة .. فألقوا العبء
عن أكتاف محراث مسافر !
هذا الرماد المر لم ينبت سوى الورد المحجّر
والدم المسود والريح المسمم والخناجر !
وتصك سمع الشمس هممة المصانع

تحت وجه الأرض حبلى بالذخائر
قلبي على العمال ! خوف الجوع .. أيديهم تصوغ الخوف
.. من أجل الصغار .. أكفهم تختط موتاً للصغار !
قلبي على الإنسان ! في قلق الدمار
يسوق أحلام الخليقة للدمار

* * *

وترف أجنحة الأعاصير الملوثة الحقوده
وتشرع الأظفار والأنياب في وجه البراعم ،
غضة الأشواق ، في أحضان مشتلتنا الجديد ..
وتشتهي النيران خضرتنا الجديده !
وتصدع الآفاق جلجلة الملايين المدوية المريدہ :
- أیظل ؟!
- لا .. لا .. لن یظل إلهنا !
- ونظل ؟!
لا .. یا طفلنا الموعود !.. لن نبقى عبیده !!

فوراء سور العصر خلّفنا شعائره البليده !
ووراء سور العصر خلّفنا كهوف الموت
موحشة معذبة .. وفتنا الليل والأسلاك
والأنقاض والقتلى ونصب المجد
في الأرض البعيده !
واجتاز موكبنا مخاضات الدم الكبرى
إلى شطآن ... جنتنا السعيده !!

بطاقات الى ميادين المعركة

الى بول روبسن

من أقصى أطراف الدنيا
ينهل غناؤك في بيتي
ويرفرف في قلبي
عصفورا .. أسمر .. منفيا
من أقصى أطراف الدنيا
ينهل غناؤك في بيتي

يا أعمق صوت
ينهل غناؤك في قلبي
يا أقصى لافتة في الدرب
يا فاضح جور الإنسان على الإنسان
من أقصى أطراف الدنيا
« بالله خذوا أمني للبيت » (*)
« كي لا تشهد موتي ! »
وتهوم في عينيا
أشباح الكوكلو كس كلان
يلهون بصلبك في الميدان
يلهون بصلبي في الميدان
وأفئق على ضربة طبل
ويعود إلى قلبي الإيمان !!

(*) من أغاني روبسن .

إلى فيدل كاسترو

قدماً .. قدماً .. في هذا الدرب !
يا حاطم أغلال الشعب
قدماً .. يا أول شعله
في عتمة أمريكا المحتلة
قدماً .. ما دامت في البيت
أشتات الأوباش الفاشست
قدماً .. الفجر وقضبان السكر
أسلحة ليست تقهر
يا غوث الجزر المنهوبة
وعزاء الأم المنكوبة
رايات القرصان

ستغوص إلى القيعان .. إلى القيعان
شهداء .. مخضبة .. مغلوبه
باسم الحرية والإنسان
قدماً .. قدماً .. يا شعباً في كوبا
ما عاد مسيحاً مصلوباً !!

* * *

إلى جان بول سارتر

أطلقها .. ناراً .. في وجه الأعداء
أطلقها .. كلمتك الحمراء
ما دام على الدنيا باستيل
ما دامت قضبان .. وسيط .. ودماء
يا أنبل قنديل
في عتمة باريس العمياء
أطلقها .. من أعماق أعماق الإنسان
كلمتك المغروسة في وهران
في هافانا .. في هارلم .. في كل مكان
كلمتك المورقة الخضراء
أطلقها !

ما زال على الدنيا باستيل !
ما زالت قضبان وسيط ودماء !
أطلقها ! أطلقها !!
من قوس النصر المحمول
فوق رقاب الأحرار الشهداء !

* * *

إلى نجيب محفوظ

عاشوا .. لم تصحبهم كلمة
ماتوا .. لم تصحبهم كلمة
فالفصحى والأوراق المصقولة والإنشاء
والحبر الغالي والأقلام الفضية
كانت مسيبة
يلهو بمفاتنها النبلاء ..
والناس البسطاء

عاشوا .. لم تصحبهم كلمة
ماتوا .. لم تصحبهم كلمة
فاغترف من أعماق البئر العذراء
واسق العامل والفران وأطفال الحارة

فالناس ظماء
اكتب عن شحذ الهمة
اكتب عن أحلام الأمة
طوبى للحرف الشامخ في الليل عناره
والعار لأبراج العاج المنهارة
وسبايا النقاء !!

* * *

إلى كريستوف غبانيا

ما زال طويل الأظفار
ما زالت عيناه تقذف حمم النار
ما زالت تحميه دجيه
في قلب الأدغال الأفريقيه
في قلب الأدغال الأفريقيه
ما زال يزلزلنا .. حقدأ .. لا رعبا
الوحش القاتل لومومبا
ودماء الكونغو ما زالت .. في كل طريق
وصلاة الكونغو ما زالت .. والليل عميق
فارفع شعلتك المشبوهه
وأضئ للأم المحبوه

فالدرب طويل دون ضياء

والدرب قصير ما دامت

في الموكب رايتك الحمراء

فارفعها ولتخفق أبداً

في الدرب على جثث الشهداء

الدرب قصير !

الدرب .. قصير !!

* * *

إلى ثوار فيتكونغ

أسمعها .. تهدر .. ملء دمي
أسمعها ! في الوديان ، على الغابات ، على القمم
أسمع صرخات الأحرار ، وقهقهة الرشاش
أسمع غارات الفاشست الأوباش
وأصيح .. أصيح .. بلا صوت :
« الموت لآلهة الموت » !!
وأحس بكفي تتقلص
وأغيب لبرهه
وأحس كأني أتربص
بذئاب الغزو على أرض الجبهة
وأصبُّ على الأشباح النار .. وأبكي !! :
« مَنْ يجرع في بارات نيويورك الوسكي ؟ »

« مَنْ يلقى في المقهى حلوه ؟ »
« مَنْ ينشد في الشارع غنوه ؟ »
« مَنْ يحرث في أمريكا ؟ مَنْ يزرع ؟ »
« مَنْ يحرث في فيتنام ويزرع ؟ »
« مَنْ يبقى في المصنع ؟ »
مَنْ يبقى ؟؟

يا آلهة الموت امّتحني في أمريكا ..
يا آلهة الموت المحقى !!

وتجلجل ملء دمي
في الوديان .. على الغابات
غارات الفاشست الأشرار
وأصبح .. أصبح .. بلاء فمي :
« الموت لآلهة الموت ! »

وصباح النصر يشع على أعينكم
يا ثوار فييتكونغ الأحرار !!

* * *

إلى اوري ديفز

في كفي دفء من كفك !
في قلبي صوتك : « إني في صفك ! »
في ذهني وجهك .. ذات لقاء
وهتافكم : « إني معكم يا اخوتي الشرفاء »
« معكم .. معكم .. في وجه الأعداء ! »
في ذهني قامتك المنتصبه
وملاحك المكتئبه
وشعار النقمه
والخيمه
والشرطي القاسي .. والسجن الأقسى
لا ! .. لن أنسى !

ولقاؤك لي خلف الأسلاك
والبسة .. تسكبها في قلبي شفتاك
ومتافك : « لا تحزن ! لا تحزن ! يا صاحب ! »
و « أحلف أن تحكي للناس متافك »
« إني سأواظب »
« سأواظب ! »
لا .. لن أنسى !
يا جرح الأعداء الأقسى
يا جرح الأعداء
وصديق الشرفاء
قسماً بالجرح الواحد
في ماضي شعبينا الخالد
قسماً بالشمس
معاً .. سنفك من الأسر الدامي .. الشمس !!

* * *

الى الأسطى سيد

يا اسطى سيد !
ابن .. وشيد
شيدلى السدّ العالى
شيدلك
أطفيء ظمأ الغيظ الغالى
وامنحنا .. وامنح أهلك
كوباً من ماء
وخضاراً .. وزهوراً .. وضياء
يا اسطى سيد
أزف الموعد
والقرية في الصحراء العطشى تحلم

والبذرة في الثم الصابر تحلم
فادفن أشلاء القمقم
وابن .. وشيد
يا اسطى سيد
باسم ضحايا الأهرام وباسم الأطفال
ابن السد العالي !
يا صانع حلم الأجيال !!

* * *

الى محمد مهدي الجواهري

عفواً ! يا عملاق الكلمة
إن شابت ألفاظي عجمه

عفواً فجراحي قاتلة
والظلمة ، تخنقني ، الظلمه

عفواً ! أن أقلق منفيّاً
منفي شاطره همـه

لهفان .. يد إليك يدأ
حمراء تلوح في العتمه

ويصيح: «صباح العزة يا نسرأ سيعود إلى القمه!»

يا حثف زبانية لصوا
من أيدي الفقراء اللقمة
وانهاروا عنها منفوشاً
في وحل الأحقاب الجهمه
في صوتك روعة تاريخ
وبيارق نصر ملتبه
فاقذفه على البغي شواظاً
واسكبه ضياء الأمم
أنا (جعفر) في أرض أخرى
يمتص فم الطاغى دمه
فاعذر أن دوت كلماتي
جشاء ، ممزقة الرحمه
أغريب وجهاً ولساناً
ويداً .. لا يهدر بالنقمه ؟!

* * *

الطريق

أبدأ على هذا الطريق !!
راياتنا بصر الضير .. وصوتنا أمل الغريق
أبدأ .. جحيم عدونا .. أبدأ .. نعيم للصديق
بضلوع موتانا نثير الخصب في الأرض اليباب
بدمائنا نسقي جنينا .. في التراب
ونزد حقلاً .. شاخ فيه الجذع .. في شرخ الشباب
ونصب في نبض المصانع ..
للمربى .. والحقائب .. والثياب
نبض القلوب المؤمنات ..
نبض القلوب المؤمنات .. بكل أقداس الحياة !!

* * *

أبدأ على هذا الطريق !

نذوي فدى أشواق سنبله على وعد العطاء !
ونصيح من فرح غزير الدمع .. في عرس الفداء
أبدأ .. على هذا الطريق !

شرف السواقي .. انها تقنى فدى النهر العميق !!
والنهر يجري دافقاً .. يجري ويكتسح السدود
وانظر إلى الأفق البعيد .. انظر إلى الأفق البعيد
ف هناك .. كانت ثورة كبرى .. وكانت بور سعيد
وهناك شيخ ميت .. وهناك ميلاد جديد
وهناك ناس أصدقاء

صنعوا الحياة .. ونسقوا خضر الجنائن في الجليل
وهناك منجم أنبياء

جلدوا القياصرة الطفغة الأغبياء

وترمدوا .. لتعيش فوق رمادهم شعل الضياء !

* * *

وانظر إلى الأفق البعيد .. انظر إلى الأفق البعيد
ف هناك .. في أعماق أفريقيا الجواري والعبيد
فجر .. يمر بكفه فوق الجباه الشاحبات
ويصب فيها النور والدم .. والحياة !
وهناك .. في أعماق أمريكا الجريمة والتمزق والضياع
طبل .. يدق بلا انقطاع
لدينة تشرى .. وزنجي يباع !
وهناك .. في الأفق القريب .. هناك في الأفق البعيد
ليست تتم الأرض دورتها بلا نصر جديد
فاحمل لواءك .. وامض .. في هذا الطريق ..
أبدأ .. على .. هذا .. الطريق !!
شرف السواقي .. انها تفنى .. فدى النهر العميق ..

في انتظار طائر الوعد

في انتظار طائر الرعد

أصوات من مدن بعيدة

- ١ -

يا رائحين إلى حلب
معكم حبيبي راح
ليعيد خاتمة الغضب
في جثة السفاح

يا رائحين إلى عدن
معكم حبيبي راح

ليعيد لي وجه الوطن
ونهاية الأشباح ..

يا رائحين ، وخلفكم
عيننا فتى سهران
ما زال يرصد طيفكم
قمرأ على أسوان ..

قلبي تفتت ، والتقى
في روضكم .. وردة
عودوا بها .. والملتقى
في ساحة العوده !

- ٢ -

يحيثون ليلاً ، يحيثون
فاستيقظوا استيقظوا
واحرسوا القرية الخائفه

يحيئون ليلاً ،
من الغرب .. في مسرب العاصفه
أظافرهم من بقايا السلاسل
وأسنانهم من شظايا القنابل
يحيئون من عتمة الأعصر السالفه
يحيئون ، قلت ، على عربات قديمه
تثن بأثقالها الخيل .. خيل الجريمه
« يحيئون ليلاً »

فهاتوا الهراوات .. هاتوا المشاعل
« من الغرب » قلت لكم ، فافهموني
وألقوا المسابح للنار ،
ألقوا غبار القرون
وقوموا نقاتل !

- ٣ -

جعلتني ابنها من قرون

أرضعتني البقاء
دفقت في عروقي الدماء
وهي شئت فكنت
كما آمنت أن أكون
وهي شئت . فكان الكتاب
نعمة في يدي
وهي شئت .. فكان الشتاء السخي
وانتهى العدو خلف السراب !
لحمها أم تراي يقاوي الجراح ؟
صخرها وجذوع الشجر
أم عظامي أنا .. تحت حدّ السلاح ؟
حسناً .. لا مفرّ
انني حامل دمها المستباح
ودمي المستباح
حملته .. وأنا معاً في خطر
فالكفاح .. الكفاح

قومي اشهدينني . صاعداً كالريح ، من كهفي الذليل
قومي اشهدي عينيّ ، مصباحين في الليل الطويل
قومي فإني قادم .. جيلاً على آثار جيل
رثي تمجُّ غليلها الدامي ، تبارك من غليل
ويدي على الرشاش ضاغطة .. ووجهي في الدخيل
قومي اشهدينني صاعداً ، تيار جاحمة أكل
قدمي على الأفعى ، وثغري بين أزهار الحقول
آتِ أنا .. آتِ .. يضيء حنين أعوام سبيلي
آتِ لأحصد حنطتي ، وأعيد ترتيب الفصول
آتِ .. قفي بالباب يا أمي ، مباركة دخولي
ترفُّ لديك العيش .. أرضى منه بالنزر القليل
وإذا قُلتُ لديك يا أمي .. فيا ترف القليل
.

قومي اشهدينني نازفاً في الباب .. جذلان الوصول
أرثي دمائي منشداً : سيلي .. وصلتُ الباب سيلي !

مقطوعة الضفائر
في الوحل ، يا حبيبتى ،
في الشوك ، في الحفائر
مقطوعة الوريد ، يا حبيبتى ،
مقلوعة الأظافر !
ولم يزل جبينك المناره
في عتمة الضمائر
ولم يزل صوتك يا حبيبتى
فضيحة القاتل .. بعد ليلة الخناجر ..
ولم أزل أنتظر الأشاره
لأشعل [المجامر
لأنني ما زلت يا حبيبتى
أؤمن في فجيعتي
بالضوء .. بالإنسان .. بالحضاره !

مَرّوا على بابي مع الليل
مَرّوا وما دقّوا
ويلي إذا لم يرجعوا ، ويلي
سُيميتني الشوق !
مَرّوا ، وكنت وراء نافذتي
جرحاً على خشبه
لم يسألوا أغراب ناحيتي :
يا ناس ! من صلبه ؟

كانوا ثلاثة فتية .. قدموا
من فجر بغداد
كبروا ، وقالت أمهم لهمو
باركت أولادي !

ومضوا .. وفي أحداقهم وهج
من شعلة الماضي

رصدوا به درباً لأنقاضي
ومع الدجى .. ولجوا !

.

كانوا ثلاثة فتية ، عبروا
ليلاً على بابي
جاءوا وفي أعناقهم خبر
من عند أحبائي

عبروا .. ثلاثة فتية عبروا
وثلاث طلقات
وحطام صيحات

صاح الأول : « ويلاه ! صار عدوّنَا القمرُ »
صاح الثاني : « لا تذرفي دمعاً .. سننتصرُ »
وأكمل الثالث : « في نسلنا .. في الموعد الآتي ! »

مَرّوا على بابي مع الليل
مروا .. وما دقّوا
ويلي إذا لم يرجعوا .. ويلي
سيميتني الشوق !

- ٧ -

قفوا جميعاً .. جميعاً .. واستعيدوني
فقد 'خطفت' ... وأبواب الردى دوني
قفوا جميعاً .. فرغم النصل ، في رثي
لا انحلّ قلبي ، ولا جفت شراييني
دمي عليكم ، إذا ما متّ مغترّباً
أقول : ناديت .. لكن لم يلبّوني

- ٨ -

وحدك الليلة للرقص ، ووحدني للهدوء
وحدك الليلة ،

غبي في زحام الضوء والأعلام ،
حقى الفجر غبي
وأنا .. وحدي للإيمان ، في ظلّ صليبي
صامتاً . هياتُ جرحي للوضوء !
وحدك الليلة ،
تدعوك ميادين المدينه
آه .. تدعوك .. فقومي واستحيلى
نجمة فيها ، وميلي
كيف شاءتك زنود الراقصين
واتركيني ،
أضفر الشوك على بعض التواريخ الهجينه
وأغني للبساتين الحزينه
في زمان القحط ، موّالى الحزين !
وحدك الليلة ،
من شارع عبيثيل (عبدالله)

في زفة هورا
عبر ساحات نزار ومضراً
آه - ساحات نزار ومضراً
واغفري لي الصمت والقلب الكسيرا
انها ليلة ذكرى .. وعبر !

ملاحظة : هذه الأصوات مهداة إلى عمال تنظيف الشوارع في
مدينة عدن .

الرعب

حين تغيب الشمس ، قالوا ، أغيب
في حجرة من وطن !
أحرم ، قالوا ، من عناق الهموم
بيني وبين القمر
يرعبهم ، أعلم ، بثّ الضجر
بيني وبين النجوم
يرعبهم لمسي جذوع الشجر !
.....

وفي مغيب الشمس ، قالوا أغيب
في حجرتي يا وطن
قالوا أكون الغريب
وأنت ملء البدن
فمن ترى يحمل عبر الزمن ،
في قلبه ، وجهك هذا الحبيب
ومن مغنّيك .. من ؟
غيري أنا .. يا وطن !؟

البيت الأخير في القصيدة

صعدوا السلم ..
أسمع وقع الخطوات المشبوهه
أبصر تحت معاطفهم
عنوان المنزل ، والفوهه
صعدوا السلم ..
همسوا ،
ثانيهم يتقدم

يعقف سبأته ، ينقر بابي .

.

.

– ويلك يا هذا .. عكّرت الصمت

ويلك .. نفّرت الصوره ،

عن آخر بيت !

الحفاففش

الحفاففش على نافذتي ،
تمتصّ صوتي
الحفاففش على مدخل بيتي
والحفاففش وراء الصحف ،
في بعض الزوايا
تتقصى خطواتي
والتفاتي

والخفافيش على المقعد ،
في الشارع خلفي ..
وعلى واجهة الكتب وسيقان الصبايا ،
كيف دارت نظراتي !

.

الخفافيش على شرفة جاري
والخفافيش جهازاً ما ، خيء في جدار
والخفافيش على وشك انتحار

.

انني أحفر درباً للنهار !

قصة الفيجن

يوم يمتُ المدينه
أجهشت مغلوبه أُمي الحزينه
وبلا حول ولا ،
لمت ثيابي في الحقيبه
وعلى صدري شكَّت يدها
قصة فيجن ،
يدها - آه الحبيبه !

* * *

نصف عمري مرّ ، جوّالا ، ولكن
من مدينه

لمدينه

لم أعد أذكر كم بدّلت فيها

من ثياب وحقائب

لم أعد أذكر في أرض العجائب

لم أعد .. لكنني أذكر ، أذكر

رغم أحزاني اللعينه

قصفة الفيجن .. يا أمي الحزينه

انها .. في رثتي ، ذكرى !

وفي عينيّ .. زينه !!

١٩٦٧/٨/١٨

طائر الرعد

هذا زمان الشدّ يا زيم
هذا زمان الشدّ والارخاء
هذا زمان السدّ والتأميم
والتصنيع والرخاء
والموت بالألوف في سيناء
هذا زمان الصبر في الألم
لا بأس يا زيم
لا بأس .. اني أنشق الرياح
وطائر الرعد .. على القمم !

الى القمة

أندحرج يا جبل الأحزان
أندحرج مطعوناً عريان
أندحرجُ ..
من أقسى السفح إلى القمة
وأنا .. أمّه !

القطار العائد من الصعيد

على نبضات قلبي . آه . كانت تنبض العجلات
على نبضات قلبي . آه
وقلبي كان يا أسوان : واحدة من الورشات
دواليباً وصيحات وجرفافات
وقلبي كان ،
دفقة ترعة أخرى على الغيطان
وكان قطار بعد الظهر محموماً
ومهموماً

وكان يغص فلاحين من شيب ومن شبان

وكان يغص بالعيّال والنسوان

وقلي كان ، آه ، يغص بالأحزان

ويا « قطر » الصعيد سمعتُ في حيفا

زغاريد البنات ونخوة الجدعان

وفي حيفا

رأيت جبينك المشجوج يا زهران

رأيتك عند حد الغيط جسراً يا صلاح حسين

وصدرك يحمل الشاره

وبستُ زهيرة البرقوق في صدرك

وفي حيفا

حلفتُ بغابة الحلفاء

والميثاق والانسان :

حرام أن تنام العين عن ثارك

ويا « قطر » الصعيد ، سمعتُ موالا

ولن أنساه
ولن أنسى الفقى الغنّاء
« يا مسافر القاهرة سلم على الغالى
وقل له عليت جباهنا بسدنا العالى
وقل له ازاي تسيب يا أبو البلد بلدك
وازاي تسبيني وأنا ما كملش موالى ؟ »
وعبر نوافذ الموال
ترأت يا قطار الكادحين حدائق الأجيال
ترأت دفقة الماوية العذراء فى الكشبان
وآلاف المداخن ؛ والمراكب ، والمعاهد ،
والمراعى ، والعيون السود ، والأغصان
وعبر نوافذ الموال
ترأى عالم ،
لا خوف فيه على غد الأطفال !

الجمهور

عندما تهدر العاصفه
أيّ عين تراك
يا جبين الملاك
صاعداً في طريق الرؤى الراحفه ؟

تجافز

عندما تهدر العاصفه
وأنا عبرها بـيرقُ
في يد المارد
أغلق الباب في وجه أوجاعك السالفه
أغلق الباب يا والدي
واغفري كل ما كان يا أم
واستبدلي الأمس بالعاطفه

تناسخ

وُلدتُ في اليونان
وهاجرتُ بي أسرتي ، من صولة الطغيان
ليلاً إلى الهند ،
وألقت رحلها عامين في السودان
وكان يا ما كان
أن ساقها الجوع إلى إيران
ويوم أن كبرتُ

زوّجني أبي ،
راعية شقراء من لبنان
وختها في الصين
وبعتها بحفنة من مال
للحاكم المندوب عن صاحبة الجلالة
في مصر والصومال
حاربت في البلقان
قتلت في كوبا
'قتلت' في المكسيك
'نفيت' مخفوراً إلى نيبال
شربت في الطريق من آبار كردستان
ويوم أن ولدت من جديد
حفرت في مناجم الأورال
.....
واليوم أشهر السلاح

في وجه الاستعمار والعدوان
في قمم الجبال
في البحر . في الوديان . في الأدغال
.

لذا ، فان بصقت
لفوق أو لتحت
أعلم أن بصقتي
تصيبني في لحيتي !

أبناء الهرب

في ليلة الزفاف
ساقوه للحرب ،
ومرّت .. خمسة عجاف
ويوم أن عاد على حمالة حمراء
لاقاه في الميناء
أبناؤه الثلاثة !

كلمة الصعود

من ملكوت طحالبك السوداء
يا بئراً جفت من عشرين
أصعد بالماء
باسم الأسلاف المفجوعين
والأحفاد الموعودين ..
من ملكوت طحالبك السوداء
يا قوس النصر المهدوم

أصعد في عربات الأنواء
وفمي جرس ملفوم
هل تسمع يا ملكوت الأشجار المقلوعه
ما زالت في رأسي أصداء سنابك
تصطك ببابك
يا ملكوت الأبواب المخلوعه
والجدران المصدوعه
فامنحني حتى الموت القدره
واكشف لي أسرار شبابك
ومتى حلت في الفكره
زمتني . زمتني بطحالبك السوداء
وامنحني القدره ، حتى أصعد ..

لشمس أريحا

حين تميل الشمس
مكسورة الظهر
أقول : كنا أمس
في أول الدهر !
حين تميل الشمس
يا أم أولادي
أقول : كنا أمس

في أسفل الوادي
أمي على الدرب
محلولة الشعر
تقول : يا ربي
متى تميل الشمس
مكسورة الظهر ؟

فـلـيـمـة

أدور في الخرائب
الدم في عيني ،
والحيات في حقائي
أنصب لي مائدة مفتخره
تحت سماء قنطره
وأكتب الدعوات بالعظام
والتوقيع بالعقارب

وفي بريد المجره
أدعو إلى وليمي
سكان ألف مقبره !

بعدها

وُلدتُ مثل حبة الرمان
ورحتُ أنمر في الجهات الست
ويوم أغدو توأماً للكرة الأرضيه
أضيءُ بالحقيقه
وأمسح الدموع عن عينيك يا صديقه
وبعدها ،
لا بأس ان وجدت مقتولاً
على مقاعد الحديقه ..

نعرف القصة

في المطارات وُلدنا .
نعرف القصة ،
لكن .. لن نموت
في الموانيء !

نخلة الساحة

آه ، غنيتُ ، وطالت ، آه يا أمي ، الأغاني
آه . نديت مواويلي ،
بدمع ودماء وعرق
آه .. كيف انهار صوتي واحترق
في ثوان ؟!
نخلة الساحة نادتن مرارا
آه يا أمي ،

وقالت لي مرارا :
« أنا لا أعطي ثمارا
لانفعالات الأغاني ..
أنا لا أعطي - إذا ما هزّ جذعي ساعدان ! »
آه يا أمي ،
وواصلتُ الأغاني !!
طال - آه - طال يا أمي غنائي
كان مشحونا بنار الأنبياء
كان أحيانا ،
وأحيانا .. حزينا كالمساء !
كان - آه - كان يا أمي ، غنائي
بعضه ضحل كوجه الصيف ،
والبعض عميق كالشتاء !
فلماذا تغدر الريح انفعالات الأغاني
في ثوان

وتذريها .. فقاعات هواء ؟!

نحلة الساحة

قالت لي .. مرارا ومرارا

علمتني نحلة الساحة

يا أمي الحبيبه ..

أن أهنز الآن أعماق العروبه

ان أهنز الجذع ،

إن شئت ثمارا !!

أعرف من أين

وجع المزمار البلدي
قولوا .. من أين ؟
ليلي يا ليلي يا عين
آه يا ولدي !
وجع المزمار البلدي
من حلوه
فارسها غاب ،

ومن يومين
عاد جواده
والدم يسح على الصهوه
فلمن ستزغرد مزهوه ..
وتصب القهوة ؟
يا بيتاً مال عماده
يا قمرأ ينشج في 'شرفه
ويضيء وجوه الأطفال ،
جثث الأطفال المرمية في أرض الغرفة
ويعيد الموال
عن نسر فقأت عينيه
قبرة مسمومه !
أعرف من أين ،
وجع المزمار البلدي
يا قصرأ مهجورا

ترقص في ردهته البومه
يا شاعر شعب ، في شفتيه
مرثاة ملغومه
يا شبريات تقطع في رثتين
يا سرطاناً ينهش في كبد
أعرف من أين ،
وجع المزمارة البلدي
أعرف .. أعرف !

أنا وأنت

زنبقتان في الثلوج ..
وجمرتان في الرماد ..
ونورسان يحلمان بالخليج ،
أنا وأنت .. يا حبيبتي !

* * *

وبعد ساعة من الزمان
ستفرغ الشمس من الرقاد

وتهدر الثلوج
جارفة زنبقتين . للمروج !

* * *

وبعد ساعة من الزمان ،
ستفرغ الريح من الرقاد
وتجرف الرماد
والجمرتان .. تصبحان نجمتين ،
لا تسأليني : كيف ؟ - يا حبيبتى - وأين ؟
وبعد ساعة من الزمان ،
يموت في السفائن الضجيج
والنورسان .. يمضيان ، يمضيان ..
ويحلمان .. يحلمان بالخليج !!

برلين تستعيد شعرها

بالصمت يا برلين أعلن حبنا ،

أم بالبكاء !

وأنا أقبل كفك التعبى ،

وأركع في خشوع

لجلال تمثال ،

تكاد تسح من شطآن عينيه الدموع

تمثال أمّ ودعت أبناءها قبل الصباح

ومضوا ،

وما عادوا ..

وعاد الليل مكسور الجناح
بالصمت يا برلين أعلن حبنا
أم بالبكاء

وأنا أداعب شعر طفل

ضاحك في ظل ورده

وأرد في لغتي ،

أرد على المودة بالموده

للعابرين من الظلام إلى الضياء

والمّ أزهار الغناء

من مصنع

وصمود جنديّ

وعاملة

وساحه ..

بالصمت أعلن حبنا أم بالبكاء
ويدي تمرّ على جدارٍ
شاب من أهوال أمس
وثقوبه المعشوشبات
احداق من سقطوا ،
وليل الرايح يخنق كل شمس !
.
.
.
.
.
.
خلي لنا جسراً ،
تهدم ظهره تحت القنابل
ودعي التماثيل التي انكسرت
وأنقاض المنازل
برلين ! خليها على طلل الجريمة
لافتات
لتشير الأجيال : مرّوا ها هنا ،
من ليل هتلر

لصباح ظلمان ..
من هنا مرّوا ،
على جسر مدمر

.

أني لألهمهم .. هناك !
في بون ، ألهمهم .. هناك !
إيتام متلر

ينسجون الوهم
والثوب المقلّم .. والشباك
اني لأبصرهم يزيحون التراب
عن جثة الوحش الممزق
بالأظافر والحرايب

كي ينفخوا فيها الحياة
وأصيح : « مات الوحش مات ! »
وتشق قبر الموت أصوات بعيدة :

يا سور برلين الجديده
في الموت ، بايعناك
سكيناً على أعناق أعداء الحياة

.

ربى الشيوعيون شرك ،
طيبوه ودلوه ،

ربوه .. بالفرح المقدس

والمرارة ، والصمود

لا كي يحز غداثره

متحضرون برابره !

برلين !

لا لن ينسجوا من شرك المبعوث ،

أغطية الجنود

عين الشيوعيين ساهرة

وأمسك لن يعود !

برلين !
يا أختي التي عادت إليّ من الفناء
بعد اللقاء على الدموع ،
لنا على فرح لقاء !!

تعالى لنرسم معا قوس قزح

نازلاً كنتُ : على سلّم أحزان الهزيمة
نازلاً .. يمتصني موت بطيء
صارخاً في وجه أحزاني القديمه :
أحرقيني ! أحرقيني .. لأضيء !
لم أكن وحدي ،
ووحدي كنت ، في العتمة وحدي
راكعاً .. أبكي ، أصلي ، أتطهر

جبهتي قطعة شمع فوق زندي
وفمي .. ناي مكسّر ..
كان صدري ردهة ،
كانت ملايين مئة
سجّداً في ردهتي ..
كانت عيوناً مطفأه !
وأستوى المارق والقديس
في الجرح الجديد
وأستوى المارق والقديس
في العار الجديد
وأستوى المارق والقديس
يا أرض .. فميدي
واغفري لي ، نازلاً يمتصني الموت البطيء
واغفري لي صرختي للنار في ذل سجودي :
أحرقيني .. أحرقيني لأضيء
.

نازلاً كنت ،
وكان الحزن مرساتي الوحيد
يوم ناديت من الشط البعيد
يوم ضمدت جبيني بقصيده
عن مزاميري وأسواق العبيد
من تكونين ؟
أختا نسيته
ليلة الهجرة أمي ، في السرير
ثم باعوها لريح ، حملتها
عبر باب الليل .. للمنفى الكبير ؟
من تكونين ؟
أجيبيني .. أجيبني !
أي أخت ، بين آلاف السبايا
عرفت وجهي ، ونادت : يا حبيبي !
فتلقته يدايا ؟

أغمضي عينيك من عار الهزيمة
أغمضي عينيك .. وابكي ، واحضني
ودعيني أشرب الدمع .. دعيني
يبدست حنجرتي ريح الهزيمة
و كأننا منذ عشرين التقينا
و كأننا ما افترقنا
و كأننا ما احترقنا
شبك الحب يديه بيدينا ..
وتحدثنا عن الغربة والسجن الكبير
عن أغانينا لفجر في الزمن
وانحسار الليل عن وجه الوطن
وتحدثنا عن الكوخ الصغير
بين أحراج الجبل ..
.
.
.
.
.
وستأتيني بطفله

ونسَميها « طلل »
وستأتيني بدوريّ وفلته
وبديوان غزل !

.

قلت لي - أذكر - .

من أي قرار

صوتك المشحون حزناً وغضب

قلتُ يا حيّ ، من زحف التتار

وانكسارات العرب !

قلت لي : في أي أرض حجرية

بذرتك الريح من عشرين عام

قلتُ : في ظل دواليك السبيّة

وعلى أنقاض أبراج الحمام !

قلتُ : في صوتك نار وثنية

قلتُ : حتى تلد الريح الغمام

جعلوا جرحي دواة ، ولذا ،
فأنا أكتب شعري بشظيته
وأغني للسلام !

.

وبكىنا

مثل طفلين غريبين ، بكينا
الحمام الزاجل الناطر في الأقفاص ، يبكي ..
والحمام الزاجل العائد في الأقفاص

. . . يبكي

ارفعني عينيك !

أحزان الهزيمة

غيمة تنثرها هبة ريح

ارفعني عينيك ، فالأمم الرحيمه

لم تزل تنجب ، والأفق فسيح

ارفعني عينيك ،

من عشرين عام

وأنا أرمم عينيك ، على جدران سجني
وإذا حال الظلام
بين عيني وعينيك ،
على جدران سجني
يتراءى وجهك المعبود
في وهمي ؛
فأبكي .. وأغني
نحن يا غاليتي من واديين
كل واد يتبناه شبح
فتعالى .. لنحيل الشبحين
غيمة يشرها قوس قزح !
.
.
.
.
.
وسآتيك بطفله
ونسميها « طلل »
وسآتيك بدوريّ وفلته
وبديوان غزل !!

أعدكم بأن تراثوا جياداً نفائفة

« .. وقالوا ليقم إسماعيل وليذهب
إلى الشرق ، ويكون له بيت هناك
في الصحراء ، فليس هنا بيت
لإسماعيل .. » .

من قديم الزمان
أسرجوا الصافنات الجياد
وارتأوا أن يكون العنان

في مهب الرياح
وارتأوا أن يغزّوا الرماح
خلف خلف المكان
من قديم الزمان !
قيل : كانوا سُعاة ،
في بريد الإله
لم يكونوا غزاة ، ككل الغزاة ..
وأنا أيها السادة التافهون
طاهر ، طاهر من رياء القضاء
ومسوح السماء
فليقل من يشاء :
« انهم فاتحون
انهم غاصبون ! »
القواميس والكتب قالت لنا :
بنو جامعه !

والقواميس والكتب قالت : لنا :
صنعوا رافعه !

والقواميس والكتب قالت : لنا :
لم يذلوا جباه

فاغفروا لي إذن أيها السادة التافهون
واسمحوا لي إذن
أن أعيد الحساب
وأعيد الزمن

ناصعاً .. ناصعاً من قشور الغياب
« جسدي ينمو على كل الجهات
فاشهدوني ..

ها أنا أنفض أكفاني ، وآتي ! «
السجلات ، كل السجلات
يا سادتي التافهين

زورت . زورت . زورت ..

من سنين !
وأنا أتهم
وأنا أنتقم
للجياذ الحزينه
من توارى بكم
والصكوك الهجينه !
كان لي .. كان بيت على رابيه
كان من صخر هذي الجبال
كان من خشب السنديان
كان .. يا ناس .. كان
واقعا رائعا كالخيال !
فاتركوني إذن أستعيد الحساب
أؤثر الموت ، أو هدمُ هذا الجدار
عن وجوه فراخي الصغار
أؤثر الموت ، أو أغسل كل الغبار

عن يدي زوجتي الراعيه !
واتركوني أصلي قليلاً ،
لآباء لمي ..

لآباء وجهي وصوتي ..

لآباء كينونتي الباقيه
واتركوني أصلي قليلاً
لزيتونه واعيه

واتركوني أصلي قليلاً
على قدمي داليه

وعلى ما تبقى لجبل الخيام
من ركام القرى الباردة
وعلى ريشة صامده

بين انقاض برج الحمام !

» جسدي ينمو على كل الجهات
فاشهدوني ..

ها أنا أنفض أكفاني ، وآتي ؟ »

حين قيل : احذروا العاصفه

كنتُ مستسلماً للنعاس

حين قيل : انقضى كل شيء

لم أجد لي ملاذاً ،

سوى دمة .. دمة ناشفه !

وسروج الجياد الحزينه

في سلال النفایات ،

أو في حوانيت حي السياحه

من ضواحي المدينه !

حين قيل : انقضى كل شيء

كانت المئذنه

شارب الله ، تحت النعال الغريبه

ودفعتُ الضريبه !

ظلمرات .. مرصودة كلها ..

والجسور التي درزت ضفة النهر
بالضفة الثانية

كلها - آه - مهدومة - كلها !

والمخاضات .. ملغومة كلها !

أنقذوني من المدن الخاوية !

والقرى الخاوية !

أنقذوني . انهضوا ،

أنقذوا متعباً من عناء السفر

أنقذوني من الصور القانية

ضمدوا جبهي الداميه

وارفعوني إلى الشمس والريح

يا أخوتي .. أنني أحتضر !

إنني .. أختنق

إنني .. أحترق

في حطام البراويز ،

في 'تتف الخارطة
ودمي سائل .. سائل' ..
لا تقولوا : انتحر !
أنها طعنة الظهر
في الليلة الخان فيها القمر !
من دليلى إلى قريتي النائيه ؟
من معيدي إلى بيت جدي القديم ؟
من معيدي إلى صدر أمي الرحيم ؟
صدر والدتي الغاليه !
من معيدي إليها
أغمر الوجه في راحتها
أمسح الدمع عن مقلتيها
من معيدي إليها
آه .. والدتي الغاليه !
لم يزل وجهها .. لم يزل

شاحباً . شاحباً . خلف شباكها

لم تزل واقفه

شمعة راجفه

في أنتظار ابنها الغائب

عله يكسر الزرقة القاسيه

من مطل على الرابيه !

فيرد لها لحظةً .. لحظة صافيه

من ردى عمرها الزاهب !

من معيدي الى زوجتي الراعيه ؟

كي أعيد إليها القطيع الذي مزقته القنابل

يوم كان الجنود البواسل

قد أتموا اكتساح المعازل

يوم أن .. لم يعد من يقاتل !!

« جسدي ينمو على كل الجهات

فاشهدوني ..

ها أنا أنفض أكفاني ، وآتي ! «

أغسلوا الدمع عن وجهكم والغبار

يا فراخي الصغار

افتحوا نبعة السر ،

حلوا جميع الشباك

واستحموا هناك !

اصلحوا الباب والسلم ،

استرجعوا العنزة الشارده

هيثوا النورج ،

السكة ،

الموقد ،

المائدة !

أرشقوا الدار — ما ظلّ منها —

ارفعوا السروة الهاويه

رمموا الحوش والبئر

واسقوا مشاتلنا الداويه
انني عائد ،
اكسرُ الزرقه القاسيه
من مطل على الرابيه !
انني عائد ،
والجياذ التي هزمتها السجلاّت والقاذفات
عائده ،
انني عائد .. والجياذ ،
عائده ،
من مطاوي الخيانات والدعوة الفاسده
وأنا واعد يا فراخي الصغار
وأعد ، أن تكون الجياذ التي تسرجون
مثلما تشتهون ..
حرّة الأصل والفصل ،
نفّاثه .. صامده ..

وأنا واعد أن تكون

خالده ..

خالده ..

خالده !!

وقع خطم في دهليز الموت

- ١ -

وقع خطيَّ في دهليز الموت
لفظ وصراخ
- ويلك .. آآخ !
- أهرب .. من هذا الباب
- أدخل . أسرع في هذا السرداب
ركض وشجارٌ في أقبية الموت

قتلى : سبعون
أسرى : تسعون
أكثر من تسعين جريح
الصمت الصمت
يا عربات الريح
- قف ! مَنْ أذت ؟
وأردّ أخوك سميح
ويدوي الصوت
يظل يدوي الصوت
يظل الصوت
وقع خطي في دهليز الموت

- ٢ -

غاص في الليل ..
وجهه طاقة الشمس للخلاص

وعلى حين غرّه

شبق الليل ،

عندما غاص في صدره الرصاص

لا تقولوا لأمه

غاص في صدره الرصاص

لا تقولوا لأخوته

غاص في صدره الرصاص

لا تقولوا لأمه

لا تقولوا لأخوته

واتركوني لهمه

واتركوني لجثته

جثة أنت أم جبل

ذل في صدره الرصاص

آه يا راية الخلاص

أنت جسري إلى الأمل

ضمت الريح وجهه
وهو ملقى على التراب
نازفاً .. نازفاً ..
وفي ساقه مخلب وثاب
قالت الريح : من تكون
أيها الأسمر الجميل
ردّ في وجهه السكون :
أنا تاربخك القتيل .

في هـ حزييران

في الخامس ،
من شهر حزييران الماضي
أرجعنا للموت حقائبه الدبلوماسية

في الخامس ،
من شهر حزييران الماضي ،
جرّدنا الريح الغربية
من كل الأوسمة المطلية

بدماء الأطفال وعار الانقراض

في الخامس ،

من شهر حزيران الماضي ،
طار جميع القتلى للأمم المتحدة
واشتركوا بالجلسة غير العادية

في الخامس ،

من شهر حزيران الماضي ،
أبصرنا كل وجوه الكرة الأرضية

في الخامس ،

من شهر حزيران الماضي ،
ظلت آبار النفط العربي
ظلت تتدفق عبر الأرض العربية
لبلاد الريح الغربية

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي ،
لا أبكي !
لا أضحك !

دوين جوان وكاهنة النار

سيفي . قفّازي . قُبّعتي .

وقناعي الأسود .

والساعة . والمعطف .

في الفجر أودّعُها

وأوزّعُها

بين صغار الفرسان الآتين على درب الأشواق

ورثاء الدمّ الصاخب

رواد صغار العشاق

وأوزّع كلّ خليلاتي

إلا كاهنة النار !

معهما سأظلُّ إلى الدهر الآتي

ومعي ستظلُّ .. إلى يوم استشهادي

.. فوق الأسوار !

جوعي قاتل

ودمي .. خمرٌ وسنابل

فتعالى يا حبي الأعلى

والأعلى

يا كاهنة الدار

نبعث عن موت لائق

في ميدانٍ لائق

نبعث عن طعنة حبٍ لائقةٍ

بالمحبوبة والعاشق
نبعث عن ميتةٍ حُبِّ
في معركة كبرى .. فوق الأسوار !

مساء واحمد فقط

تستطيعون هذا المساء
أن تكونوا الذي لا أكون
وتشاءوا الذي لا أشاء
تستطيعون أن تضحكوا
من وقوفي على رابي
عاريا .. عاريا ..
واحتقان البكاء
في سرايين وجهي المضاء

بالرؤى الداميه
تستطيعون يا سادتي
مخلي بعته في المزاد
بعته .. من قرون
واشريت الرقاد
في ظلال النخيل الحزين
تستطيعون يا سادتي ،
بصماتي غدت كلها اليوم معروفة
في محطات بوليسكم كلها
وكلاب الأثر
أتقنت كلها
مهنة الركض خلفي ،
وفن اكتشافي ، طريحا
على زهرة أو حجر
نازفاً .. نازفاً .. أحتضر
تستطيعون هذا المساء

أن تحزّوا رقاب الشجر

لتنالوا أقاصي الثمر

تستطيعون يا سادتي

ان تحيلوا القمر

مخبراً تافهاً ،

والجبل ..

خائناً أو بطل !

لمساء فقط ..

تستطيعون يا سادتي

أن تكونوا الذي لا أكون

وتشاءوا الذي لا أشاء

فأنا ، زهرة ، سنبله

مرّةً ،

وأنا مرّةً .. قنبله

وعروقي أنايب نפט وماء

وجدير أنا بالبقاء ..

الهموم التي أثقلت كاهلي في الطفولة
مسختني حجر
وأقتحامي وعور الرؤى المستحيله
شدني .. شدني كالوتر
فاسمعوا صرختي في الرياح
واشهدوا عودتي في المطر !!

في انتظار طائر الرعد

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوّه في غبار مناهج الدرس
ويكون أن يأتي
بعد انتحار القحط في صوتي
شيء .. روائعه بلا حد
شيء يسمى في الأغاني :

طائر الرعد !
لا بدّ أن يأتي
فلقد بلغناها ،
بلغنا قمة الموت !!

دمي على كفي

دھرمی عالم کفری

★ قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان .

★ الحقّ الحقّ أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض ،
وتمت ، فهي تبقى وحدها . ولكن إن ماتت فهي تأتي
بثمر كثير .

★ هذه وصيتي أن تحبّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم . ليس
لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل
أحبائه .

★ إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم . وإن كانوا
حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم .

السيد المسيح

خطاب في سوق البطالة

ربما أفقد - ما شئت - معاشي
ربما أعرض للبيع ثيابي وفراشي
ربما أعمل حجاراً .. وعتلاً .. وكناسَ شوارع ..
ربما أبحث ، في روث المواشي ، عن حبوب
ربما أخمد .. عرياناً .. وجائع ..
يا عدو الشمس .. لكن .. لن أساوم ..
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم !! ..

* * *

ربما تسلبني آخرَ شبرٍ من ترابي
ربما 'تطعم' للسجن شبابي
ربما تسطو على ميراث جدي ..
من أثاثٍ .. وأوانٍ .. وخوابرٍ ..
ربما 'تحرق' أشعاري وكُتُبي
ربما 'تطعم' لحمي للكلابِ
ربما تبقى على قريتنا كابوسَ رعبِ
يا عدو الشمس .. لكن .. لن أساوم ..
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم !! ..

* * *

ربما 'تطفئ' في ليلي شعله
ربما أُحرم من أمِّي 'قبله'
ربما 'يستم' شعبي وأبي ، طفلٌ ، وطفله
ربما تغنم من ناطور أحزاني غفله
ربما زَيْفٌ تاريخي جبانٌ ، وخرافيٌ 'مؤلّه'
ربما تحرمُ أطفالي يومَ العيد بدله

ربما تخدع أصحابي بوجهٍ مستعار
ربما ترفع من حولي جداراً وجداراً وجدار
ربما تصلب أيامي على رؤيا مذهلة !
يا عدو الشمس ، لكن ، لن أساوم
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم
يا عدو الشمس ..
في الميناءِ زيناتٌ ، وتلويحٌ بشائر ..
وزغاريد ، وبهجة
وهتافاتٌ ، وضجة
والأناشيدُ الحماسيةُ وهنجٌ في الحناجر
وعلى الأفقِ شراع ..
يتحدى الريح .. واللُّجج .. ويمتاز المخاطر ..
إنها عودةٌ يُوليسيز
من بحر الضياع ..
عودةُ الشمس ، وإنساني المهاجر

ولعينها ، وعينه .. يمينا .. لن أساوم ..
والى آخر نبضٍ في عروقي ..
سأقاوم ..
سأقاوم ..
سأقاوم !! ..

الشربوا

بعضُ الأغاني صرخةٌ لا تطربُ
فإذا استفزَّتكم أغانيٌ اغضبوا
يا منشئين على خرائب منزلي
تحت الخرائب نقمةٌ تتقلبُ
إن كان جذعي للفؤوس ضحيةً
جذري إله في الثرى يتأهبُ

* * *

هذا أنا ! عريانُ إلاَّ من غدٍ
أرتاح في أفيائه أو أصلبُ
ولأجل عينيه وأعينِ إخوتي
أمشي.. وأُعطي الدرب ما يتطلَّب
هذا أنا .. أسرجت كل متاعي
ودمي على كفي يغني.. فاشربوا !

قميصنا البالي

ستطول غيبته ،
وبردُ الغرب ، 'يحكى ، لا يطاق
يا أمّه فتفقّدي كل الحقائق
ودعيه رهن ذراع صاحب
هاتي له الشال الذي حيّكتِه
بين انتظار صغيرك الغالي وهممةِ الوجاق
ستطول غيبته ، وبرد الغرب ، 'يحكى ، لا يطاق

يا أمّهُ أَزِفَ الرّحيل
إياكِ أَنْ تَنْسَيَ جراب الصوف .. في 'حمّى العناق
وتجلّدي ، فصغيرك الغالي يعذبه العويل
مذ مات والده .. يعذبه العويل
بوابة الميناء 'مشرّعة'
و'مشرّعة' مناديلُ الرّفاق
يا أمّهُ لوذي ببعض البيت .. وابكي باحتراق
لن تبلغني الميناء
فالمرتمزم لا يأسى لأحزان الفراق
والصحب والجيران والأحباب كثر .. فاتركيه
يا أمّهُ .. وقبيل خطوته الأخيره
في هذه الأرض الضريه
ستشمه رثتا أخيه
وتشمه ما شئت ..
عنك .. تشمه رثتا أخيه

* * *

مذ قال : إني راحل !
ما ذقت من حزن طعام
وبكيت طول الليل .. في صمت
محدقة بتابوت الظلام
وتغضن الوجه الجليل
كبرت في الساعات أعواماً ،
هرمت

انهار قلبك في الرغام
وتيبست شفتاك !

يا ربي .. لمن ربيته عشرين عام ؟
أسمعت يا ربي .. لمن ربيته عشرين عام ؟
لم تفهمي ضرباته .. تهوي فيرتج الجدار
لم تفهمي صرخاته ..
أمأه إن بقاءنا في هذه الأرض انتحار !
السوس في كُتني .. وفي قلبي يُغيّم الاحتضار

أُمي ! طحنت الماء في المقهى
ومسحتُ كل موائد الملهى
وطُردتُ من بابٍ إلى بابٍ
وتَهَرَّأتُ نعلي وأثوابي
وشُتِّمتُ في صَلفٍ
وطُعنْتُ في شرفي
وحُمِلتُ مخموراً على أكتاف أصحابي
وبكيتُ في ذل وعارٍ
ومكاتبُ العمل انتظار
وانتظار .. وانتظار .. وانتظار ..
ومدخن السيجار يلفظني بنظرة الاحتقار
أُمَاه :
إني راحل
رأسي يُصدِّعها الدوار
أنا راحل

والسلُّ والطوفانُ بعدي والحريق
أنا لن أطيق

* * *

حمل المهاجر ما يريد
ومضى ..
فسبحان الذي يُعطي البنين ويستعيد
وبكيت طولَ الليلِ في صمتٍ
مُحدقةً بتابوتِ الظلام
لم تفهمي .. وصغيرك الغالي
لم يدر أن قميصه البالي
ما دام يخفق في رياح الحزن والشده
ستظل تخفق رايةُ العوده
فخُذني أخاه وافهميه
أنَّ المذلةَ أنْ يبيع ثرى أبيه
وافهميه

— أن اختلاج الروح في البذره

— أقوى من الصخره

— وجذورنا في رَحْمِ هذي الأرض ممتدّه

— وقيصنا البالي

— ما دام يخفق في رياح الحزن والشده

— ستظل تخفق راية العوده

— ستظل تخفق راية العوده !! ..

ليد ظلت تقاوم

بركة دكناؤ في قلبي
وفي وجهي سحابه
ونجيع ساخن
يصرخ في وحشة غابه
وعلى قارعة الدرب وعاءات نحاس
أيقظت بضع رصاصات
وألقت في جفون الإخوة القتلى النحاس

وعلى روث المواشي
بُقَعَّ حمر
وفي الدوّار تعديدُ ما تم :
كفر قاسم
كفر قاسم
وزهراتٌ من البرقوق في صدر امرأه
وعيون مطفأه
وعويل غارق في رهبة المأساة عائم !
وأنا ريشة نسر
في مهبّ الحزن والغيطِ
إله لا يساوم !

* * *

يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى
ما بَكَيتُ !
قلت : فوجٌ آخرٌ يمضي

ومن بيتٍ لبيتٍ
رحت أروي نبأ الغلة في العام الجديد
ومن المذيع ، أنباء عن العام المجيد :
« مصر بركانٌ .. وكل الشعب يحمي بور سعيد
أيها الإخوة .. والنصر أكيد
يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى
صحتُ والأدمع في عينيَّ : مرحى
ألفَ مرحى !!
يوم قالوا .. ما بكيت
ومضت بضعة أيام على عيد الضحايا
وأُتيتُ
وتلقاني بَنُوكِ البسطاء
وتَلَوْنَا الفاتحة
وعلى أعين أطفالكِ
يا أم العيون الجارحة

يبس النهر وماتت في أغانيَّ الحمايم
وأنا يا كفر قاسم
أنا لا أنشد للموت .. ولكن
ليد ظلت تقاوم !

* * *

سيدي ! .. يا واهب النار لقلب وجديله
سيدي ! .. يا ساكب الزيت
على موقد أحزاني الطويله
سيدي ! .. دعني أهنيك على يوم البطوله
عش لعدل لا يضاهي
أيها القيصر عش
ثمن الخمسين .. قرش
أنت يا مولاي رحمن رحيم
والذي يغضب من عدلك يا مولاي
شيطان رجيم

والذي يحزن مخدوع .. ومن
ينزف الأدمع ، مَوْتورٌ لثيم
سيدي يا قيصر العصر الجليل
كل ما قلناه يا هذا قليل
والذي في القلب .. في القلب
ومن جيل لجيل
والى أن يبعث النهر
وتشدو في أغانيَّ الحمائم
أملأُ الدنيا هتافاً لا يساوم :
كفر قاسم .. كفر قاسم .. كفر قاسم !! ..
دمك المهدود ما زال ..
وما زلنا نقاوم !

إليك هناك حيث تموت

رسالتك التي اجتازت إليَّ الليلَ والأسلاكَ
رسالتك التي حطَّت على بابي .. جناحَ ملاك
لماذا ؟ حين فَضَّتها يداي ..

تنفَّضتْ أشواك

على وجهي وفي قلبي ؟

رسالتك التي انتشلتك من مستنقع الغربه

وردت لي طفولتنا

من القيعانِ .. قيعانِ الأسي الصلبيه
وردت لي براءتنا
وردت لي أناشيدَ الصباحِ وغرفةَ الدرسِ
وشيطنةَ المساءِ .. وساحةَ القريةِ
وصوتَ أبيكَ يزجرنا : كفى لليوم يا أولاد !
وأُمَّك في تساؤلها : وكيف سميح ؟
فترشفُ أُميَ القهوه
وتهتفِ جدَّ مزهوه :
باذن الله .. ممتازٌ ! .. وكيف فؤاد ؟
- كصاحبه ! إلهي يحرسُ الإثنينُ
من الإهمال والحساد
ومن صائبةٍ بالعين !

* * *

رسالتك التي رفّت على جرحي
كعصفور تفلّت من سجونِ الحزنِ والحرمانِ

ورافقَ نجمةَ الصبحِ
لماذا حينَ فضَّتها يدايَ .. تَنَفَّضْتُ أَشْوَائِي
على وجهي .. وفي قلبي ؟

* * *

« أَخِي الْغَالِي »
كُتِبَتْ إِلَيَّ مِنْهُوَ .. « أَخِي الْغَالِي » !
تحياتي وأشواقي
تطيرُ إليك من بيروتُ
إليكِ هناك .. حيثُ تَمُوتُ
فدى الباقي من التافه من ميراثك الباقي
تحياتي وأشواقي
أنا أصبحتُ إنساناً جديداً .. غيرَ ما تعهدتُ
ختمتُ دراستي العليا .. ونِلْتُ شهادةَ المعهدِ
وأصبحَ مكتبي أكبرُ
وصار اسمي هنا أشهرُ

وإني صاحبة "شقراء" .. جدتها فرنسية
وأخرى جدتها قواد الفتوحات الصليبية
ومثل بقية الأسياد
تربض في فناء الدار .. فارهة "خصوصية"
أخي الغالي !

لماذا أنت لا تأتي إلى بيروت
وتترك "جرحك" الممقوت
وتهجر وجهك المغموس في الوحل
وتنسى عيشة الذل
فحقلك لم يكن أرحب من حقلي
وبيتك لم يكن أجمل من بيتي
لماذا أنت لا تأتي ؟ !

أخي الغالي !
تحياتي وأشواقي
إليك هناك في المستنقع الباقي !

* * *

رسالتك التي أجازت إليَّ الليل والأسلاك
رسالتك التي حطتْ على بابي .. جناح ملاك
أتعلم ؟

حين فضتها يداي تنفّضتْ أشواك
على وجهي .. وفي قلبي !
أخي الغالي !

إليك هناك في بيروت
إليك هناك .. حيث تموت

كزنبقة بلا جذر
كنهر ضيّع المنبع
كأغنية بلا مطلع
كعاصفة بلا عمر

إليك هناك حيث تموت كالشمس الخريفية
بأكفان حريره

إليك هناك .. يا جرحي ويا عاري

ويا ساكبَ ماء الوجه في ناري
إليكَ إليكَ من قلبي المقاومِ جائعاً عاري
تحياتي وأشواقي
ولعنة بيتك الباقي !!

الجواد الجامع

ركبتُ جوادك الجامعُ
ويَمَّتُ القفارَ الجردُ ، في إثرِ المدى السائحِ
وحيداً في زحام الأرضِ
إلا من أخى الحرفِ
وجزتُ البيدَ
محروماً من الجرأةِ .. محروماً من الخوفِ
فكيف أعودُ ؟ كيف أعودُ ؟ يا معبودي الجارحُ

وأنتَ حرارةُ المهازِ والسوطِ
وأنتَ وشاحيَ الملتفِ من كتفي إلى ابطني
وأنتَ الزادُ .. كلُّ الزادِ
وأنتَ .. وصيةُ الميعادِ

* * *

— « هنا باريس »
— « هنا بيروت » ..
— « هنا موسكو »

* * *

وألكنزُ ، جامحَ الأحزان ، صدرَ جوادِكِ الجامحِ
وفي سَغْبِي وفي ظمأِي
أَغْذُ السيرَ ... يا معبودي الجارح !

* * *

يمينا أيُّها المولى
يمينا أيُّها الجاعلُ من أشواكنا 'فلا'

يمينا لن نبيع الجرح
مها ساومت مديه
ولن تبقى شقيقتنا
طوال الدهر... مسبيته !

* * *

- « هنا عمان .. »
- « هنا روما .. »
- « هنا بغداد .. »

* * *

.. فكيف نفر؟ كيف نفر من منبتنا الأرضي ؟
وكيف نبيع للنسيان أجيالاً من البغض ؟
وكيف ؟ وكيف ؟ لن نهذاً
وملء عيوننا المرفأ
ونار جبيننا المشجوج لن تطفأ
بغير ضمادك الرحمن .. يا ايقاع أحرفنا
ويا رؤيا تلهفنا

ويا تاريخنا المنهوب
يا قاتلنا المحبوب
يا موطننا الجارح
فحتى الموت .. حتى الموت
يبقى فارسُ الأحرارِ
عبد جوادِكَ الجامح !

على قلعة الإمبراطور

ربما ترفض بعض الصحف من شعري قصيده !
ربما يشجب نقادي استعاراتٍ جديده
ربما يطرح قرائي الجريده !
— ما الذي يُخفيه في هذي الرموز
« فارسٌ يفتزع الشمس تقاويه عجوز
وإلهٌ وثنيٌ .. وبغايا طاهرات ..
ما الذي تخفيه هذي الكلمات ؟ !

* * *

ربما تكسد في الأسواق كُتني !
ربما ينقلب الأنصارُ أعداءً . وقد يَنْفُضُ مني الكفَّ صجلي
ربما أبقى وحيداً ..

أنا والحزن ودربي !
ربما .. لكنني أقسم بالحرف الملبّي
بكيانٍ من صنيعي .. صار ربي .. صار ربي
أن أسوق النارَ من كل طريقٍ
واذريك رماداً عن حريقي !

* * *

أيها الرب الترابيُّ الذي يخشى عبده ..
نقمتي عنك بعيدة !
فتنعم أيها الربُّ الترابيُّ .. تنعم !
تحت نعليك مفاتيحُ لأسواقٍ نخاسه
تحت نعليك حماقاتُ سياسه !

و - دع الاسماء ! - مطروحٌ على الأرضِ

فقد مات مُسمَّمٌ !

أيها الرب .. فكُنْ ما شئتَ .. واحكم وتحكَّم !

كَلِمَةُ الإيمانِ في روما جريمه !

آه يا مصرع أوزيريس .. في مصر القديمه !!

* * *

أيهذا الأمبرطور الإلهيُّ .. أسمعُ ؟

صوتَ حُبلى تتوجع !

صوتَ ققم

يتحطم !..

صوتَ رؤيا وإرادته ..

أيها الوحش الخرافيُّ المكنع

ان في الشمس مخاضاً .. فتطلع

نقمتي ليست بعيده

رغم بعض الصَّحف .. والنقاد .. والقراء ما عادت بعيده

أيها المأمون .. فاسمع !
صوتَ رؤيا و اراده
وزغاريد ولاده ..
فالحمام الزاجل المنفي .. لا ينسى بلاده !!

أعلنها

ما دامت لي من أرضي اشبارُ !

ما دامت لي زيتونه ..

ليمونه .. !

بئر .. وشجيرة صُبَّار ..

ما دامت لي ذكرى

مكتبة "صغرى

صورةُ جدِّ مرحوم .. وجدار

ما دامت في بِلَدِي كلمات عربية ..

وأغانٍ شعبية !

ما دامت مخطوطة اشعار

وحكايا عنتره العبسي ..

وحروب الدعوة في أرض الرومان وفي أرض الفرس

ما دامت لي عيناى

ما دامت لي شفتاي

ويداي !

ما دامت لي .. نفسي !

أعلنها في وجه الأعداء ! ..

أعلنها .. حرباً شعواء

باسم الأحرار الشرفاء

عمّالاً... طلاباً .. شعراء ..

أعلنها .. وليشبع من خبز العار

الجوف الجبناء .. وأعداء الشمس

ما زالت لي .. نفسي ..

وستبقى لي .. نفسي !

وستبقى كلماتي .. خبزاً وسلاحاً .. في أيدي الثوار !!

طفر قريش

وداعاً يا ذوي القربى !
وداعاً .. والجراح النّجّلُ
في قلبي مضاضتها
طوال العمر .. في قلبي مضاضتها
ونفسي - والرواسي الشمُّ عزّتها -
تخفُّ بنكبة النكبات
من قطرٍ إلى قطرٍ

تراودُ في مغاليتك الدجى

لحاً من الفجرِ !

ونفسي .. يا ذوي القربى

ينازعها - وان شئتُ 'ملك' الله في الغربه -

ينازعها حنينُ السّفَر للأوبه

ونفسي - رغم دهر البين

رغم الريح والمنفى

ورغم مرارة التشريد ،

تدرك .. تدرك الدربا !!..

الأرض من بعدي

وغداةُ ينقشُ عمريَ الأخضر
في الشاهد المرمر
قلبي يقول - فَعَفُّوْكُمْ - في الشاهد المرمر
أيفوز بعدي فارسٌ أقوى
فيصيرُ مَنْ تهوى
وأصيرُ ذكرى .. ثم ، لا أذكرُ ؟

* * *

أرضي التي .. بعظام أجدادي
قلبتُها .. وجَبَلْتُ أولادي
أرضي التي دلت تربتها
ورعيت طول العمر حنطتها
أرضي التي ..
أصيرُ مَنْ تهوى ؟
وأصيرُ ذكرى .. ثم لا أذكر !!

* * *

يا بيتنا الباقي
يا بيتنا المَعْبَد
يا مَنْ على عتباته أسجدُ
وأشم طيبَ حذاء مَنْ شَيَّد !
يا باب بيتي .. مشرعاً لتؤمَّك الدنيا
يا غرفتي العليا
يا مهد أولِ كلمةٍ أنشد
أنتم شهودي في محبتها

انتم .. غداة تغوص كفاه بِفَلَّتْهَا
أنتم .. فيا مينائي الأوحد
أيصير مَنْ تهوى
وأصير ذكرى .. ثم لا أذكر ؟!

* * *

مَنْ رَكَّز الصخرات في السفح ؟
مَنْ رافق النجمه ؟
مَنْ علّم النسمة
لمساتها السمحات للدوح
مَنْ .. غيرُ جدي الطيب السطح ؟

* * *

مَنْ عوّد السهله
ان تُكثر الغله
مَنْ غيرُ عمي الكهل ، والوالد
مَنْ جایلَ النصبات في الخله
مَنْ عاين الأعشاش في زيتوننا الخالد ؟

مَنْ حَزَّ أَسْمَاءَ الْأَقَارِبِ ... وَاحِداً .. وَاحِد
فِي كُلِّ جَذَعٍ مِنْ جَذُوعٍ كَرُومِنَا مَارِدٍ
مِنْ غَيْرِ هَذَا الْعَاشِقِ الْعَابِدِ ؟

* * *

وَيَصِيرُ مَنْ تَهْوَى ؟
وَأَصِيرُ ذَكَرِي .. ثُمَّ لَا أَذْكَرُ !؟

* * *

يَا أَجْمَلَ النَّبْضَاتِ فِي قَلْبِي
يَا مَنْ نَعِمْتُ لَدَيْكَ بِالْحُبِّ !
أَتَرَايَ أَشْقَى فَيْكَ بِالْبَغْضِ ؟
رَدِّي عَلَى ابْنِكَ ..
إِبْنِكَ الْمَفْجُوعِ .. يَا أَرْضِي !؟

لو يَصْدُقُ الكلام !
 وتحمل الريح .. ولو سلام
 من نائر في الشرق
 لثائر ين يشتلون النور في الظلام
 لثائر ين إخوة .. لا فرق
 في النيل .. في الكونغو .. وفي فيتنام !

* * *

لو تصدق الأحلام !
وفجأة .. يكون لي جناح
وأمتطي مر كبة الرياح
وفجأة .. أخط في الكمين قبل معركة
أقفز من جذع .. إلى جذع .. إلى خندق
يشدني تحفّز للمحة .. لحركة
في قبضة قبلة .. وقبضة للمدفع الرشاش
وإصبعي . تشنّج ولهفة لضغطة على الزناد
لموسم .. من بعده مواسم الحصاد .
من بعده .. شقشقة الفراخ في العشاش !

* * *

لو تصدق الصلاة !
يا اخوتي الأحياء ، في افريقيا في آسيا
يا اخوتي الأموات في معركة الحياة
لو يصدق الرجاء
وعند طلة الضياء

نسمع عن خلاصكم من لعنة الدماء
لكنكم .. يا أصدقائي ، تكتبون
يا إخوتي ! بالدم تكتبون
تاريخكم ونشرة الأنباء !

* * *

لو تصدق ال...
عَفْوُك يا أَلوية
تنسجها مغازل الفداء
عفوك يا الأمُّ التي صارت بلا زوج ، بلا أبناء
عفوك يا جحافلاً أشلاء
ما خَلَدَتْ نُصْبٌ لها ذكرى ، ولا أسماء
عفوك يا أكواخ صيَّادين
أبوابها في قبضة الريح .. وفي مَطَلها
ما فتَّتْ تَرْتَقِب النساء !
على الزنودِ صَبِيَّةٌ عُرَاة

طعامهم ..!

— الويل للغزاة ! —

* * *

يا خطوة لا تعرف الرجوع

يا ثورة لا تعرف الخنوع !

سيصدق الكلام !

ستصدق الأحلام !

ستصدق الصلاة !!

دفقة الأجيال

تراشَقْنَا بهُجْرِ اللفظِ أعواماً على أعوام
نهرنا السائلَ المحروم
قهرنا أتعس الأيتام
ودسنا زهرةَ الأزهارِ .. دسناها
وفتنناها
مدمّاةً .. معرّاةً .. على الطرقاتِ
فيا قمرأ من الفوسفورِ
أغفى تحته الأموات

تمرّغٌ في تراب الحزن
واشرب نخب من يحيونَ أطلالاً بدون حياة
ويا أجداد جيل الجرح
تربعم قرونًا في عروش الذلّ والحرمان
وأنستم مسابحكم رماحَ الفتح
وخيلَ الفرس والرومان
فلا تبكوا على ما كان
وهاتوا دفعة السفنِ التي تندبها الشيطان
قراصنةُ البحارِ الكثرُ لا تغفي لهم عينٌ
ولا يقوى على الانواء .. غير شجاعة الرّبان !
فهاتوا دفعة الأجيال .. هاتوا دفعة الأجيال
ولا تبكوا إذا سلنا دماءً
في يابس الوديان !
فإنّ زنابقاً حمراء
نخبّةً لنا في الرمل .. لا تنمو بدون دماء !

وإن القمح والزيتون والرمان
تظل رؤى بلا جدوى
إذا لم يُنصب الشهداء

* * *

وهُجر اللفظ أعواماً على أعوام
ونهر السائل المحروم
وقهر الأخوة الأيتام
خناجر ..
في أكفّ الليل والأحزان والأعداء !

من المدينة

هذه نبرتي .. وهذي ذراعي
وثيابي .. وأحرفي .. ومتاعي
هذه خطوتي كما حفظتها
دربُ بيتي ورددها المراعي
وأغانيّ لم تزل مثما كانت
تدويّ في كرمنا الملتاع

* * *

لا زحامُ المدينة امتص شكلي
وشعوري .. ولا ليالي الضياع

زئبقٌ وجهي الحزين وقلبي
زئبقٌ في دوامة الأوجاع

تتلقاني المقاهي غريباً
وغريباً أنسلُ خلف صداعي

وغريب عني فراشي .. غريبٌ
وغريب عني صدى المذيع

وطعامي وقهوتي ودروبي
أيُّ ليلٍ .. وأيُّ جُبٍّ أفاع

* * *

عشاً تحفر الرياح جيني
عشاً ينهش اللهب نخاعي

هذه نبرتي وهذي ذراعي
وثياي .. وأحرفي .. ومتاعي
أنا باق .. باق أنا حيث أمضي
لم أبدل ملاحي بقناع !

واحدًا تِلَوَّ واحد ..
يسقط الميِّتون تباعاً
فاحرسي يا بلادي الشراعا
عائدٌ فارس الريح عائد !

* * *

قطرةً تِلَوَّ قطره ..
يمطر الدمع فوق الصحاري

فابشري باخضرار
يا سهوب الرؤى المكفهره

* * *

كان أمساً مقيتاً
داسنا باحتقار وولى
وغداً لن نبيتا
مِرَقاً تذرع الأرض وهنا وذلاً
قسماً .. جذرنا لن يموتا !
قسماً .. دَمُّنا لن يُطلاَّ !!

هكذا

مثما تُغرس في الصحراء نخله
مثما تطبع أُمي في جبیني الجهم قبله
مثما يُلقي أبي عنه العباءه
وُيهجّي لأخي درسَ القراءه
مثما تطرح عنها خوذَ الحرب كتيبه
مثما تنهض ساق القمح في الأرض الجديبه
مثما تبسم للعاشق نجمه
مثما تمسحُ وجهَ العامل المجهّد نسمة

مثلاً يشمخ بين الغيم مصنع
مثلاً يُنشد بعض الصحب مطلع
مثلاً يبسم في ودٍّ غريبٍ لغريب
مثلاً يرجع عصفور إلى العش الحبيب
مثلاً يحمل تلميذٌ حقيقه
مثلاً تعرف صحراء خصوبه
هكذا تنبض في قلبي العروبه !

الى القارة المجهولة

من أين يبلغك الطريق ؟!
من أين أحياء شيكاغو الفقيره ؟
من أين تبلغ جذوتي
ليكون ميلاد الحريق ؟
يا ناطحات السحب ! يا أكداس أكواخ حقيره !
مدّي يديك من الظلام ..
فإن رايتنا الكبيره
أبدأ .. يشع حنينها لمجاهل الليل العميق

وإن رايتنا الكبيره
أبدأ .. شراع للغريق !!

* * *

من أين تبلغك العواصف ؟
يا مسرح « الجزبند » . في نيورك !
فالزنجي .. جوعان .. وخائف ..
وذئاب « كوكلوس كلان » ملء الغاب
.. والتيار جارف !
وفرائص « التمثال » راجفة
وقلب الليل راجف
والريح جامدة
وموج البحر .. واقف !

* * *

من أين تبلغك الرسالة ؟
من أين .. يا واشنطن السماء ..
تحت ضجيج آله

من أين ؟
في فيتنام مذبحه ، وأنتِ تصدّرين
كعكاً .. وأدويةً .. إلى القمر الحزين !!
وتكنّسين على دم الجرحى .. الزباله ..
من أين .. تبلغك الرسالة ؟!

* * *

يا ذرّاً أبراهام !
صوتي جفّ من لفح النداء !
والريح أتعبها لوائي !
يا ذرّاً أبراهام ..
فانفض مرمر التاريخ
وانهدّ .. للسماء !
واسطع .. على زمر المجوس الأغبياء
واحقن - تضجّ الأرض ! - انهار الدماء !

البيت الهزين

قامرتُ في ملهى السنين
وخسرتُ جوهرتي الفريدةَ في مزاد الآخرين
وبكيتُ في أسفٍ .. وأخفيت الدموع
ودفنتُ في صمتٍ أزاميري
وأبنتُ الربيع
ورجعتُ للبيت الحزين
أبكي على جدرانهِ .. وأبوح بالسر الهجين !

* * *

وهناك .. من خلف السياج
خفتت إليّ نشائد الموتى
وأطفأت السراج
فعصرتُ من لهب العيون
نوراً .. وصحتُ : أنا هنا يا مشعل المتمردين

* * *

وغداة رفّت رايتي الحمراء في وهج المعارك
وهتفتُ : بارك خطوتي للفجر ..
يا تاريخُ بارك
غاصت بظهري حربةً من أصدقائي الخاذلين
فرجعت للبيت الحزين
أبكي على جدرانهِ .. وأبوح بالسر الهجين !

* * *

واغرورقت عيناكِ
في الأفق المحنّى بالدماءِ
وانهارَ نجم من سمائي

وتألَّبَ الأطفالُ من حولي
وحدَّقتِ العيون
آلافُ .. آلاف العيون
وتدحرجتُ 'خوذ' على قلبي وهممَ لاجئون
ففسلتُ من وحل الهزيمة راية الحرف الطعين
وخرجت للدرب المعبَّد بالجماجم والعظام
وهتفتُ بالجنث المعفرة الطريجة في الرغام
باسم الحياة .. الى الأمام !
الى الأمام .. الى الأمام ..
وحلفتُ .. بالسر الهجين
لا لن أعود .. فألفَ عفوك .. أيها البيت الحزين !!

أختي صنعاء

لا يعبر بالشباك مساء
إلا وتطل من الأفق العين الكحلَاء
عين الحرّـه
بذت الثوره
إختي .. اختي صنعاء !

* * *

لا يعبر بالشباك صباح
إلا وتطلّ من الأفق المعبود جراح

جرح في صدر صعيديٍّ أسمر
جرح في صدر حديديٍّ أسمر
وجراح في صدر تغزّ السمراء
فلتشرب زنبقة الحريه
في سفح الجبل الأحمر
لتسيل ربيعاً .. في عطش الصحراء
صحرائي العربيه !

* * *

لا تعبر بالشباك الريح
إلا ويصبح
في قلبي .. شوقٌ ، فوق الشوقِ !
لأُضمِّدَ زند جريح
وأضم الرشاش الى صدري .. آه
يا أروع زحف نحو الشرق !

* * *

رغم الأبعاد المرصوده
ودروبي المسدوده
رغم الأنباء المشؤومه
عن قتلى .. قتلى .. قتلى
رغم البومه
ومشائق ملء العتمة من حولي تتدلى
أومن .. أومن .. أومن :
يمني المعبود
سيعود سعيد
فكهوف الشاي الأسود والقهوة والقات
صارت ثكنات
ورجالي .. من أسيوط .. وبور سعيد
كثر .. كثر .. والنصر أكيد !!

الى جميع الرجال الأنيقين في هيئة الأمم المتحدة

أيها السادة من كل مكان !
رَبَطَات العنق في عز الظهيرة
والنقشات المثيرة
ما الذي تجديه في هذا الزمان ؟
أيها السادة من كل مكان !
نبت الطحلبُ في قلبي

وغطى كل جدران الزجاج
واللقاءات الكثيرة
والخطابات الخطيرة
والجواسيس .. وأقوال البغايا .. واللجاج
ما الذي تجديه في هذا الزمان ؟

* * *

أيها السادة
خلوا قمر القرد كما شاء يدور ..
وتعالوا
إنني أفقد للدنيا الجسور
ودمي اصفر
وقلبي انهار في وحل النذور
أيها السادة من كل مكان !

ليكن عاريَ طاعونا .. وحزني أفعوان
أيها الأحذية اللامعة السوداء من كل مكان
نقمتي أكبر من صوتي .. والعصر جبان
وأنا .. مالي يدان !!

من هنا تبعثر النسور

مكتبة البيت القديمة :

كنتُ تلميذاً .. وكان
في دمائي أفعوان
علّموني .. أنني صفر وضع علّموني
أنني خرقة عارٍ وهوان ..
ولدٌ .. خلفه الأعراب في بيد الزمان !
علموني

ان أخاف النور .. ان أخفض للنارِ جيني !
كنتُ مغلوباً .. وكان
في دمائي أفعوان
أرقص « السمبا » على إيقاع أحزاني .. وابكي
وأبي يجهل أني ..

اشتري تبغاً بمصروفي ووسكي
ويدي تمتدُّ في الليل إلى مكتبة البيت القديمه ،
وإلى الصبح أسوح
بين شطآن الجروح
جرحيَّ الأول : من بغداد ..
من بغدادنا الملتهبة !

حيث ماء النهر مزرق بجبر المكتبه
حيث صارت جثث الكتب جسوراً ..
عبرها تعدو سرايا .. وتولي مركبه !
جرحيَّ الآخرُ : من ليلةِ رقّ

سجنتُ شمسَ دمشقِي !
جرحِي الثالثُ : من كفَّ جِبانَه
طعنت قلبَ الكِنانَه
جرحِي الرابعُ ، والعاشرُ ، والخمسون ،
من فأسٍ لئيمه
حفرت ! في جزعنا ألفَ جريمه !

* * *

ويمر الليلُ تلو الليل ..
في مكتبة البيت القديمه !
وعلى زُرقة أجفاني تنمو
خضرةُ الماضي الرحيمه !

روعةٌ تعقب روعه
وفتوحات مُشعه
بدويٌ .. شغل العالمَ حذقاً ومهاره
فعلومٌ .. وفنونٌ وحضاره

مدنٌ تنهض في البید العصیه
ومناراتٌ عوالِ
تبسطُ الضوء على مُلكِ الليالي
وتغنيّ في المسافات القصیه
فإذا المأتمُّ عرسٌ .. والمرائي مهرجان
وإذا التلميذ بالأمسِ .. سرايا عنفوان
تحمل الغابرَ - للحاضرِ - للقادمِ من عمر الزمان
وتغني : كان .. كان
في دمائي أفعوان
أصبح اليوم حمامه
حملتُ قصفة زيتون .. وطارت .
في بلاد الله .. جبريلاً .. بشيراً بالسلامه !!
آن للغارس أن يترجل !
القطاراتُ الحزينه
تذرعُ الليل .. وتستنزف أحزاني الدفينه

ومن الميناء ، يستتجدُ تعديدُ سفينه :
زوجة البحار .. خاتته اللعينه !
ويدوي الليل بالصرخة : آ .. آ .. خ ..
ويدمني الصراخ !
ما الذي أفعل في هذي المدينة ؟
أفتحُ المذيع .. كالعادة في كل الليالي
أم كلثوم .. تغني : « إنها قصة حي » .
وأغني : إنها قصة حزني !
وأغني .. وأغني .. وأغني ..
أم كلثوم اطمئي
يصبح الحزن - متى غنيت - حزين ، اطمئي !

* * *

ويدوي الليل بالصرخة : آ .. آ .. خ ..
فأشل الضوء في كهفي ..
ألم المعطف البالي على جلدي وأمضي ..

أرسم الشارع للشارع في ليل المدينة
تارةً أعدو .. وطوراً أشتبي أنثى ثمينه
ولديّ لافتهٍ .. تقضم أعصابي الضغينه ،
شارعُ « الحمراء » أمسى لفظة أخرى ، غريبه
ساحةُ « المنصور » أمست لفظة أخرى غريبه
فأنادي : أرجعوا لي .. آه .. أسمائي الحبيبه !
والمدى يصدي : الحبيبه
وتردُّ الضحكة الأخرى : سيعتادُ صليبه !!
وأنادي .. ودمي أحقاد مرجل :
آن للفارس يا أعداءه أن يترجّل ..
آن للفارس يا أحبابه أن يترجّل !

أقواس نصر

شيدوا أقواس نصر
وانثروا طاقات زهر

أيها الإخوة .. للآتي الجليل !
هو من تاريخنا الغابر وافد
يهبُ النهر روافد
ويغطي رُبْعنا الخالي، خوفاً وعنب
وبيوتاً .. وصغاراً .. وطرب .
عانقَ الشاطئَ مدُّ
وهو آتٍ .. فاستعدّوا !
جمّعوا سُفّاً نخيل
أيها الإخوة .. للآتي الجليل
بردى فيه تلاقى والفرات
والتقى عاصٍ ونيل !

* * *

أيُّ إيقاع سنابِك !!
صوته .. أيُّ عوالٍ سمهراتٍ فواتك

أي موآل اعتزاز ..
يوقظ الحالم في مصر ، ويهتاجُ شأماً وحجاز
صوته .. أيٌ عواصف !
تحملُ النعمة للقادم ، من نعمة سالف !
ويداه .. أي خصبٍ وبيوتٍ وفبارك
أي كُتب ومدارس ..
أيٌ إيقاظٌ ثراثٍ وفرادس !!

* * *

أيها الناسُ ، تعالوا !
ولنبارك ..
ضاعفوا الإنتاج في قطرٍ ، وفي قطرٍ علا سدٌ جديد ،
كل يوم ، أيها الاخوة ، عيد !
فلنبارك ..
ولنشارك !

أيها الناس ، تعالوا !
جمّعوا سُعْفَ نَخِيل
شيّدوا أقواس نصر
وانثروا طاقات زهر
وانشروا الرايات ، للآتي الجليل !!

وطن

وماذا ؟

حين ، في وطني
يموتُ يجوعه الدوريُّ
منفيًا ، بلا كفن !
وتتخم من طعام الله
تتخم دودة الدمن !!

* * *

وماذا ؟
والحقول الصفراء
لا تعطي لصاحبها
سوى ذكرى متاعبها
وبدقق خيرا الموفور
في أمراء غاصبها ؟

* * *

وماذا ؟
والينابيع القديمة
ردها الاسمنت
وأنساها مجاريها
فإن نادى مناديا
تصيح بوجهه : من أنت ؟!
وماذا ؟
حين صار اللوز والزيتون أخشابا

تزين مداخل الحانات
وأنصابا

يمتع غريها الابهاء والبارات
ويحمل بعضها السواح
لآخر آخر الدنيا
وتبقى دون عينا
وريات وأحطابا !

* * *

وماذا ؟ !
حين ، شعبي صار
مهزلة لبعض الناس
ووجهي صفقة صغرى
يتيه برفضها نخاس !

* * *

وماذا ؟!

والفضاءُ الجذبُ ، أقمارٌ صناعية

وفي الطرقات شحاذٌ ، وقُبعة

وأغنية خريفية !!

تعالِيْ يا رياح الشرق

إن جذورنا حيَّة !!

الى حارس فنار عكا

ملئت شباكُ الصيد الانتظارُ

يا حارس الفنار

والقارب المهجور

غطت رمالُ الشطِّ دفتّه

وجنبهُ المكسور

وكاد أن يورق -

مجدافهُ المطمور !

يا حارس الفنار
انقذ حبال الجار
من قسوة الأمواج والأمطار
تهرّأت يا صاحبي .. تهرّأت
والجار
غداً يعود ضاحكاً ...
للصيد والفنار !!

حتى الموت

– طوال الليل غنيت !

طوال الليل .. لم يشعر بك الموتى
طوال الليل .. غصَّ البيت أشباحاً
وفض بكاراة العتمة في عنفٍ قطار الصبح
ومرَّ ببابك المعقود فوق الجرح
ونادى :

« آن أن تُتغفي في صمت .. وترتاحا !

« كفى تنبش في الأجداث .. تستحضر أرواحا !
وناديت :

« صباح الخير يا أمي » .. واصلتَ
لرائحة الحليب ونكهة القهوة
ومرّت كفك الصفراء .. فوق جبينك الأصفر
« غداً .. أقسم .. لن أسهر ! »

* * *

وعاد الليل من منفاه .. عاد الليل
وعدت .. وثرغرك المحروم لم يبتلّ
- أتبكي ؟!

- ناقلاتُ النفط ما زالت على البحر
وجدي لم يزل يقرأ ديواناً من الشعر
- أتبكي ؟!

- عسكر السلطان في الساحة
وأمي تحت أرجلهم !.. ألا تفهم ؟.. مقتوله !

وجدي يضغط الشمس على 'تباك' أرجيله
ألا تفهم؟ .. مقتوله !!
وأهوى رأسك المشجوج في كفيك
ولكني .. أجل .. أبصرت شيئاً شع في عينيك !

* * *

لقيطَ الليل .. من أنت ؟!
— أنا ابنُ الشمس .. والاعصار .. والموجه
أنا ابن الساعد المفتول .. واللؤلؤ .. والضجّة
أنا المتمرّد الدامي .. فلا لن أعبد الصمت !
— ومن علمك الثورة !
— عسف القيد
— ومن ألهمك المصباح ؟
— فجر الغد !
— وما ماضيك
— كُتِبَ جمّة .. والتمر .. والشمس

وغارُ الوحي .. والتكبيرُ .. والدعوه

وسيف الله .. والرومانُ .. والفرسُ

و (بسم الله) .. والثروه !

– وما الحاضرُ ؟

ميراثُ الدم المهدور في الماضي !

ووشمٌ من قلاع المجد ..

وجذرٌ .. لم يزل يمتد ..

عميقاً .. تحت أنقاض !

وطاقيّةٌ إخفاءٍ وجنٌ في بساط الرياح

وآلاف العيون الزرق .. والعُجمَةُ في لفظي

وكنزٌ من شروح الفقه .. والأنساب .. والوعظ

ولحنٌ ، ينزف الايقاع في كأسٍ .. ويعطي الروحُ

– وهل تعرف درب الغد ؟ !

– عبر الصخر .. عبر الشوك .. حتى الورد

– وهل ... ؟

— أوْمن أن الشمس لا تستر !

* * *

ومرت كفك الصفراء .. فوق جبينك الأصفر
وصاح الجرح في عينيك .. صاح الألم الأكبر
أنا أقسمت ! يا شعبي !.. أنا أقسمت
أن أسهر طول الليل .. أن أسهر طول العمر ..
أن أسهر حتى الموت
أنا أقسمت أن أسهر !!

في القطار

- ١ -

مفرزة من الغبار

تصرعها الريح من نافذة القطار

ويسقط الذباب فوق قهوتي

كما هو في قرיתי

أحبة خانهم النهار !

- ٢ -

تلولبت جثته وانهار
في مقعدي .. مسافر غريب
ودب في أجفانه دوار
فنام ، لم تقلقه أوهام ولا أفكار
وهزّ خيط الصمت خاطر كئيب
ما أصعب العيش بلا حبيب
وما أمرّ رحلة بلا صديق
ما أطول الطريق !

- ٣ -

المرأة الحسناء
لا ترفع الوجه عن الكتاب
وشفتا صاحبها .. سرب من الذباب

يلعق جلد عنقها .. سرب من الذباب
يا قبلة بلا دماء
تمرغي في شهوة التراب !

- ٤ -

عيناك من نحاس
يا ذئبة تفترس النعاس
وتوقد الإغراء في مجامر الرجال
عيناك جثتان
تلوثان عزة الأكفان
عيناك إعصار من الشمال
فورته مزيقة من مقلع الجليد
لكن لي ناري ، وإعصاري ، وما أريد
فحاذري يا .. كلمة تقال !

- ٥ -

دوسوا على المقاعد الوثيرة
وزقزقوا في فرح .. يا شاطئ الجزيره
قوارب الآباء نصف غارقة
لكس في حقولهم براعماً صغيره
وفي جنين الأرض لم يزل
حنين أم وامقه ! -
فرفر فوا مشاعلاً في ليلها العصال
غنّوا ، وضجّوا ، واهزموا كابوس صاعقه
يا إخوتي الأطفال !

- ٦ -

حث الخطى يا لولب القطار
غيش وجوه الأرض من حولي .. ففي دمي

عاصفة ، لا تعرف القرار !
جدي هنا في مسرب ،
أختي هنا في مشتل ،
عمي هنا في حوض بياره
شعبي هنا يتلو وراء الثور والمحراث أشعاره
شعبي هنا ، دم على أشواك صباره
سل هذه الأشجار أخباره !
حث الخطى يا لولب القطار
حث الخطى ، فالشمس ، في انتظار !!

الميلاد

قروناً يا أبي تاجرت بالأطياب والخزّ
قروناً يا أبي غامرت حتى عدت بالكنز
حميت الماء من أجلي حميت الماء
وصدت التمر في واحاتك الخضراء
عرفت الله في حرّاء
هدمت اللّات في مكه
وجبت الأرض تُخصبها .. من الصحراء

وعدت إليّ من شيراز
بالديباج ، والنهوند ، والخبز
صغيراً كان تاريخي .. وكان بعمره عزي
وأنتَ تعبتَ ، أنتَ شقيت .. حتى عدتَ بالكنز !

* * *

قروناً يا أبي .. وانهدّ منك الكاهل المتعبُ
وغاص العبء تحت رمال حقل النكبة المجدب
وناداني فراخي الزغب ..
- لا ماءً ، ولا شجرُ
ولا فتحٌ ، ولا جابٍ ، ولا عمرُ
فلا تغضب !

ولا تعتب !
إذا أغلقت أبوابي بوجه الأمس
إذا أبدلت أثوابي .. وغادرت الرحاب الدمس
وان ودعت أزهارِي

وان قبلت نصب الرمس
لآخر مرة في العمر .. نصب الرمس

* * *

أبي .. لا كتبنا الملقاة تحت نعال هولاكو
ولا فردوسنا المردود فردوساً إلى أهله

ولا خيل الصليبيين

ولا ذكرى صلاح الدين

ولا جندينا المجهول في حطين

تشد خطاي للانقراض ، للمنفى

فمن حي لأطفالي

أشيد مصانعا كبرى

وأرتق معطفي البالي

وأبني مسكناً حلواً .. وأخلق جنة خضرا

ومن حي لأحفادي

أصادق أنبل الأصحاب

واتقن في مدارسهم علوم الطب والأحياء والذره
وأرفع رايتي الحره
وأجمع حولها الأحباب
فلا تغضب
ولا تعتب

إذا قبلتُ نصب الرمس
لآخر مرة في العمر .. نصب الرمس

* * *

وداعاً يا أبي الغالي ! وداعاً يا صديق الأمس
فإن أكفَّ أصحابي تدق الباب
وصوت الآلة الحسناء يدعونا
لنبدأ رحلة الأجيال .. قبل الشمس

مراثية بدر شاكر السياب

من سبلَ في الغربيةِ جفنيه ؟
من شد بمنديلِ الأمواتِ يديه
من ودَّع آخر قطرة زيت ؟
من خطَّ وصيته قبل الموت ؟
من صلَّى يا ناس ، عليه ؟

* * *

مات غريباً يا بغداد
قنديلُ الأحزانِ المُشعلُ في مأساتك

فليُنْجِبْ أحرارُك أولاد
يلهون بلا أحزان
في الضوء الغامرِ ساحاتِكْ
واذكر يا دجلةُ انسان
سالت من دمه قطراتٌ ، في دفقاتكْ !

* * *

يا بعضَ الإخوة .. يا بدرُ !
أغلق في وجهي بابك
واهجر أحبابك
لا لوم على أيوبِ العصرِ !
يا بدرُ !
بالكلمةِ أحلفُ ، بالحبِّ
أن أروي طول حياتي أخبارك
أن أحفظ أشعارك
عن غيب !!

على أكتاف أشعاري

بلا عينين ، يا هذا ؟ .. بلا شفتين ؟ !
بلا قلب نبيل النبض .. يذكر حبه الأول ؟
فقل لي أين .. قل لي أين ؟
جدوري شدّها ماض .. وشدّد الجذع مستقبل ؟
أنا عاهدت - حتى الموت - أطفالي وآلهتي
وأنت تريد معصيتي
كفى ، يا أتفه الأوثان .. لن أقبل !!

* * *

لمن هذي السياط الحمرُ .. والأغلال .. والبارود ؟
لنسر القمة المفؤود ؟
لدوريّ يجوب الأرض منفيّاً ؟
ويحكي بين كل الناس عن فردوسه المفقود ؟
لحرف عوّد الأحزان أن تغلي ..
وقلب الصخر أن يأسى ؟
أنا .. يا بابي المغلق !
على مر الليالي السود
أحسُّ بنكبتى أعمق !
أحسُّ بنكبتى أقسى ..
أحسُّ بأحرفي .. شوقاً لأن تُحرق
وأن تُغرق !
وأن تُحيي ، وأن تُزهق !
أنا عاهدت - حق الموت - أطفالي ، وآلهتي
وأنت تريد معصيتي

وَأَنْ أُنْسَى !

كفى يا أطفه الأوثان .. لن أنسى !!

* * *

إِلَهَ الْيَتَمِ ، وَالْأَحْزَانِ ، وَالتَّشْرِيدِ .. لَا تَغْضَبْ !

إِذَا مَا دَمَعْتَ عَيْنَاكَ جَوْفَ دَخَانِ أَشْعَارِي

فَمَنَا .. جِثَّ الْأَحْبَابِ !

وَمَنَا .. الْكُتُبُ ، وَالْأَغْصَانُ ، وَالْأَثْوَابِ !

وَمِنْ سَاحَاتِنَا .. الْحَفْرَةِ !!

وَمِنْكَ .. النِّفْطُ وَالْجَمْرَةُ !!

إِلَهَ الْحَرْبِ ، فَلْتَغْضَبْ !

إِذَا مَا دَمَعْتَ عَيْنَاكَ جَوْفَ دَخَانِ أَشْعَارِي

فَمَنْ يُتَمَّى ، وَمَنْ حَزَنِي ، وَمَنْ جَوْعِي وَمَنْ عَارِي

يَشِبُّ لَهَيْبِ أَشْعَارِي

وَلَنْ أَتْعَبَ !

طَوَالَ الْعَمْرِ ، لَنْ أَتْعَبَ !

من الجرح الذي عمّدت في مجراه أوتاري

فقال : اشرب .. !

ووزّعَ لونَ راياتٍ ، ووزّعَ لونَ أزهارٍ !!

أنا عاهدت - حتى الموت - أطفالي وآلتي

ولن يحظى بمصيتي

رئيسٌ ، عن رماد البعل .. يلهث خلف مركبتي !

يشد خناقهِ صوتي

ويعصر قلبه صوتي

ويقتله .. بلا موت !

شروق الشمس !

محمولاً ، على اكتاف أشعاري !!

قدّمٌ للشعب .. يا صوتي !

ودّمٌ للبعل .. دُمٌ سيفاً من النار !

حوارية العار

« افتتاحية »

سلطانُ - أرضي أمس - يذرع بهوه الفخمَ الرهيب
وعلى أكفٍّ إماءه
أطباقُ « ألماس » وإبريزٍ وفضه !

« السادن »

مولاي يمثل الجميع
الحزبي .. والدم .. والدموع

والعبد ، عن كَرَمٍ ، يبيع السيدَ المعبود أرضه
ويبيحه ، ان شاء عِرْضَه ؟

هذي صكوكُ الذلِّ .. وقّعها القطيع
وتهافت الخصيان ، فامنحهم فتات المائده
واغفر لمن ماتوا على درب الرياح العائده !

أكفانهم مِرْقَ البيارق
وقبورهم وحل الخنادق

إغفر لهم ! فالوغد أوزيريس ! ضلّهم

بمرشات الحروف الحاقده !

- مولاي ! يا الإسكندر العصري

يا باري الغيوم الواعده !

أمطر على الأتباع يا قوتا ..

ونيراناً ، على زمر الفلول الجاحده !

هذا الزمان ، كما تشاء

ورهنَ شهوتِكَ الفلَكُ

والخصب في كفيك
يا تمثوزنا !.. والمجد لك ..

« العبيد »

المجد لك !
المجد لك !!

« أوزيريس »

عبر القرون الدامسات ، وعبرَ طوفانِ الدماء
عبر المذلة ، والخيانة ، والشقاء
عبر الكوارث والمخاطر
عبر المسافات السحيقة ، عبر آلاف المجازر
عبر انكسار الرافدين ،
وعبر أحزان الجزائر

عدنا ..
وملء قلوبنا ، وهج النبوة والفداء
عدنا .. وملء شفاها ،
تسيحة الأفق المكبل .. للضياء
عدنا ..
فإما للزوايا الدكن .. يا شعبي !
وإما للواء !!

« الشاعر »

غير اللواء الحر لا نترسم
وبغير صك جراحنا لا نقسم
ولغير قدس الشعب لسنا ننحني
وبغير وحي الشعب لا نتكلم
فلتشرب الرايات نخب جراحنا
كأساً يفيض على جوانبها الدم !

« السلطان »

باسمي !

أعدو النّطعَ للصوتِ الغريبِ على فنائي
ولْيُصلبِ المتمرّدون على مشيئتي الوحيدة !
ولتُحشد الأسلاك ..

والجوع المذلّ ..

وعُدّة الموت المريده !

وليُسحق الأوباشُ - أوباشُ العقيدة

أنا صانع التاريخِ كيف أشاءُ

حرّ في عبيدي .. في إمائي !!

« السادن »

مولاي ! مولاي المُطاع

الآبقون التافهون .. فمٌ يصيح .. ولا ذراع
ألَّب عليهم حسرةَ المنفى وأوباءَ السجون
واجعل ضمادَ جراحهم ملحاً وكبريتاً وطين
واضرب بقدرتك الجليله
لنرى جباههم على نعليك ، خاشعة ذليله
وإذا أمرتَ .. فإنني سوطٌ ، ومقصلةٌ ، وسيفٌ
وإذا أمرتَ .. فإنني لعنات جاحمةٍ وبيله
لا تسأل الأحطاب : من أيّ الجذوع ؟
ولا تعفُ !!

« العبيد »

— ما شئتَ لك

ما شئتَ لك !

« أوزيريس »

مستنقعات الصمت للديدان .. فليقنع بصمته
من باع للشيطان جذوته ، وخان عهود بيته
مستنقعات الصمت للديدان ..

والقمم العصية

للمس ، والبصر الجسور !

فتهيئي للقائنا .. يا واحة الله القصية

نبئت برغم الريح .. أجنحة النسور !

وقلوبنا عادت غنيه !

وجذورنا ظلت قوية !

عدنا ! رجال الأرض ! إن شحّت ، وإن كانت سخيّة !

« الشاعر »

قسماً بأطلالٍ لنا تتكلمُ

وبصحوةٍ تبني الزمان وتهدمُ

قسماً بمن أهووا ، وآخر شهقةٍ

منهم بميدان الفداء : تقدموا

قسماً بأعراس الجراح وفجرها

غيرَ اللواء الحرّ .. لا نترسّم !

حوارية مع رجل يكرهني

— روما احترقت يا مجنون !

* روما أبقى من نيرون !

— روما لن تفهم أشعارك

* روما تحفظها عن غيبـ

— روما ستقطع أوتاراك

* ألحاني تصعد من قلبي

— في صوتك ذلُّ التاريخـ

* في صوتي غيظ الصاروخ
- الدربُ طویل
* لن أتعبُ
- يا هوذا باعَكَ
* لن أُصلبُ
- أجدادي احترقوا في « أشقتس » (*)
* قلبي معهم .. فانزع من جلدي الأسلاك !
- وجراح الأمس ؟
* دعها وصمة عارٍ .. في وجه السفاح هناك !
- ماذا في كفك
* حفنة قمح
- ماذا في صدرك
* صورة جرح

(*) اشقتس ، هو المعتقل النازي الشهير الذي كان اليهود يحرقون فيه .

- في وجهك لون البغض
* في وجهي لون الأرض
- فاسبك سيفك محراثا
* لم تترك لي من أرضي ميراثا
- يا مجرم !
* لم أسرق .. لم أقتل .. لم أظلم !
- يا عربي يا!
يا هذا .. يشفيك الرب
يا هذا جرب طعم الحب
يا هذا ،
أفسح للشمس الدرب !

ومحيداً في ليلة رأس السنة

الناس

كثُرٌ من حولي ، كثُرٌ

سودٌ ، بيضٌ ، صُفْرٌ

من كل الأجناس !

والموسيقى

أسراب من كل طيور الله

الفالس .. رفوفُ سنونو

السمبا .. نقلة دُوريّ

داخت من رجليه غصونُ

والحجل الكارج في السهلـ

باسو دوبلي !

* * *

الناس

كثُرٌ من حولي ،

يُحكى أنَّ الليلةَ عيد

عام يتوارى في الظلّ

ويُطِلُّ جديدٌ .

والناسُ ،

جاؤوا من كل الأجناس

جاؤوا ، أرديةً مكويّةً

تتدلى من أطراف وجوه شمعيّة

جاؤوا .. بسماّتُ المومياءات

في الشمع الشاحب محفوره
والضحكات ،
رَجْعُ الأجراس المكسوره
يأتي من خلف الغابات
من خلف الأسلاك وأفران الغازات

* * *

– « هاتوا الوسكي !
– هاتوا صفارات العيد » .. وأبكي !
ماذا أفعل في هذي الشلة ؟
ماذا ؟ أنتظر القبله !
في منتصف الليله ؟!

* * *

أسلاكي ، ما زالت
وخيامي ، ما زالت
ودمي .. يستصرخ في الطرقات !

ما أفعل هذي الليلة ؟
قدماي مسمرتان على المصطبة الثلوجه
والدمع المطر في خلدي
يسقط في حلقي .. حباتٍ من بَرَدٍ !
ويدي انهارت
فوق المائدةِ المأى .. مفلوجه !.

* * *

منتصف الليلة ..
الضوء انشَلَّ ، وماتت كل الشمعات
وعلت في العتمة كركرة الضحكات :
- هاتي القبلة !
- « هاتي القبلة »
وانهارَ على شفتيَّ رفات !
- أيتها العاهرة النذله
أيدي القتلى

تعلو وتدقُّ .. تدقُّ توأبيتَ الظلمات
عاد الأموات
عاد .. الأموات !
وتواري عامٌ في الظلِّ
وأطلَّ جديدٌ ،
فالليلةَ .. هذي الليلةَ .. عيد !
وأنا أهوى ، وأجيد
في زفةٍ أحبابي ، ومواسم أهلي
رقصاتِ الشعراويةِ ، والهورا ، والباسودوبلي !

الهاصد الأول

وُلدتُ على يَدَيْ كَرْمِهْ
فخُذْ من ضَرَعِهَا قطره
إذا أَفْلَحْتَ .. خُذ قطره
فقد علمتُ عنقودي متى يكره
ويعطي المفترى سُمه !

* * *

حفرتُ اسمي على القمه
حفرتُ اسمي وتاريخي

فقبِّل نعلَ شمر وُخي
وروادُ أُختيَ النجمه !

* * *

بنيتُ لعزتي صخره
فحوَّ لها اذا أفلحت ..
حوَّ لها الى حفره !
دع المنجل !
فبين سنا بلي أفعى
لغير الحاصد الأول
تعلَّم نأبها اللسعا !

* * *

يجلدي .. أيها المخدوعُ لن تدفأ
أعدِ جلدي !
أنا ، والشمس ، والمرفأ
على وعد !

وصوتي .. قاهرُ الإيقاعِ .. لا يُطفأ !

* * *

نفضتُ الحزن عن وجهي

نفضت الليل من قلبي

وسكيني محددة ، ولا أخشى

عواء الذئب في دربي

فهل تغشى ؟

سبيلَ الموت .. هل تغشى ؟

أنا شعبي ،

يدٌ للسلم أبسطها ..

وأقبضُ في يدِ نعشا !!

يا قمرنا المغدور

طلعوا من الوادي الحزين
من شاطئ الفولاذ والدم والمراكب والجنون
طلعوا من الأكواخ واللغة الغريبة
من عالم القرميد والريح الكثيبه
وتسلقوا السفح المهيئ
عبر الأراضي البُور والذكرى وآلاف العيون
وتصايحوا بضجيج قافلة شريده :

لا تغمدوا الأوتاد ! إن حدودنا ظلت بعيدة !

* * *

ماضيك 'ثقله' الأناشيد الرتيبة
وزهورك الحمراء يابسة .. وعزتك الكثيرة
ماتت من الجوع اللعين
ماذا تريد ؟ امتصت الرعيانَ أوطانَ جديده
وأنا أموت هنا .. أموتُ وما لديَّ سوى قصيده
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين !

* * *

إن غازلتك سحابة بيضاء .. دعها في أمان
وإذا بكّت دعها فإن الأرض ما زالت حبيبه
وأنا غرزت أظافري الحمراء في قلب الزمان
وهتفت من أعماق أعماقي : موانئنا قريبة !
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين !..

* * *

في الكتبِ أشياءٌ عجيبة
وربابة الأعمى تكذبها .. وآثار المضافة والزريبه
وصدى أبي سامي وآلاف الحكايات الرهيبة
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين
يا أيها المتروك مشجوجَ الجبين
شَبَابَةُ الراعي تعود ! فلا تملَّ من الحنين
والكادحون من الصباح الى المساء
الطيبون الأوفياء
والخاملون من الكسالى واللصوص المارقين
إني أحس دبيبهم
في جبهتي إني أحس دبيبهم ..
يدوي ، وفي مجرى الدماء !
يا أيها المتروكُ مشجوجَ الجبين
أقول : صاروا لاجئين ؟
ستقول : كانوا لاجئين !
ستقول : كانوا .. لاجئين !!

الأعلام

أنزِلُوا الأعلام عن شَمِّ القلاع !
أنزِلُوا مهزلةَ الألوانِ عن شَمِّ القلاع
واغسلوها بدموع الأمهات
والصبايا الواهات ..
بعد أن ودَّعن أحباباً ،
مضوا للحربِ آمالاً .. وعادوا .. ذكريات !

* * *

إغسلوها .. علّٰها تبيضُ ، تبيضُ .. وترقدُ شعاعا
أو شراعا

ينقذ الأحياء من نكبة ميناءٍ وحيدٍ يتداعى !

* * *

من قرون .. لم تزل .. في كل باب
راهباتُ الشكل

يبكين لدى الفجر .. يسائلن الغياب
ويُغنين .. يهددن جراحاً لا تنام :
أيها الغائب عن أهلك ، طوّلتَ الغيابا
أيها الغائب ، ما زلنا حنيناً وارتقابا
أيها الـ ...

خبّره يا طير الحمام !

* * *

لمن الرايات .. ملء الأفق .. في كل طريق ؟!
ولمن تشبع من حنطتنا أفعى الحريق ؟!

ولمن ننزف أمطار الدموع ؟
ولمن نعري ونحفى ونجوع ؟
ولمن تزحف تحت الليل أكداس الرقيق ؟
أيُّ تنينٍ خرافيٍّ الأولوه
سملَ الأعينَ في تاريخنا .. أدمى وجوهه !!

* * *

يا يتامى فقدوا في يتمهم طعم الحياة !
يا صغار الأنبياء !
يا رؤاةً حفظوا كل أساطير السماء ..
شيّدوا البرجَ .. فقد نادى الإله
وبكى « نوح » على الطوفانِ .. طوفانِ الدماء !!

أزفريس الجديد

أنا والسيول المستميتة ..
مُذ كانت الأمطار والأحزان والشمس العنيدة
نحيا على جرف النفايات المقيته
ونُعدُّ للعِشَّة الجديدة !

* * *

أنا والسيول المستميتة
في سفرة لا تنتهي .. حتى نعيد إلى الحداثق
حسونها المنفيَّ .. والجذر المترمَّدَ في الحرائق !

حتى يشبّ اللوز والزيتون والتفاح
في جرح الحنادق !
ويرمّم الانسان أنقاض المدارس والمصانع
وتفجّر الألغام أنهاراً ..
وتخضرّ المزارع !

* * *

أنا والسيول المستميتة
يا زوجتي إيزيس .. آلهة مريده
لن ننتهي في مسلخ القرصان أشلاءً شتية !

* * *

ما كان منا أمس يا إيزيس .. أحلامٌ شهيدة
في الأرض نبعثها غداً ..
دنيا منوّرةً .. جديدة !!

نناديك

نناديك .. من آخر الآخرة !
فمدَّ يديك
لقعر جهنمنا الكافره ..
وخذنا إليك !
نناديك ، والبحر دوامة
بدون قرار
وبعض شراعٍ يحسرج في اللجّ :
أين الفرار ؟ !

ننادي . وفي جذع تاريخنا
تحزُّ الجريمه
فهلاًّ أجرتَ من الفأسِ .. فأس العدوِّ القديمه
جذوراً طواها رماد الهزيمه !
نناديك .. والأرضُ تسأل :
من أنتَ ؟ من أنتَ .. من ؟
فاطلق جوادك من 'قمقمِ الأمس ..
واطوِ الزمن !!

سينر اما

- ١ -

في الغرفة الأخرى ، ثياب امرأةٍ ورجلٍ
تبعثرت .. كأننا في عجلٍ
وهمسٌ موسيقى .. وبعضٌ جملٍ
ورفٍّ في الشباك طائرٌ عجيب
قال : أنا المحبوب والحبيب !
ثم اختفى .. ولم يقل .. لم يقل
متى يحين أجلي !

- ٢ -

لم يتركوا لي مطلقاً يُقال !
لم يدعوا لمقلتي جمال
ويضحكون حين يسمعونني
أراود الرياح أن تحمِلَ لي الجبال
القدماء الميتون .. من يعيدني
إلى عصور مجدهم ولو لحظة ..
لا كنتَ يا خيال !

- ٣ -

في وحدتي آذَنُ للأحزان
أن تنفضَ الرماد عن لواعجي
وتطرد الدخان .

وفي بصيص جذوتي يبرز للعيان
حسابُ إنسانيتي .. بلا خداع
فتقرع الأجراس في قلبي بلا انقطاع
لم يمتِ الإنسانُ في قرارتي ..
لم يمتِ الإنسان !!

لمن أعطيك

لمن أعطيك يا حي .. لمن أعطيك
ويا شعرَ الهوى قل لي .. لمن أهديك ؟
لمن ؟ والأرضُ قاسيةٌ .. بلا قلبِ
لمن ؟ والشوكُ أكداسٌ على دربي
لمن أعطيك ، يا حي ؟ !

* * *

أتذكرُ طفلةَ الماضي .. وألواناً من اللهبِ
ونبع الظلِّ .. والمخبأ

ونحن هناك ، لا نفتأ
ندوخ بلعبنا الحلوى
وراء السور .. بين اللوز والرمان والسرور
أتذكر زرقة العينين والبسمه
وشُقرة شعرها المنعوف للنسمه
وقبْلَتَها على خدي
وعَضَّتْها على زندي
وشكواها الى أبويَّ .. أني طائش .. أزعر !
أتذكر أنت ؟ هل تذكر ؟

* * *

وفي يوم من الأيام
صفرتُ لطفلي الحلوه
فجاءتني على مهلٍ .. بلا ضحك .. بلا نشوه
وقالت لي ، بدون سلام :
أتفهم ؟ إن أمي لم تعد تسمح

وإن ناديتَ بعد اليوم ، فالشباك لن يُفتح
تركتُ اللهوَ يا أبله ..
لأنني .. لم أعد طفله !!
فقل لي يا جريحَ القلب .. يا حي لمن أعطيك ؟

* * *

أتذكر رنةَ الجرسِ
وعهد الكُتُبِ والزملاءِ .. والحلوه
تجيء بشوبها الكاكي .. بلا حرسِ !
أتذكر حصة التاريخ .. والاستاذ يشتبهُ
فينهانا بإصبعه ،

عن اللفات والبسمات ..
ويزجرنا : كفى انتبهوا ..
كفى .. انتبهوا !
وفي يوم من الأيام
تلفتنا .. فزلزلنا خواء المقعد الغالي

ومرّ الدرس .. مرّ الدرسُ مشلولاً .. ببطء العام
ولم نفهم سوى أحلام !
وما كدنا نلّمُ الكتب .. حق كنت أرقبها
وعبر الشرفة الزرقاء .. أشرق وجه والدها
وأشرق وجه خالتها ، وجدتها ، وعمتها
وبعد سجائر 'كثير' .. وبعد الحزن واللهفه
أطلتْ حلوةُ الشرفه !
وراحتْ ، خوفَ عينِ الأهل والجيران ،
تحققُ في مأخوذه ..
أنا .. ما عدت .. تلميذه ..

* * *

فقل لي يا حزين الوجه .. يا حي .. لمن أعطيك ؟

* * *

أتذكرُ حلوةَ المكتب ؟
أجيء مبكراً للشغل .. كي أحظى بصحبته

لبضع دقائقٍ .. أحظى بصحبتها
أشاركها أغاني الصبح .. أشربُ بعضَ قهوتها
ومن فنجانها .. أحكي لها أسرارَ سيرتها
كما شاء الهوى .. أنني أنا تاريخَ قصتها !
فتضحك حلوة المكتبُ
وتفهم .. أنني .. 'معجب'
وتضغط كفتيَ الحرَّى براحتها
وفي أعماق عينيها
أحسُّ بكل رغبتها !

* * *

وفي يوم من الأيام
حملتُ الشوقَ زوَّاده
وجئت مبكراً للشغل .. كالعادة !
ولم تستقبل الحساء شوقي بابتسامتها
وماتت ، قبل مولدها ، بقايا من تحيَّتها

و حين اشتدَّ بي غيظي
تعثَّر ثغرُها المحموم ، في لفظٍ بلا لفظٍ :
إليكِ سوايَ ألعوبه ..
فإني اليوم .. مخطوبه !!

* * *

أتذكرُ أذت .. هل تذكرُ
أتشعرُ أنني أكبرُ ،
وأني بتُّ أخشى الشيب والوحده
فماذا بعدَ سرِّ الخوف .. ما بعده ؟!
كفاني في الهوى جهلا
فإني لم أعد طفلا
وقل لي يا عميق الجرح ، يا حي ، لمن أعطيك ؟
لمن .. يا متعي أعطيك ؟!

في ذكرى المعتصم

المبشر

إذا حدثتَ يا هذا فبشر: قاتلاً بالقتل !
وبشر سارقاً أرضَ الجياعِ وقمَحهم .. بالمحل
وبشر هاتكَ الأعراض .. بالعارِ
وبشر ملحداً بالشمس .. أن سيؤولُ للنارِ
وبشر قاهرَ الأيتامِ .. بالذلِّ
وبشر من يغلُّ الحرَّ .. بالغلِّ

وقل للناس .. قل للناس ، إن الليل لا يبقى
وقل للبحر إن هناك من يأسى على الفرقى
وقل للعقل إن هناك من يهزأ بالحمقى
وقل لنَبُوخَذَ المأفون
إن الحرُّ لا يستمرىء الرِّقا
وطُف في الأرض .. طف فيها ، وبشر جَدَّيْهَا الخائف
بأن الذئب مرتعد الفرائص .. راجفٌ .. راجف !
فسيف النار مبعوثٌ .. وإيلياً
وصوت الله .. كيف نشاؤه يأتي
ويملاً .. يملأ الدنيا !!

الزوجة

دفعتُ مآثري مَهراً !
وحطمتُ الصخور الصمَّ كي أبني لها قصراً
ومن صحرائي الكبرى

خلقت حلوة الحلوات ، ألف حديقة خضرا
وفجّرت العيونَ الزرقَ في البیداء
ودجّنت الجبالَ الشم والأنواء
وروّضت الرمال على هوى الأزهار والانداء
وعوّدت السواقي الموجَ ألاّ تؤذيَ العطرا
ولم أسرج جیاد الغزو یا « بابل »
ولم أخدعك .. لم أغدرك یا « بابل »
وما علّقتُ في بابي لواء الغدر والباطل
فما لحبیبتي تسبی
وما لعواصفِ غضبی
تفرّغُ جنّتی الوسنى .. تهدّم سوري الآمن
ومن مستنقع الأحزان تدفع ماءها الآسن
يُمزّق شملَ أطياري
ويخنق طیبَ أزھاري
وما للشمس يزجرها غمامُ الحقدِ عن داري

وما للحاكم التتريّ لا يأسى لأطفالي
ويجلدني بسوطِ الغدر والقسوة
وينخطف زوجتي الحلوة
يدوس مشاتلي الخضراء
ويُنذكي النار في الأهراء
وما للليل لا يفهم
بأن الشمس لا تلجم
وأن المارد الجبار سوف يهشم القمم
وما لنبوخذ المأفون لا يقنع
بأن جذورنا في الأرض راسخة .. ولن تُقلع
وأن مشيئة الإنسان لا تُهزَم !
وأن مشيئة الإنسان لا تذوي .. ولا تهزَم
وأني أكره الأخرى
وأعشقُ ، أعشقُ الدنيا
وأني شئتُ أن أحيأ ! .. وأن أحيأ !

الضوء

معي أنتِ !

معي في القلب ، في العينين ، في الصوتِ
معي من رعشة الميلاد .. حتى رعشة الموتِ
معي أنتِ ،

فماذا لو همزتُ الريح من أفقٍ الى أفقٍ
وماذا لو عصرتُ الشمس فوق مشاتل الشرقِ
وماذا لو زجرتُ الذئب

عن شاتي وعن بنتي ؟
أيرجمني صغار الجار ؟
أينحطف زوجتي عِليجٌ يعافُ قراءةَ الأشعار ؟
وتحصدُ ما زرعتُ النار ؟ !

* * *

لأجلكِ .. أسرجُ الأحزانَ

من أرضٍ إلى أرضٍ
لأجلِكِ .. أركبُ الأهوالَ

من بحرٍ إلى بحرٍ
لأجلِكِ .. أمنحُ الكلماتِ للغيرِ
وسوفُ أظلُّ أمنيحاً .. موقعةً على نبضي
لأجلِكِ .. يا منزعتي عن البغضِ !
وسوفُ يظلُّ

سوفُ يظلُّ مصباحي بلا زيتٍ
فضوءُ العمرِ ، أنْ تبقيَ معي أنتِ ..
معي أنتِ ..

مدينة الردة

سأُكسرُ قلبها الصلصالَ !
وأمرغُ وجهها المشبوهَ .. في الأوحالِ !
سأُخذها - بلا رحمة

وأقذفها - بلا رحمه
وأجعلها - من الأمثال !
لتفهمَ أنني النسرُ الذي يهزأ بالقمة !

* * *

سأنثر دربها شوكا !
وأحجار مسنّنةً ، وحيّاتٍ ، وأشباحا !
وأترع جرحها قاراً وأملاحا
لتصبحَ قصةً 'تحكى
عن العبد الذي يجرؤ أن يلمس الشكا !
سأحرقُ في قراراتها
إلهَ الزيفِ ، والخذلانَ والشّركا !
لتفهمَ أن من يُلقي حصى الإلحادِ في بئري
سأصلبه على شعري
وأتركه ، لبعض الطير .. أتركه بلا قبر !!

آخر الجرحى

أعدنا اليوم حملتنا على الأسوار
ولكننا ارتمينا عندها قتلى
وعز جلاله المولى
أعاد الطير خائبةً الى الأوكار
وسلم من نيوب الموت .. سلم آخر الجرحى
ليخفقَ صوتهُ المخضوبُ بالدم :
هلا ! مرعى !
هلا ! مرعى !
ويُطلقها على سهمٍ
الى أختٍ وراء السور مسبيّةٍ
يدنّسُ طهرها المنهوب هولاكو ،
وعُصبتُ التتاريّة

* * *

هلا يا أختي .. مَرَحِي
فماذا يَقْبَلُ الأَضْحَى
سوى قربانِ أُمْتِنَا ، وحملتها البطوليَّة ؟ !

* * *

أعدنا اليوم حملتنا على الأسوار
وقبل الصبح قبل الصبح
يُعيد صفارنا الحمله
وتعرف دربها شعله
وتأكل مَنْ تشاء النار
وقبل الصبح .. قبل الصبح يا آلهة الظلمه
ستعرف وجهها أُمَّة
ويملاً جفنها ضوءٌ يعجّل موعدَ الأنوار !

يوسف

أقصُّ لكم خياماً .. أيها الأحبابُ
من جلدي

وحول مضارب الأحزان
أسقي بالدموع الحُمرِ
كلَّ شتائل الوردِ
وإن هبَّت عليَّ الريح ..
أسألُها !
وإن عادت .. أحمِّلها ..
وأحرص أن أحدثَّها
ولو ظلت بلا ردِّ
سلاماً .. أيها الأحباب
يا إخوان .. يا جيران .. يا أصحاب
سلاماً !
كيف أنتم في فصول الحرِّ والبردِ
وكيف الحال
على الأطفال ؟
وكيف رفاقنا الموتى ؟

هل اعتادوا وراء السور

طول الليل .. والصمتا ؟

وكيف إمامنا يعقوب ؟ -

تُرى ما زال - يا ناري على عُكَّازةِ الوجدِ

يدٌ .. من طولِ صمتِ الشَّكلِ

لاصقةٌ على الخدِّ

وأخرى .. في قميصِ الدمِّ

غائصةٌ بلا حدٍّ !؟

* * *

أحبائي ! أحبائي !

إذا حنَّت عليَّ الريح

وقالت مرةً : ماذا يريد سميح ؟

وشاءت أن تزودكم بأنبائي ..

فمروا لي بخيمةِ شيخنا يعقوب

وقولوا : إنني من بعد لثم يديه عن بُعدِ

أُبَشِّرُهُ .. أُبَشِّرُهُ ..
بعودة يوسف المحبوب !
فإن الله والانسـان ..
في الدنيا .. على وَعْدٍ !!

الرسول والعيد

لبسنا أجمل الأثواب
وفتَحنا نوافذنا .. وشرَّعنا لك الأبواب
رشقنا الدار
فرشنا الأرض بالأزهار
وألفنا الأناشيدا
وأعلنا قدومك يا حبيبَ حياتنا عيدا
فلا تُخَفِضْ لنا وجهاً .. ولا تُثْقِلْ لنا جيـدا
ولا تَحْرِمْ محاجرنا من الأنوار
ولا تَحْرِمْ مساكننا من الأمطار

فأنت ربيعنا المفقود
وأنت صباحنا الموعود
نذرتنا في قرون القيظ والأحزان .. من أجلك
فَطَوَّفَ في صحارينا
وأغدق فوقها الموفور من ظلك
فإنك منذ بدء الليل فجره في أغانينا
وإنك يا ابن لهفتنا .. عزاء في مآسينا
رضينا باسمك التشريد والحرمان والبيدا
وأعلنا قدومك يا حبيب حياتنا عيدا
فلا تخفِض لنا وجهاً .. ولا تثقل لنا جيذا !!

الجسر

سأعبر جسرَكَ المشؤوم .. يا تيار أحزاني !
سأعبره بلا خوف ، لشط العالم الثاني
فإن نداء أطفالي
وراء الأفق إعصارٌ يزلزلي

لآتيهم .. على أنقاض أجيالٍ وأجيال
وإن نداء أجدادي
وراء خطاي يدفعني
وريح الحزنِ والأشواق تحملني
إلى فردوسي الغالي
وعبر ضباب أبعادي
منارات تضيء الدرب
وتلهمني أغاني الحب
وأبتهً ، وأفراحاً .. لأعيادي
ومن تاريخ خذلاني وأمجادي
يدٌ مخضوبةٌ تمتد
وصوت هازم كالرعد
شجاعٌ .. صارمٌ الايقاع .. يصرخ بي :
تخيّر أيها العربي :
طريقُ العارِ مفتوحٌ لكل زمان

ودربُ المجد ! .. هل تفهم ؟ .. درب المجد !
فخذ من أدمعي ما شئت
سأوقد مشعلي بدمي
وأصبغ رايتي بدمي
سأفقدُ لقمتي الشهواءَ ، أحفى ، أشتهي ، أعري
وأملأ معدتي .. شعرا !
فقد أقسمت .. قد أقسمت
بالميلاد في أعماق انساني !
سأعبر جسرَكَ المشؤومَ !
يا تيار أحزاني
سأعبره .. سأعبره ..
لشط العالم الثاني !!

الصعود الثاني

لِيَهْنَأُ أَصْدِقَاءُ السَّوْءِ !
لِيَهْنَأُ كُلُّ مَنْ يَحْتَرُّ زَيْفَ الْعَالَمِ الْمَوْبُوءِ

ليهنأ قاتلٌ وَغَدٌ .. يشيّعُ جثةَ المقتول
ليهنأ توأمُ العنقاء .. وابنُ الغول
فإن طريقنا الممتدُ
إلى أروع ما في الغدُ
يجوب مفاوز الميراث من مولدنا الماضي
ويصعد .. عبر أنقاضِ
يقبّل كل نصب المجد بين مقابر الأجداد
ويتركها .. بلا ميعاد !
فعُمر الليل .. راح هباء
وأغفت في رفوف الكتبِ .. كل وثائق الأنباء
وعمر الشمس .. أشرعةً بلا ميناء
ومهرٌ هنيئةٌ منه .. جميعُ قصائد الشعراء
فماذا يطلب المشلولُ ، والمجذوبُ ، والأعمى ؟
وماذا يطلب السرطان والجدرىُّ والحمّى ؟ ..

* * *

قصائدنا ..

'مَوْقَعَةٌ' على الفولاذِ والأخشابِ والصخرِ .

وأمتنا ..

تَحُثُّ الزحف ..

ما زالت تَحُثُّ الزحف .. للفجر !

فإن كنا .. رماد النار !

وإن كنا ..

دماً حَنَى بنوداً ظلمت أحرار !

وإن رَصَفَتْ جماجمنا

طريقَ النصرِ للشوار

لِيَهْنَأُ أصدقاءُ السوء !

لِيَهْنَأُ .. كل من يَحْتَرُّ عارَ العالمِ الموبوء

فإن طريقنا يمتد

على الألغامِ والاشلاءِ والأنقاضِ والصبار

يظل طريقنا يمتد ..

إلى أروع في الغد !!

الوحدة الكبرى

كفى ! لن نقبل العذر !

إذا لم تُمطر الأحران

إلى أن تُخصب الكثبان

ويؤتي التمرَ موفورا ..

نخيل الوحدة الكبرى !

كفى لن نقبل العذر !

إذا لم تغدُ غاباتٍ مداخلنا

وإن لم تغدُ ميناءً شواطئنا

وإن لم تغدُ جناتٍ مرابعنا

يُعبد في مباحجها

أهالي الوحدة الكبرى !

كفى لن نقبل العذرا !

فقد طالت أمانينا

ولم تهدأ أغانينا

وضحيننا الملائينا

قرايينا ..

فدىّ للوحدة الكبرى !

كفى .. لن نقبل العذرا !

وملء مدارج التاريخ

أفواج من الشهداء

وملء مدارج التاريخ

خيل خانها الفرسان

وفرسان بلا خيل

ورايات بلا شجعان

وملء مدارج التاريخ

ما أوصى به الأموات للأحياء !

فإنا نسلم الشعلة

وميثاق السنى العائد

لكفّ الرائد .. الرائد

ولسنا نطفئ الغلة

بغير الوحدة الكبرى
وكوثر عدّنها الخالد
فمدّوا الكف للكفّ
وضموا الصف للصفّ
وشدّوا ، أيها الأحباب
شدّوا الساق والساعد !
لنبي بيتنا المنشود ..
بيت الوحدة الكبرى !!

معتصاه !

أُتسمعنا .. نهزّ الكون ، من أقصاه ؟
أُتسمعنا .. إلى أقصاه !
نبوح بكل ما نلقاه ،
نبوح ، زوابعاً حيناً ، وحيناً ، آه !
أُتسمعنا نحاورهم :

– أيبقى الله في منفاه ؟!
ونصرخ من قرار الليل
معتصماه ! معتصماه !
أتبصر فأسنا المكدود ؟
يشج مغالق الأسداف ، عن إشراقنا الموعود ؟
وينقش في صخور الحزن
لافتةً من النارِ
تشير .. وراء سور الليل ، والحرمانِ ، والعارِ !
الى فردوسنا المفقود ؟!
فوحّدْ خطونا في الدرب !
وشدّ القلب نحو القلب !
وعاهدنا على الصبرِ
وساندنا .. الى النصرِ
أو القبرِ !!
فقد طالت سنونُ الجوع والفقر !

وطالت لهفة الصحراء ..
للأنهار .. والأشجار .. والآلات .. والأطفال
وطالت صرخة الأجيال للأجيال !
معتصماه ! معتصماه ! معتصماه !!

يفجيني ايفتشنكو

رسالة قد تصل الى الشاعر السوفياتي

« في حديث جرى بين ايفتشنكو
والأديبة العربية عائدة مطرجي ادريس،
ونشرته مجلة « الآداب » البيروتية ، قال
ايفتشنكو انه لا يعرف الحقيقة عن
القضية الفلسطينية ومأساة اللاجئين » .

— الشاعر —

بالمقالات الطويلة

والصور

والبراويز الموشاة وإتقان الخبر

عرفتني بك يا المنشد في أرض البطولة

صحف الغرب الصقيله

والجميله ..

عرفتني بك .. ماذا ؟

عرفتني بك ، مسخاً ملأ أعباء السفر

في المخاضات النبيله

وعلى أجفانه ران الضجر

فمضى يبحث في كهف الحضارات الهزيله

عن 'لغات خدر

عرفتني بك .. ماذا ؟

عرفتني بك ، خائن !

'يضم الحقد - لموسكو وبنيتها - والضغائن !

مكذا أقبلَ من شاطئنا الغربيّ صوتك
فاحتقرتك !

* * *

والتقينا بعد حين ،
أنا ، والغرب ، وأشعارك ،
فإنجابتْ ظنون ،

وعرفتُك

واحترمتُك

يا شقيقي في الجراحات من الماضي الحزين
وشقيقي في كفاح اليوم
والمستقبل الخصب ، بما فوق الظنون !
يا شقيقاً ما رأيتك ..
ألف عفوي ..
أحسنَ الغرب طويلاً

لعبة الضحك على هذي الذقون !

غير أنا اليوم ، ناس آخرون ،
لعبة الغرب اكتشفناها ،

وسرنا

وقطعنا في سنين

ما فقدناه على مرّ قرون !

والتقينا ذات ليله

أنا ، والغرب ، وأشعارك ،

فانجابت ظنوني

ثم عدنا - بعد أن مرت شهور -

والتقينا في مجله

وأتاني صوتك الأخضر من خلف السطور :

« أنا لا أعرف شيئاً ! .. حدّثوني ! »

* * *

حسناً يا صاحبي ، أصغر إليّ
واعذر الجرح إذا شبّ لظى في شفتي
نحن من أرضٍ - يُقال
إنها مهد النبوءات - يُقال
بسطت نوراً وعرفاناً على الدنيا - يُقال
ولنا كانت سهولٌ وجبال
وبيوتٌ ودوال
ولنا بيارة - كانت - وصدّرتنا إليكم برتقال
واستفقتنا ذات يوم
فإذا .. نحن غدونا الصادرات !
وإذا نحن على كل مدى منتشرون
في ضفاف النيل والاردن تلقانا
وفي لبنان تلقانا
وفي شطّ الفرات
نحن .. في آسيا ،

وافريقيا ،
وأوربا ،
وأمریکا ،
واستراليا ،
على كل مدى منتشرون ،
وإذا - من قهر الله الحزين -
جاءكم صوتٌ .. فقولوا : « لاجئون » !!
يا صديقي ،
أنا لم أكمل حديثي يا صديقي
أنا لم أكمل ، فمأساتي طويلة
وحريقي .
يغضب الريح ، إذا صاح :
« كفى .. رفقاَ بها ، أرض النبوات الجميلة
يا صديقي
أيها المنشد في أرض البطولة

« وأنا أبدو يهودياً لنفسي (١) »

« وأنا داريفس »

« والمشتوم »

« والمبصوق في وجهي ، »

« أنا المكروه ، والمطعون في أعماق حسّي »

ظلُّ « بابي يار » ندعوه لدينا .. دير ياسين

ظلُّ بابي يار ندعوه لدينا .. كفر قاسم

ونسمة ظل بابي يار أحياناً .. سموع

ولدينا - مثلكم -

حزنٌ ، وغيظٌ ، ودموع !

(١) القطعة الموضوعة بين الأقواس مترجمة عن قصيدة « بابي يار » لإيفتوشنكو ، القصيدة التي يعبر فيها عن عدائهِ الاسامية وتضامنه مع الشعب اليهودي . وبابي يار واد في الاتحاد السوفييتي ذبح فيه زبانية هتلر آلافاً من اليهود .

- الشاعر -

ولدينا عزةٌ تأبى ،
وماضٍ لا نُذِكُهُ !
ولدينا غضبٌ ،
أكبرُ من شعري أقله

ولدينا يا صديقي
أملٌ يزهرُ - رغم الشوك - في كل طريقٍ
أملٌ ، زنبقةٌ من دمٍّ أهلي ورفاقي
من ضحايا عيلبون
وضحايا ميسلون
وضحايا « الجسر » من ماضي العراق
أملٌ ، زنبقةٌ من دمٍّ أهلي ورفاقي
من ضحايا الأطلس الدامي ، وحيّ القصبه
وضحايا بور سعيد

وضحايا عدنٍ ملتهبه ،
وقفت ماردةً ، منتصبه ،
وضحايا يمنٍ .. صار سعيد

ولدينا يا صديقي

ورفيقي

ببرقٌ حَنَاءُ قتلانا بألوانِ الشروقِ !

* * *

يا كنار الحب في أرض الشمال

ظلُّ بابي يار يكبرُ ..

والدم المغدور ، من منعطف المجهول يقطر

فتعال

يا كنارَ الحب في أرض الشمال ،

يحد الشعرُ لدينا .. ما يُقال ..

سقوط الأقنعة

لسقوط الأقنعة

قلوب!

وطني يا قرطاً يتأرجح
من أذن الكرة الأرضية
يا امرأة تفتح
فخذها للريح الغربية
يا مجداف القارب
يا الولد الغائب
هل تنهض يوماً ما فيّا ؟
هل تصبح وطناً عادياً ؟

ينبغي

وجه حرّيتي نطفة^١ في السجون
قوس نصر النهار
ثغرة في جدار
والمقيمون في منزلي .. اللاجئون
بعد حين
ساعة أو قرون
نأكل العشب عامين ممّا تربّي السطوح

ونسوّي لنا بيرقاً
من ضماد الجروح
كل صعب ، يهون
ولذا ينبغي ، ينبغي أن أكون !

المؤمننة

أعدموها قبل عشرين سنة
أنجبت أثناءها تسعة أطفال

— وبعد ؟

— عاقراً صارت ،

فصارت مؤمنة

وأحبّتي كثيراً ..

ديومة

كائناً في العيون الخفيّة
كائناً في بذار الأكف البعيدة
كائناً في نخاع الجذوع المريدة
كائناً في ركام القرى
في الصدى
في بروج الحمام الشقيّة
كائناً في أغاني الشفاه الغريقة

كائنًا في بقايا سياج الحديقة
كائنًا في هشيم السطوح
في رماد الحريقه
في غبار الخطى ، في وصايا الجروح
أكمل اليوم .. لا أبدأ !

العائد

عاد من كلّ العواصم
عاد محمولاً على الأكتافِ
من كلّ العواصم
وجهه المجدول من طمي بلادي
لم يزل يرشح ماءً وبراعم
عاد في الفجر .. وعادت معه كل المواسم
وعلى جبهته جرح قديم

وعلى عينيه ضوءٌ ، وصراط مستقيم
عاد .. فالباب يغني ، والدوالي والمهائم :
سيدي أجمل قادم !

لسقوط الأقنعة

سقطت: جميع الأقنعة
سقطت .. فإمّا رايتي تبقى ،
وكأسي المترعه
أو جثتي والزوبعه
سقطت جميع الأقنعة
سقطت: قشور الماس عن عينيك
يا رجلاً يصول بلا رجوله

يا سائقاً للموت أحلام القبيله
سقطت تماثيل الرخام
سقطت دموعك يا تماسيح التواريخ الطويله
سقطت ..

وأبراج الصقور الخدعت عشرين عام :
« أنا يا ضمير الأرض أبراج الحمام »
سقطت أغانيك الحزينة
والأساطير الذليله

يا حالماً بالأرض خادمة مطيعه
تعطيك من أختامها ما شئت
تكريساً لشهوتك الوضيعه
سقطت ممزقة على درب الرياح الأربعة
سقطت .. جميع .. الأقنعه !
فلأيّ ربّ بعد هذا اليوم تلجأ ؟
أيّ ربّ ،

سيبارك النابالم ، والنّصل الممزّق لحم شعبي ؟
منذا يبيعك صكّ غفرانٍ
ونابك في ذراعي
يا من تخاف من الشعاعِ
يا من يعزّ عليك نبض الخصب ،
في أرض الجياعِ
يا كلب صيد الكرش والغليون
يا سمسار ناطحة السحابِ
يا حارس النفط المدلّل
بين أحضان الذئبِ ؟ !

* * *

جعلوا شرايني أنابياً
لبترول الغزاة القادمين من الضبابِ
جعلوا شرايني أفاعي
جعلوا شرايني حبلاً

كبتلتُ شعبي الجريح إلى النخاع
وحفرتُ من ملكوت بئر النفط
دربي للشعاع

يا من تخافُ من الشعاع
ونهشتُ بالأسنان بالأسنان
جدران الظلام

وهتفتُ بالجيل الممزق عبر بيداء الضياع :
باسم الحياة إلى الأمام
إلى الأمام إلى الأمام .
ويجيء نصلك في الظلام
وأشدّ خاصرتي ، وتبقى جبهتي ،
فوق الرغام

وتظلّ تصرخُ :

« يا ضمير الناس ! من يحمي من العرب الرعاع
بيت الحزانى العائدين من الضياع ؟ »

وتشدّ نابك في ذراعي
وأنا أشيد سدّيّ العالي .. وأحلم
بالمدارس والمصانع والمراعي
يا من تخاف من المدارس والمصانع والمراعي
من حفنة القمح المبلّتل بالدموع وبالدماء
للكادحين من الصباح إلى المساء
للتأثرين من الجوع !

* * *

سقطت : جميع الأقنعه
سقطت : .. فإما رايتي تبقى ،
وكأسي المترعه
أو جثتي والزوبعه
وروايتي يا مجلس الأمن الموقر
أصبحت عشرين فصلاً
يا مجلس الأمن الموقر

أصبحت عشرين ليلاً
عشرين زهرة برتقال
ذبلتْ على دوّار قرينتنا المهينه
عشرين زهرة برتقال
جابت، طوال الليل أرصفة المدينه
عشرين قافلة حزينه
خرجتْ مطأطئة الجباه
للشرق - أذكر - للجنوب وللشمال
خرجتْ تفتّش عن إله
عشرين زهرة برتقال
ذُبحتْ هناك .. بلا قتال

وأنا ألوبُ ألوبُ في حمى عذابي
متمزّق القدمين .. من بابٍ لبابٍ
وجهي احتقان محاربٍ

أنسوه تاريخ الحرابِ
ووجوه أطفالي صحنون فارغه

* * *

ناديت من عشرين عام
يا مجلس الأمن الموقر - آه -
من عشرين عام
واليوم ، عبر صواعق متربصات بالسلام-
صوتي يحيئك بالبريد
من غابة الدم والحرائق والمرارة والخيام
صوتي يحيئك زهرة حمراء
في العام الجديد :
من يأت بيتي قاتلاً
يرتد عن بيتي قتيلاً !

* * *

يا مجلس الأمن القديم
صوتي يحيئك زهرة حمراء ،
من حقل الجريمة
فإلى اللقاء .. إلى اللقاء ..
يا مجلس الأمن القديم
أراك .. في القدس القديمه !

كلمة السر

— للخبز رائحةُ الدمِ
* قلبي وديع مثل نسمة
وجهي نقيّ مثل غيمه
قرّبتُ أغلى ما لديّ ،
إليك يا جدّي الجميل !

— للخبز رائحةُ الدمِ
* غنمي تظللُ نظيفةً

شفتي تظلّ شريفةً
ويداي ، باسمك تكدحان ،
من الشروق الى الأصيل ..

— للحبر رائحةُ الدمِ—
* نسَّقتُ من وعْرِ حَدائق
ونحتُ من صخرِ مطارق
وتلوتُ ما عندي من الصلوات ،
في الليل الطويل

— للحبر رائحةُ الدمِ—
* كرمي الفسيح ، بدون سور
أبواب بيتي ،
لا تخبّ طارقاً في الزمهرير
زادي لكلّ فمٍ يسير

— للحبر رائحةُ الدمِ—

* قدموا من القرميد والفولاذ والدم والضباب

قدموا على تابوت تاريخي ،

وأجنحة الغراب

قدموا ، ولم يُجد الرقى

يا جدّي الأعمى ، ولم يُجد الكتاب

فارقد بنيك بموعظه

— للحبر رائحة الدم !

* قاسمتهم حزني وأرغفتي

وسقفي والثياب

لكنني أشطّر ابني اثنين

يا جدّي الممزّق بالحراب

فارقد بنيك بموعظه

— للحبر .. رائحة الدم

* لكنّ قلبي طيّبٌ

ويدي معودةً على المحراث يا جدّي
وسيفي في القراب
من ألف عام في القراب
فارقد بنيك بموعظه

— للحبر يا ولدي الحزين
للحبر .. هلاّ تسمعون ؟
للحبر .. رائحة .. الدم !

لم أزل

مدُّني محلولة الشَّعرِ
وراياتي غريبه
غير أنِّي يا ذراريّ الحبيبهِ
لم أزل أدفع في بنك الخصوبهِ
كل دَين العالم الماضي ،
وأقساط الضريبهِ !

لم يُضَيِّعْني صغيرا
ولذا ،
أحملُ من أرضٍ لأرضٍ
دمه ، عبثي وإرثي
منذ أصبحتُ كبيرا !

الشفة المقصودة

كان في وُدِّيَ أن أسمعكم
قصةً عن عندليبٍ ميّت
كان في وُدِّيَ أن أسمعكم
قصةً ..

لو لم يقصّوا شفتي !

مقدم؟

حين تميلُ الشمسُ
مكسورة الظَّهرِ
أقول : كنّا أمسُ
في أوّل الدهرِ

* * *

حين تميلُ الشمسُ
يا أمّ أولادي

أقول : كنا أمس
في أسفل الوادي

* * *

أُمتي على الدربِ
محولة الشَّعرِ
تقول : يا ربّي
متى تميل الشمسُ
مكسورة الظهرِ ؟

حلول

أُطْلِعُ في الأمطار
أُطْلِعُ في البرق الأزرق
في النسمة ، في الإعصار
أُطْلِعُ من جرحٍ فتحتهُ قذيفه
في صدر جدار
أُطْلِعُ من عطش الآبار
أُطْلِعُ من قنطرةٍ صامدةٍ
في وجه الريح

من نصبة لوزٍ صامدةٍ
في وجه النار
أُطلِعُ من توقيع الحاكم في ذيل التصريح
من ظلَّ عصيَّ الشرطة أُطلِعُ
من محرمةٍ لم تعرف غير الأدمع
من عَشب الأرض المسروقه
من حقد الشفة المحروقه
من زحف مظاهرةٍ عفوية
من قذف زجاجٍ وحجاره
في وجه الريح الوحشية
أُطلِعُ من غيظ رفيق
أعرفه وقت الضيق

* * *

من لملك .. أُطلِعُ
من رعبك .. أُطلِعُ
فبأيَّ إله بعد اليوم تلوذ ؟

لسمعتهم

قالوا ،

سمعتهم .. وهم يتقلبون

من الحريق الى الحريق :

لا بدّ من يافا .. وإن طال الطريق !

الجواب

جعلوا جرحي دواةً
ولذا ،
فأنا أكتب شعري بشظيّه !

اذا لم

كل الذي يُقال ،

لغو ،

اذا لم يصنع الرجال !

أبدية

تتبدّل الأوراق من آن لآن
لكنّ جذع السنديان ..

خبز

القصّة الميراث
والأغنية القديمه
خبزٌ على مائدةِ الديمومه
فلتدخل الأدمغة الخواء
ولتدخل الحناجر السقيمه
في ساعة الوضوء ،
حمّاماتك الدميّه

يا قلعة البكاء
يا مدينة الجريمه !

وطن العجائب السبعين

الحزن ياسمين
في وطن العجائب السبعين
والفقر موسيقى ،
وقتل الله في كمين
خبز ،
واستاذ اللغات الجهد العلامة
والفقه والحكمة ،

في تكيّة السلامه
جحش جحا ،
والحزن ياسمين
في وطن العجائب السبعين !

ركض في الساعات

يوم 'ولدنا' ولد الرفض'
فاستبشري أيتها الأرض'
عيوننا مفتوحة في الدجى
ضلّ على شطآنها الغمض'
ويعبر التاريخ .. أحزانه
ركض' ، وفي ساحاتنا ركض'
نقول للمرهق في ليلنا

لا يصمدُ الليلُ .. اذا ومضُ !
نحن هنا .. نحن هنا .. فاهدأي
واستبشري أيتها الأرض !

قصائد مهربية

(في ميناء حيفا ، صادرت السلطات كل
ما أحضره الشاعر الآتي من مهرجان صوفيا ،
من مطبوعات ومخطوطات وصور ..
ولكنها لم تستطع مصادرة وشم الذكرى
وهدير الهجس !) .

١ - فداخ ١٩٤٨

- عندما ودعتهم ، قالوا : « غبي أو فقير !
يرفض الرحلة للأرض المضيئة
ريثما تغسل آثار الخطيئة »
كان هذا ، أمس ، من عشرين عام
كان هذا أمس ،
واليوم يقولون لأبراج الحمام :
« عجباً ! نحن تركناه صغير

كيف صار اليوم نسرا ،
يتحدى القمم السود وأنواء المصير ؟
- إسألوا حيي الذي رببته عشرين عام
أيها الناس !
الذي رببته من أجلكم عشرين عام
إسألوا حيي لكم
.. والحزن .. والسجن الكبير !

٢ - فلسطينية ، في صوفيا

تعرفين جميع الفصول
تعرفين الحديث الطويل
عن غد ضائع في تواريننا المرعبه
تعرفين الذي أشتهي أن أقول
فارحميني !
ارحميني ..
ارحمي قامتي المتعبه !

لهجتي المتعبه
رايتي المتعبه
وتعالى .. نعش أو نمت ،
ساعة في العناق
طال .. طال الفراق
وأنا عائد بعد حين
للبلاد التي حزنها ياسمين
عائد .. للوثاق !

٣ - الجواب

قلت لي : « هل ترى تعيش
إن أنا شئت ، في الألم ؟ »
فإذا بي ، بلا جيوش
أقهر الريح والحمم !

قلت لي : « هل ترى تموت
ان أنا شئت ، في الألم ؟ »
استعارت فمي البيوت

وأجابت معي : « نعم ! »

لست أختار ، فالهوى
سيدي . شئت أم أبيت
في دمي غاص ، وارتوى
وبأحزانه ارتويت !

٤ - وداع في صوفيا

لا تقولي : الوداع !
فغداً نلتقي
والذي قال لي قبل عشرين عام :
« المآسي شراع ! »

ولذا ، لم أبع زورقي
ولذا .. لا تقولي الوداع
فغداً نلتقي !

هـ - حدث في الخامس من حزيران

يذكر القاريء ،
أو لا يذكر القاريء ،
ما كنا روينا مرارا
في الدواوين القديمه

يذكر القاريء
أو لا يذكر القاريء ،
لكننا أعدناه مرارا
في عبارات سليمه :

ضربة البرق التي تنقض في عرض الطريق
تغمر العابر بالضوء ،
ولو كان الحريق !

.....

يذكر القارئ ،
أو لا يذكر القارئ ،
لكني ، لكي يفهم كل الناس ما قلت ،
أعيد :

نحن ، في الخامس ،
من شهر حزيران ،
ولدنا من جديد !

٦ - يا قيصر الروم

يا قيصر الروم ! قالوا : « الجار للجار »
وأنت دارٍ بما حملتني .. دارٍ
دمي يسيل ، ووجهي ضائع ، ويدي
مشلولة ، وفي سدّوه بالقارِ
وأنت دارٍ بما حملتني .. دارٍ
فاربط كلابك ، خذ عني جراحة
يطلون بالموت أبوابي وأشجاري

ماذا تريد ؟ وهذي جزيتي .. ذهب
من بيد نجد الى أعتابكم جار
يا قيصر الروم ! قالوا : « الجار للجار »
وأنت لي .. حطب التاريخ في ناري !

٧ - طائر الرعد

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوّه في غبار مناهج الدرس

ويكون أن يأتي
بعد انتحار الريح في صوتي
شيء .. روائعه بلا حدّ
شيء يسمى في الأغاني :

طائر الرعد !

لا بدَّ أن يأتي

فلقد بلغناها ،

بلغنا قمة الموت !!

قتلي محض باطل

طمثنوا الغدر المبيّت°
ان صوتي ليس يكبت°
وعلى موطيء نعلي ،
كل صخرٍ يتفتّت°

* * *

طمثنوا النار الغبيّه
إن ناري أبديّه

وعلى حُضن رمادي
تولد الشمس الوفيه !

* * *

طمئنوا هوج الرياح
إنها بعض سلاحي
رغمها ،
- تأتي لحقل ضربته -
باللقاح !

* * *

طمئنوا كل مطاويل
ان قتلي - حض باطل
فأنا باق ..
الى ما شئت ..
أحيا .. وأقاتل !

قسمات

عنيدٌ أنا .. كالصخور .

إذا حاولوا عصرها

وقاسِ أنا كالنُسر

إذا حاولوا قهرها

وصلبٌ أنا .. كالجُسر

إذا أثقلوا ظهرها

و حين أثور

تعيد البراكين لي سرّها!

* * *

ولكنني طيب .. كالسنابل

إذا نشدوا خيرها!

وسمح أنا .. كالحنائل

ولو أتعبوا زهرها

وعندي سخاء المعامل

وبين أصابع كفي

تسيل - إذا أسعفتني - جداول!

* * *

وأغفر ذنب العيون

إذا أيقظت سحرها

وراحت من الشرفات تغازل

وأغفر ذنب الجدائل

إذا استرسلت في المجون

وشاءت تقاتل !
وطفل أنا حين أَلعب ،
وعاصفة حين أغضب

.

وحين أثور ،
تعيد البراكين لي سرها !!

مكافأة

مكافأتي للرياح العنيدة -
غداة تهزّ الخشب
غداة تبلّ وريده
- قطوف العنب !
فقولوا لها أن تبادر
وأن تحمل الماء في دربها
وتبني البيادر

وأن تحفظ الخصب في صلبها

* * *

مكافأتي للرياح العنيده

مهبّ جديد

لدنيا جديده !

أنا ضمير المتكلم الذي التحم بالفعل الماضي الناقص

شهوة الكدح من الفجر ، وموآل الإياب
مسرب الوعر ، وآلاف الأكف السمر
ترتاح على مقبض باب
والمواعيد أنا ، زغرودة الميلاد
والدمع على تطريز منديل اغتراب
وأنا نعناعة التل

أنا النبع وغصن الورد
والمزrab والمدفأة المهجوره
السطح .. أنا سنبلة الحقل
الشجيرات .. ودوريّ القباب
كنت راعي الغنم الأسمر
والارغول ،

كنت النسمة المبتلة الاردان في البحر
الصواري . الرحلة الليلية .. الشط
انتظار الطفل في باب الغياب
وأنا قطعة أرض ،
سكة .. همة فلاح
رحيل في التراب

فإذا بيارة تطلع من لمحي
وأطفال وخبز وكتاب !

.

كنت أستاذ الرياضيات
والأعمى المغني والربابه
كنت فيما كنت .. خطاباً وصياداً
وصيحات وغابه
سائس الخيل .. النواطير .. الكروم
قارئ الأنهار ،
تلميذ الليالي والنجوم
سكنت تحت لحائي كل أصوات القبائل
سكنت تحت لحائي القرية التبنى
بريق العشب ،
رنات المذارى والمعاول
عبرت وجهي القديم
عربات البن والمسك
وآلاف القوافل
وضلوعي ،

قبل أن تصبح مصفاة لبتربول أرامكو
أنجبت جسراً ،
لأثينا ونيسابور والهند القديمه
عبرته الكتب الصفراء ،
في رحلتها المسكونة الدرب
بأشباح القرون المطفأة
وأضاءت فكري أحداق أوروبا البهيمه
فلماذا يغمرون الجسر بالنابالم
بالدمع .. بأشلائي .. بحقدي ؟
ولماذا يطردون الشمس عن ليل الجريمة ؟
.
منذ أدمى جبهتي عام وراء الأربعين
أيها العالم ، صارت رثي
كبر حداد حزين
واستحالت لغتي

جمرة .. سوطاً .. فدائياً .. كمين
أيها العالم ، هل تسمع ؟
صارت زنبقاتي ،
زنبقاتي - آه - أبواقاً تدوي
لاحتراقي في خيام اللاجئين
وأنا كنت مربيتها .. قروناً وقرون !

.

يسقط العام على العام
ووجهي في الغبار
يسقط العام على العام
ويمتد حوارني
لهجتي جامعة كالفرس
وفمي كالجرس
لم يهذه احتباس الصوت في القاعات ..
قاعات الوفود الكثر والياقات والوسكي

ولا استقبال أسياذ كبار
يحملون الكوكب الأرضي تحت الابط
من باب مطار لمطار
لهجتي كالفرس
وفمي كالجرس
ولذا تصنع من جلدي السجاجيد
الستارات الماسح
في مقر الأمم المتحدة
ولذا تنهش أطفالى الجوارح
ولذا يكتب اعدامى على كل اللوائح
.

حسناً .. للمرة العشرين : شكرا !
ذات يوم ،

في مقر الأمم المتحدة
يضع العالم اكليلاً من الشوك

على ذكرى صقور ومذابح
ذات يوم ،
بيدي أحسن تغيير الملامح !

انتظري

عنقي على السكين يا وطني
ولكني أقول لك : انتظري !
ويداي خلف الظهر يا وطني
مقيّدتان ،

ولكني أغني
لك .. آه يا جرحي .. أغني !
« أنا لم أخنك .. فلا تخني

أنا لم أبعدك .. فلا تبغني !
وطن المزامير التعيسة والوجوه الضائعة
وطن الجذور الحاقده
وطن العواصف والصواعق والليالي الباردة
وطن البساتين السبية والأكف الضارعه
وطن القرى الأطلال والدم والبكاء
أشد أزرك ،
أم تراك تشد يا مغدور أزري ؟
وطن الأكاذيب القديمة والروى والأنبياء
أأكون سرك ،
أم تراك تكون يا مغدور سري ؟
وطن التمزق في المنافي والمذابح والملاجيء
وطن الحقائق والمطارات الغربية والموانيء
وطن الغضب
وطن اللهب

يا من يبوس يديك عبر دموعهم مليون لاجيء !
وطن المذلة والأسى والكبرياء
آمنت بالحب الذي يعطي ،
ويفنى في العطاء ..
ولذا ، أقول لك : انتظري !
عنقي على السكين ، لكني أقول لك :
انتظري !!

بطاقة تذكير

أنت لا تجهل عنواني وتاريخي واسمي
يا ابن عمي

فلماذا تسكب السمّ على بركة سمي ؟
أنت لا تجهل أصفادي وأصفادك يا هذا !
ولا تجهل سجانك ، يا هذا ، وسجني !
فلماذا تسكب الزيت على جمره حزني ؟

يا ابن عمي
أنا لا أشعر بالنقص .. ولكني أقول

لا لكم .. لكن أقول
للقرى الأطلال ، للوادي المدمى ، للسهول
ليس حسبي
انني أعلنت حيي
لبلادي ولشعبي
وأنا أعلم أن الموت بالمرصاد ،
في عطفة درب !
ليس حسبي
انني أعلنت حيي
وأنا أعلم أني
ما دفعت الثمن الكافي لقبر في الوطن !
ليس حسبي أضعف الإيمان
لكنني أغني ..
نحن ما زلنا .. وما زال الزمن !

الموت في الوعي الكامل

حين تغوص السكة الغريبه
في لحمي المسي يا ترابي
تسيل من لحمي أنا الدماء
وتغرق الأشياء في الضباب
ويولد البكاء
في لغة الأسرار والعجيبه !

عاد

عاد من رحلته الفصول
بالأناشيد والوعود
ويشيعون انه كان أيامها يقول :
في شقوق الدجى أعود !
.
.
.
.
.
ويشيعون انهم ،
سمعوا في الدجى عويل

وعواء من الحدود :
مَن ترى يعرف القتل ؟

آخر ما سمعته منه

لا تقل : « أخطأت فاغفر خطأي ! »
لا تتكلم !

لا تقل .. للمرة العشرين ،
أبصرت إلهاً يتحطم

آن أن نصنع شيئاً ما

بلا لفظ .. أتفهم ؟

آن أن نتقن أسرار جهنم

* * *

ومضى .. لا تسألوا أين ؟

فإني لست أعلم !

آه .. لو يعرف اني بعده

اتقنت أسرار جهنم !

قصيدة

اسندوني .. اذا قتلت .. بصخره
وارفعوا لي وجهي إزاء الرياح
واتركوني أفنى لآخر ذره
في غيوم الدجى وعشب الصباح !

* * *

وإذا متّ في الفراش ، ادفنوني

عاريًا .. فوق قمة من بلادي
وليرحني النسيان .. أو فاذكروني
إن ذكرتم .. أجمل الأعياد !

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج

نشرت هذه القصيدة « الملحمة » في
جزئين في جريدة الاتحاد التي تصدر في
مدينة حيفا من الأرض المحتلة ١٩٧٠ .

- ١ -

مُتلثماً بالريح ،
ملتفأً بخارطتي الرحيبه !
ألقي التحية ،
كاظماً جرحي وحقد الغنفرينه
وأقول في ثقة لكل الأصدقاء
وأقول في ثقة لوالدتي الحزينه
خلو المحارم والبكاء
لطقوس عودتي القريبه
مُتلثماً بالريح ،
ملتفأً بخارطتي الرحيبه !

- ٢ -

صمتي .. وبیداء تمید ، ترق ، تحملني ،

تموج

صمتي .. وصاعقه تزلزلي

إلى دهر العباءات الفصيحة والقباب

- أين البيارق والسروج ؟

جهزت عمارتنا ،

وبحر الروم يضمّر شرّه ،

وتهر آلاف الكلاب .

.

صمتي وبیداء تموج

في حفلة الكوكتيل .. والقبطان يغمزها

فتأتي

– هل تأذنين برقصة ؟

هل تشربين ؟

من أين أذت ؟

ويصيح تركي بدين :

– كل الذين عرفتهم ماتوا ،

وآخر أصدقائي

ضبطوه مختلساً نقود البنك ،

كان مقامراً وغداً يموت على النساء !

ومهاجر ضاقت به البلجيكي

كالاسفنج يشرب ، وهو يجأر بالغناء :

« ناء . أنا يا بنت ناء »

والجاز يصخب ، آه . يسقط ، آه ،

يحملني ، يهيج

صمتي وبیداء تموج
ويلح بحار عجوز
- من أين أنت ؟ وما لديك ؟
- أنا من بلاد الله ، أبحث عنه في بلدٍ

غريب

- وإذا عثرت عليه ؟
- أسرد قصتي
- أصفي إليك !
- رافقتها طفلاً ، لمدرسة السموم

الطائفه

قبَّلْتُهَا سرّاً ،
ونمنا خلف سور العائليه
عاديّة كانت ،
و كنت زميلها في الكارثة
يوم اكتشفت سقوطها في ملجأ الأيتام ،

فجأه !

فعمدت - قبل الأربعين - قراننا
وبدون حب جارف ..
في ملجأ الأيتام . فجأه !
يوم اكتشفت سقوطها البحري ،
والبري ،
والجوي .. فجأه !
وسقطت مطعوناً ،
ونجم سينائي يداعب لمحا
ويبيع دفئه
في حفل إل. اس. دي. وصودا كاويه
والمخرجون يقهقهون ،
ويبسم الكومبارس في بله
فتسقط دمعتي جمرأ على شفتي
وذقني كعب نعل في التراب
.

مَن قال ، وجه مستعار يشتري شرفي
بمالٍ مستعار

مَن قال ، يسقط ألف باب
وتظل مائدة القمار

مَن قال ، في لمي تمد جذورها السوداء
مائدة القمار

مَن قال ، توضع زوجتي رهناً ،
وتأخذني الصحاري والبحار ؟
- وغداة ادركك الصباح ،
ماذا فعلت بما غنمت من المذلة

والجراح ؟

- زكيت أحزاني باغنية وزهرة .

برتقال

ووقفت في ريح الشمال
عذباً كحد السيف ، في ريح الشمال !

— ماذا تقول الأغنية !

— بعنا ثمار الصيف يا حي ،

بأوراق الخريف

بعنا ربيعك . بالخريف

بعنا شتاءك .. بالخريف

بعنا خريفك بالخريف .

بعنا الوصية بالزكية

بعنا أغاني الحاصدين ، بأم كلثوم العجيبه .

بعنا صفارك بالسعال .

والفقر والزهرى . في أحضان عاهرة

غريبه .

فلنبك يا حي دماً .

ولنبك ، آه ، كالنساء .

ملكاً مضاعاً

لم نصن حرماته مثل الرجال !.

- وسقطت ؟.

- انهض في المُحال !.

- ٣ -

قدمي تدق بلاط أوروبا .
ووجهي في رمالك يا جزيره .
ويداي في اشجارك العادت تنور يا

جزائر .

وفمي بلال في ما ذنك العتيقة يا يمن
ودمي يسح على جدارك يا كنانه .
ليطل سنبلة تهجي درسها .
لشيد حقل في عدن .
ويشق صلصال العراق
يشقه عن اقحوانه ..

قدمي تدق بلاط أوروبا
وزادي .. ما تبقي
مني ، اوزعه واشقى !.

ابواب اسطنبول تجهلني ،
وتجهلني المواخير الكثيبة والمآذن .
وتشيع عن وجهي الوجوه الغارقة .
في الشاي والحزن المداهن .
وتميل عن دربي الصبايا .
والمقاهي والمداخن .
وينخونني حمال امتعي .
ويشتم سائق التاكسي أبي
لم يعجب البقشيش حضرته ،
فمال عليّ ، بياع حزين :

– اليوم شرّف بيتنا الأسطول ،

شرّفنا الجنود الشقر

فالأسعار شيء آخر ،

ما سعر زوجتك الفقيدة ؟

ها . ها ها . ها . ما سعرها ،

أرغيف خبز .. أم قصيده ؟

وأجوس أرصفة الشوارع

باحثاً عن وجه صاحب

ارتاح في ظل المساجد ،

بين أقدام الأجانب

وأنام ، من تعبي أنا

على التمزق والحقائب ..

.

– هذا الفتى البدوي ،

يسأل عن صديق باسم ناظم

عيناه من بوسفورنا
ويداه جذعا سروتين !
ويقول أن صديقه يأتي المدينه كل عام
متفقداً شوق الفصول الى المواسم
لا علم لي ، وعصي شرطتنا تلوح في الظلام !
لا علم لي . يا أيها البدوي .
بالدم والعقيده
ما زال جلد الكبش بدلتى الوحيده !
.
.
انسان اسطنبول يجهلني ،
ويجهل زوجتي !

- ٥ -

هذا أنا .. فعمي صباحاً يا أئينا

ومعي اليك تحيه

من ابن رشد وابن سينا

لم يطلبوا كتباً ،

فقد سمعوا تفاصيل المصيبة

واستنكروا تعذيب جالينوس

في « يورا » الرهيبة ..

.

هذا أنا .. فعمي صباحاً ،

واغفري لي إن سألتك عن صديق

باسم ميكييس !
كسروا على كتفيّ ارغولي ،
فقلتُ أقوم أقصد صاحبي
فلعل نايًا عنده ، لم يكسروه على جبينه !
- من أنت ؟

من طول البكا عشت عيوني يا غريب
وتمزقت رثتي

وقصوا جبهتي رتبا
على أكتاف قواد المظليين والبوليس
أصحاب الفخامة واليخوت
وأنا معلقة على برج الكنيسة
آه . من شعري معلقة . أموت

من أنت ؟
أبنائي ذباب في شراك العنكبوت
حزن وأوزو يومهم

والعالم سرقاكي وحزن !

.

— لم تعرفيني يا أثينا !

لم تعرفيني . فالوداع . الى غدٍ
يا أنتجونا !!

سقراط هذا العصر ، يرفض كأسه

ويموت باسم آخر

في ساحة الاضراب ،

في المنفى ،

أو السجن الذي سيصير يوماً مدرسه !!

برلين تعرفني ،
وتذكرُ قامتي ودمي وصوتي
برلين تشهد انني
في ليل بوخنفالد ، كنت شريكها
في ليل نكبتها بموتي .
فلتُعطي يدها ،
أقبلها . وأمنحها جيني
وأقول يا أختي التي خبرت عذابي
باركيني !

.

برلين تعرفني ،
وتعرف زوجتي ،
وموم بيتي !

- ٧ -

ليلاً .. أحج اليك يا حيي القديم
ليلاً .. بلا باقات أزهار ،
بلا تحف ثمينه
يا جدتي ،
يا جدة العرب الحزينه !
في حلّة الأفرنج ، يا حيي القديم
أدلجت . لا كتبي مشرّعة على حد الأسنه
أدلجت . تشقل كاهلي المطعون محنه
والجرح رحماني الرحيم
يا زاد أجدادي وزادي ،

في الطريق الى النعيم ..
شلت دمشق يديّ ، لكنني شفيت
يوم استرحت على يدك
حبيبتى .. يا قرطبه !
فقات كنانة بؤبؤي

فرددت لي بصري معافى عاشقاً
يا قرطبه !
ضيّعت في بغداد صوتي . ثم كان ،
أنّا التقينا في شوارعك الرؤى
يا قرطبه !

سلطانة الحزن المعرّش ياسميناً
فوق أكتاف الزمان
كوني لنا .. يا قرطبه
كوني لهم .. يا قرطبه
لا بأس .. ما دامت جذورك

صحبةً في مهرجان !
- ردّ الشباب اليّ ،
أن أعطي مغني القافله
صوت القرون الحافله ،
زاداً على درب القرون الحافله ،
لكنني ، بدّلت يا ولدي
أناشيدي
وألواني
وإسم العائله !
- لا بأس ، ما دامت جذورك
صحبة في مهرجان !
- ما خطب' زوجتك الفقيده ؟
هل بدّلت صوتاً
وألواناً
وإسم العائله

— حيي لها ،

ولذا أصدّرُ للنساء الآخريات

لمحي وأشعاري وأرغفتي

وأعواد الثقاب ..

حيي لها !

ولذا ، تربّي قامتي ظفراً وناب

وتغيبُ في كل الجهات

وتعودُ من كل الجهات

ليكون ميلاد ،

وتطلعَ عشبة ،

وينشقَّ باب !!

رحلة السراذيب الموحشة

- ١ -

لم تمثّل الريح روضتها ، بغبار

طلّعي

غدرت بعاشقها الجميل

فالمحل غلته لهذا العام ،

والصبر الطويل ..

لم تمثّل الريح التي روضتها ، بغبار

طلّعي

وقشور اشجاري مشققة ككفي

والنسغ منذور لصيف

فلتبك زوجتي الحبيبه
إن زرتها في السجن ،
محنياً على أزهار شمع !

- ٢ -

لم تمثل الريح التي روضتها من ألف عام
فتكاثروا .. وتكاثروا ..
يا أمة الصليبان ، يا سكان مملكة الخيام
نعم الوكيل ، وكالة الغوث الكريمة ،
والمطابع
عسلاً تدر ،
على بريق الدفعة الأخرى من الأوطان ،
كرقات الأعاشه !

- ٣ -

لم تمثل الريح التي ..
شكراً لكم .. شكراً ،
على هذي الصناديق المليئة بالدواء
والحزن .. والسردين .. والظل والمقعد ..
والثياب

وأقول شكراً مرة أخرى
إذا جدتم ببعض الأغطيه
فالبرد فاكهة الشتاء ..
شكراً لكم .
باسم البساتين الخطايا

باسم حزن الأوديه
باسم الشوارع والمدارس والمخازن
باسم المعاول والمقابر والموانئ
ومراكب الصيد التي نسيت كلام الأغنية
شكراً لكم ،
شكراً لكم ،
من طحلب تمتد قامته
لتصعد من ظلام الأقبية !.

- ٤ -

نضد ملفات القرارات ..
القديمة والجديده
خذ قلب خفاش
وعيني بومة
وجناح قاذفة
وسعلة طفلة ،
ستموت في سل الرثه ،
وأكسر عليها بيضة العنقاء ،
وأقذفها لقعر البشر ..
تحترق الخيام

ويصير نسلك متعة للناظرين

وترفُّ أجنحة السلام

وتعود للبلد الأمين !

.

أمح العناوين القديمة والجديده

أمح الإذاعة والجريده

وأكتب على الجدران ، باجير ، الرواية

والقصيده

وأرسم على الجدران ،

خارطه

وعصفوراً

وزهره

واحلم قبيل النوم مره

ليعود الأرض السلام

وتعود في الناس المسرّّه !

.

إنس القرايين القديّه

إنس القرايين الجديده

واذكر ، قبيل الأكل ، مرات ثلاثاً في

النهار

كل التقارير المهيّنة من خطوط المعركة

والنوم في عز الحراسه

والسطو في عز الظهيره

والأخوة الجبناء ، سرّاً ،

والأراجيف الحقيره

واذكر صغاراً يخمّدون على نفايات الكناسه

واذكر وجوه النائمين على غبار الأرصفه

والساهرين على محطات القطار

والمائلين على منصات السياسه

واذكر سقوط أميرة الأزهار
في وضوح النهار ..
لتصير قربان الفصول القادمة ..
في الليل منشقاً بسيف ، صك من
نور وثار !

- ٥ -

في العالم السري ، تختلف الطقوس
عن عالم النابالم ، والأنباء عن قتلى
المعارك

في العالم السري تختلف الطقوس
عن عالم الدم والهبوط على القمر
قبل الهبوط على الحقيقة
في العالم السري تنغلق الحديقة
ليصير دمعي أول الشوط الطويل إلى
الثمر

وتنال راحتها الجميلة في اللغات

قبل الرجوع الى السفر
في حقل ألغام الجهات

.

من كل أطفال العواصم
والأقاليم البعيدة

زوج .. وكركرة رشيقه

من كل أزهار الحدائق والبراري والمياه

زوج .. وأجنحة سعيدة

تلهو بدون بطاقة رسمية

من سلطة الأمن المریده

وتترف صاعدة ، على شرفات أقواس

القزح

لتنام في شعر الإله

وتعود قبل الفجر ، حاملة زواويد الفرح

.

من كل نوع . آه . زوج
آه . يا نبض الحياه
في العالم السري .. آه !!

- ٦ -

حلت صنوبرة صفائرها ، وظللت الجنود
العائدين من الحدود

شمس الظهيرة في بنادقهم وأتربة الخنادق
- الجو خائق !

- أبصرته متحفزاً ،

أبصرت في كفيه موتي

جمدت يداي على حديد البندقية

لم يطلق النار .. اقتربنا .. ازداد

حجم السنديان

بادلته تبغاً بماء .

ماذا يقول الادعاء

في نص أنظمة الطوارئ والشؤون
العسكرية ؟

- لكنهم حمقى . برابرة . حفاه !

- الموت في بيتي ،

وبين يديك يا أمي الحبيبه

أحلى لدي من الحياه

في جرح أرصفة غريبه !

.

حلت صنوبره ضفائرها وظللات الجنود

المتين على الحدود

- في جيبه المثقوب عند القلب ، صورة

أسرته

- في جيبه قرط وفي آخر صورة لخطيبته

في أذنها اليسرى شقيق القرط ، منتظراً
شقيقه

— منديله . عنوانه . ورسالة من طفلة ،
مبتلة بالدم ، بين حروفها اشتعلت حريقه
— لم يبق غير ذراعه ،

وحذائه المعجون بالدم والتراب

— لم يبق منه غير ابزيم الحزام ..

ورقبته

ويصبح بياع رمادي ضئيل

مستبشراً بالخبز ، وهو يجد في رفع العقيره

ليبيع سم ملاحق الصحف الحقيه

(عدد خصوصي مثير

قتلى بلا عدد . وأسرار مثيره

أنباء معركة أخيره

من قلب خط النار ..)

– من قلب الجنون على الشفير !!

.

حلت ضفירתها على النعش المجلل بالسؤال :

من قال ، يحمل في حقيبته الصباح

صوتاً لساحات المدارس

فيعود محمولا على كتف المساء

ذكرى لساحات القتال

وبطاقة مطبوعة .. من قائد الأركان

تحمل للقتيل وسام فارس !

.

(في سالف الأزمان ،

كان الورد مرسال الحبيب

لحيبه .. ولكل زهرة

معنى .. تراك تحبني ؟

غيران !

يا حي اذكريني !

في حاضر الأزمان ،

صارت كلها .. كل الورود

صیحات حزن فوق تابوت ،

يفل فتى وفكره ..

.

(لا . لا تموتوا .

يا شیوخ مدینتی . لا . لا تموتوا .

فالورد لا يكفي لغير الميتين على الحدود .)

.

(يا موت ! كيف أتنتها ؟ .

يا موت ! كيف عرفتها ؟ .

يا موت ! .

هل أعطتك وصف طريقها هذي

البيوت ؟!) .

.

حلت ضفירתها عليه

وبكت .. وكان بكاءها

يأتي ويصعد غارقاً في الدم ، من كل الجهات

فالحزن تعرف سره وطريقه كل اللغات ..

- ٧ -

مستلقياً في النهر .
مغموراً بأحزان الطحالب .
أو مائلاً في غمرة البداء .
مدعوماً بأعمدة الرمال الغاضبه
أو واقفاً في الريح ،
مشحوناً بأجيال تحارب
اسكندرون يتم سمفونيته
اسكندرون يفك انسانيته

من برجك المرصود ، يا أرض الشمس
الغاربة !

.

باسم الهواء الطلق
والحب المغمس بالتراب
باسم ارتطام الفجر بالسكك التقيّة والمعاول
باسم الشواهد والسنابل
باسم الأغاني . الياسمين . الضحك في فيء
المنازل
وشقائق النعمان . والزيتون . والقصب
الملوّح في الضفاف

باسم الحنين الى الطفولة
باسم الحنين الى الشباب
باسم الجنّازة والزفاف
اسكندرون يريد زوجته ،
ويحلم بالسلام ...

أطفال رفح

- ١ -

للذي يحفر في جرح الملايين طريقه
للذي تسحق دباباته ورد الحديقه
للذي يكسر في الليل شبابيك المنازل
للذي يشعل بستاناً ، ومتحف

ويغني للحريقه !
للذي ينحلُّ في خطوته شعر الثواكل
ودوالٍ تتقصّف

للذي يصدّم في الميدان دوري الفرح
للذي تقصف طياراته حلم الطفوله
للذي يكسر أقواس قزح
يعلن الليلة أطفال الجذور المستحيله
يعلن الليلة أطفال رفح :

نحن لم ننسج غطاءً من جديله
نحن لم نبصق على وجه قتيله
بعد أن تنزع أسنان الذهب
فلماذا تأخذ الحلوى ،

وتعطينا القنابل ؟
ولماذا تحمل اليُتم لأطفال العرب ؟

ألف شكراً ،
بلغ الحزن بنا سن الرجولة
وعلينا أن نقاتل !

- ٢ -

كانت الشمس على سنبعة فاتح
جثة عارية ممتنه
تنزف الصمت على حقد المسابح
ووجوه حولها محتقنه
صاح محتل خرافي الملامح :
« لن تنوحوا ؟ .. »
حسناً .. حذر تجول ،
منذ سا .. »
وانشق عن صوت علاء الدين
ميلاد الحساسين الجوارح

— أنا ألقيتُ على سيارة الجيش الحجاره
أنا وزَّعتُ المناشير ،
وأعطيتُ الاشاره
أنا طرَّزتُ الشعار
ناقلًا كرسيَّ والفرشاه
من حيِّ .. لبيتٍ .. لجدار
أنا جمَّعتُ الصغار
وحلفنا .. باغتراب اللاجئين
أن نكافح ،
طالما تلمع في شارعنا ، سنجة فاتح !
.
.
.
.
.
لم يزد عمر علاء الدين ،
عن عشر سنين ..

- ٣ -

شجر الفتنة مكسور ،
وأبواب رفح
ختمت بالحزن
أو بالشمع
أو حظر التجول ..
وعليها كان أن تنقل خبزاً وضمادا
لجريح ، بعد نصف الليل عادا
وعليها كان أن تقطع شارع
رصدته أعين الأغراب
والريح ،

وفوهات المدافع ..

.

شجر الفتنة مكسور ،

وكالجرح انفتح

باب بيت في رفح

.

قفزة ... في حضن فنائه

قفزة ... واحتضنتها

في رصيف الرعب نخلة

حاذري ، في كل نقله !

قفزه ،

دوريّة ،

أنوار كشاف ،

وسطه !

— من تكونين ؟

— قفي !

خمس بنادق

جحظت من حولها ، خمس بنادق

.

وغُداة انعقدت باسم الغزاه المحكه

حضرُوا بالمجرمه

.

آمنه ،

طفلة في الثامنه !

باسم أمن الفاتحين
ألقوا القبض عليه من شهور
باسم أمن الفاتحين
لم يزل زوجك مجهول الإقامة
لم يزل زوجك .. ميتاً أو سجين
من شهور ، باسم أمن الفاتحين
فأعجني دمعاً وصلصالاً ،
إذا عزَّ الطحين
واطبخي حزنًا وصباراً وطين

باسم أمن الفاتحين !

.

هيه يا زوجة مجهول الإقامة

ما الذي تنتظرين ؟

صلوات العودِ للمنزل في باص السلامه

نفدت .. ماذا ترى تنتظرين ؟

نفدت .. من كل دين !

.

أوصت الجارة خيراً ،

بابن مجهول الإقامة

واشترت تذكرة حمراء ،

من سوق الغضب

واستعاضت عن قطار في محطات

السلامه

بقطارٍ ،

صاعدٍ عبر محطات اللهب !

.

ساعة مرّت ،

ومرت ساعة أخرى

وساعه ،

قبل أن ترجع ،

في حمالةٍ مصبوغةٍ بالدم ،

حناء الشجاعة !

.

قضي الأمر ،

فهل تملك أهلاً آخرين

في خيام اللاجئين

يا ابن مجهول الإقامة

وابن من ملّت محطات السلامه ؟

— قضي الأمر ؟

وكالوحش الجريح
حملت أطرافه هبة ريح
في يدٍ ، دميته - كان اشتراها
منذ أعوامٍ من القدس ، أبوه
وهو في الدرب الى الشام ،
وفي عمان لاقاه صديق تونسي
زار بيروت ،
وأَمْضَى عطلةً في القاهرة -
في يدٍ دميته - كان اشتراها مذ .. -
وفي الأخرى دواة - 'صنعت في مصر -
كالوحش الجريح
حملت أطرافه هبة ريح !
.....
وعلى منعطف الشارع ،
في أقصى المدينه

كان أطفال التواريخ الحزينه
يجمعون الكتب والأخشاب واليتم ،
البراويز ، وأوتاد الخيام
علها تصبح متراساً ،
يسد الدرب في وجه الظلام
علها تقلق أفواج الضغينه
ريثما يغسل عينيه السلام
من غبار الحقد والحرب الهجينه !
ومع الكتب ، مع الأخشاب واليتم
البراويز وأوتاد الخيام ،
أعطت المتراس صمتاً عصبياً .. دميته
واستعدت بدواة ، قبضته
.....
وغداة انغلقت أبواب أمن الفاتحين

كان في المعتقلين
ابن مجهول الإقامة

• • • • •

حاشيه :
عمره تسع سنين ..

فهرست

٦٦	انتيجوتا	٥	مقدمة
٦٩	بابل		أغاني الدروب
٧٦	أكثر من معركة	٣٤	جيل المأساة
٧٨	الساحر والبركان	٣٦	ما زال
٨٠	أخوه	٣٧	لأننا
٨٤	السلام	٣٨	في القرن العشرين
٨٩	روما	٤١	أمطار الدم
٩٠	كرومبيل	٤٧	أطفال ١٩٤٨
٩٢	من وراء القضبان	٥٠	غرباء
٩٥	رسالة من المعتقل	٥٢	القصيدة الناقصة
٩٩	يهوشع مات	٥٧	بوابة الدموع
١٠٢	الذئاب المحر	٥٩	صوت اللجنة الضائعة
١٠٤	توتم	٦٣	رسالة الى الله

١٣١	طفل يعقوب	١٠٧	باتريس لومومبا
١٣٣	اقطاع	١٠٩	في صف الأعداء
١٣٥	الانسان الرقم	١١٤	من أجل
١٣٧	مرثية أغنية قديمة	١١٦	الجنود
١٣٩	درب الحلوة	١١٩	عروس النيل
١٤١	يوم الأحد	١٢٢	الى صاحب ملايين
١٤٤	رماد	١٢٥	المطر والفلواذ
١٤٧	قربان	١٢٧	السرطان

دخان البراكين

٢١٩	أغنية مشوه حرب	١٥٣	ليلي العدنية
٢٢٤	مغني الرابة على سطح من الطين	١٧١	من مفكرة أيوب
٢٢٧	أنادي الموت	١٨٨	الذي قتل في المنفى كتب الى
٢٣٠	القديسات الخمس	١٩٢	مزامير
٢٣٤	التعاويد المضادة للطائرات		الطفل الذي ضحك لأمه
٢٤١	من يوميات جوني جيتار	٢٠٢	المقتولة
٢٤٨	أنا وأنت	٢٠٤	الموت يشتهي فتياً
٢٥٠	لا تطعميني	٢٠٦	زنابق لمزهرية فيروز
٢٥٢	أيها الحراس أراه حياً واقتلوني	٢١١	ثورة مغني الرابة

طلب انتساب للحزب

	٢٦٥	مقدمة
٢٨١	٢٧١	طلب انتساب للحزب
	٢٧٥	أفكار ازدهمت بدون ترتيب

ارم

٣١١	٢٩٩	ترجية
٣١٧	٣٠١	تبيين
٣٢٤	٣٠٣	ارم الفاضلة
٣٢٨	٣٠٥	البحث عن الجنة

في انتظار طائر الرعد

٣٦٨	٣٥٣	أصوات من مدن بعيدة
٣٧٠	٣٦٤	الرعب
٣٧٢	٣٦٦	البيت الأخير في القصيدة

٣٩١	نحلة الساحة	٣٧٣	الى القمة
٣٩٤	أعرف من أين	٣٧٤	القطار العائد من الصعيد
٣٩٧	أنا وأنت	٣٧٧	المجهول
٣٩٩	برلين تستعيد شعرها	٣٧٨	تجاوز
٤٠٥	تعالى للرسم معاً قوس قزح	٣٧٩	تناسخ
٤١٢	أعدكم بأن تروثوا جياداً نفائفة	٣٨٢	أبناء الحرب
٤٢٤	وقع خطي في دهليز الموت	٣٨٣	كلمة الصعود
٤٢٨	في ه حزينان	٣٨٥	شمس اريحا
٤٣١	دون جوان وكاهنة النار	٣٨٧	وليمة
٤٣٤	مساء واحد فقط	٣٨٩	بعدها
٤٣٨	في انتظار طائر الرعد	٣٩٠	نعرف القصة

دمي على كفي

٤٧٠	الجواد الجامح	٤٤٧	خطاب في سوق البطالة
٤٧٤	على قلعة الامبراطور	٤٥١	اشربوا
٤٧٨	أعلنها	٤٥٣	قيصنا البالي
٤٨١	صقر قريش	٤٥٩	ليد ظلت تقاوم
٤٨٣	الأرض من بعدي	٤٦٤	اليك هناك حيث تموت

٥٣٨	الميلاد	٤٨٧	لو
٥٤٢	مرثية بدر شاكر السياب	٤٩١	دفقة الأجيال
٥٤٤	على أكتاف أشعاري	٤٩٤	من المدينة
٥٤٨	حوارية العار	٤٩٧	لن
٥٥٦	حوارية مع رجل يكرهني	٤٩٩	هكذا
٥٥٩	وحيداً في ليلة رأس السنة	٥٠١	الى القارة المجهولة
٥٦٤	الحاصد الأول	٥٠٤	البيت الحزين
٥٦٧	يا قمرنا المغدور	٥٠٧	أختي صنعاء
٥٧٠	الاعلام		الى جميع الرجال الأنيقين في
٥٧٣	ازوريس الجديد	٥١٠	هيئة الأمم المتحدة
٥٧٥	نناديك	٥١٣	من هنا تبعثر النسور
٥٧٧	سينراما	٥٢٢	وطن
٥٨٠	لمن أعطيك	٥٢٦	الى حارس فنار عكا
٥٨٦	في ذكرى المعتصم	٥٢٨	حتى الموت
٦٠٨	يفجيني أفتشكنكو	٥٣٣	في القطار

سقوط الأقنعة

٦٢٤	المؤمنة	٦٢١	ولو
٦٢٥	الديومة	٦٢٢	ينبغي

٦٦٣	٢ - فلسطينية في صوفيا	٦٢٧	العائد
٦٦٥	٣ - الجواب	٦٢٩	سقوط الأقنعة
٦٦٧	٤ - وداع في صوفيا	٦٣٧	كلمة السر
	٥ - حدث في الخامس	٦٤١	لم أزل
٦٦٨	من حزيان	٦٤٢	صحو
٦٧٠	٦ - يا قيصر الروم	٦٤٣	الشفة المقصودة
٦٧٢	٧ - طائر الرعد	٦٤٤	مق
٦٧٤	قتلي محض باطل	٦٤٦	حلول
٦٧٦	قسيمات	٦٤٨	سمعتهم
٦٧٩	مكافأة	٦٤٩	الجواب
	أنا ضمير المتكلم الذي التحم	٦٥٠	إذا لم ..
٦٨١	بالفعل الماضي الناقص	٦٥١	أبدية
٦٨٨	انتظرنى	٦٥٢	خبز
٦٩١	بطاقة تذكير	٦٥٤	وطن العجائب السبعين
٦٩٣	الموت في الوعي الكامل	٦٥٦	ركض في الساحات
٦٩٤	عاد		قصائد مهربة
٦٩٦	آخر ما سمعته منه		
٦٩٨	وصية	٦٦١	١ - وداع ١٩٤٨

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج

٧٢٧	رحلة السراييب الموحشة	٧٠٣	اسكندرون في رحلة الداخل والخارج
٧٤٩	أطفال رفح		

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

• القرآن الكريم

المصادر:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ط:1، 2000.
2. أبو القاسم جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1998.
3. سميح القاسم: ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، 1987.
4. صلاح عبد الصبور: ديوان صلاح عبد الصبور (المجلد الثالث، حياتي في الشعر)، دار العودة، ط:2، 1988.

المراجع:

1. إحسان عبّاس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، 1978.
2. جمال حسني يوسف: صورة النار في الشعر المعاصر، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع.

3. رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر (دراسة جمالية)، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، مصر، ط:1، 2020.
4. عبد المالك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، دراسة لمجموعة من الأساطير و المعتقدات العربية القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
5. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضايا و ظواهره الفنية و المعنوية)، دار الفكر العربي، ط:3.
6. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.
7. فاضل عبد الواحد علي: عشتار و مأساة تموز، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط:1، 1999.
8. فراس السواح: الأسطورة و المعنى (دراسة في الميثولوجيا و الديانات المشرقية)، منشورات دار علاء الدين، دمشق.
9. قاسم الشواف (نقله إلى العربية و علّق عليه)، أدونيس (قدّم له و أشرف عليه): ديوان الأساطير سومر و آكاد و آشور، الكتاب الأول، دار الساقى، 1996.

10. قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية:
الأسطورة توثيق حضاري، دار كيوان للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق،
سوريا، ط:1، 2009.
11. كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة،
منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2004.
12. محمد العيد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر "بيانها و
مظاهرها"، الشركة العالمية للكتاب، ط:1، بيروت، لبنان.
13. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع
و النشر، القاهرة.
14. يوسف حلاوي: الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، دار الآداب،
ط:1، 1994.
15. يونس لوليدي: الأسطورة بين الثقافة الغربية و الثقافة الإسلامية، مطبعة
أنفو برانت، شارع القادسية، فاس، ط:1، 1996.

المراجع المترجمة:

1. آرثر كورنيل: قاموس أساطير العالم، تر: سهى الطريحي، دار نينوى،
دمشق، سوريا، 2010.

2. إيريك فروم: اللغة المنسية، تر: حسين قبيسي، المركز الثقافي العربي،

ط:1، 1955.

3. مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات و

النشر، دمشق، ط:1، 1991.

الموسوعات:

1. محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، دار هومة، الجزائر، 2010.

2. محمد عجيبة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية و دلالاتها، دار

الفارابي، بيروت، لبنان، و العربية محمد علي الحامي للنشر و التوزيع،

تونس، ط:1، 1994.

3. موسوعة أبحاث و دراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، الأديب سميح

القاسم.

4. موسوعة الأساطير الإغريقية و الفرعونية، منتديات ملتقى العرب.

5. موسوعة ويكيبيديا www.wikipedia.org

المجلات:

1. سامية عليوي: التناص الأسطوري في شعر سميح القاسم، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة قلمة، الجزائر، ع:7، جوان 2010.
2. سامية عليوي: ملامح أسطورية في شعر سميح القاسم، حوليات جامعة قلمة للغات و الآداب، ع:15، جوان 2016.
3. مجلة أوراق ثقافية www.awraqthaqafya.com

الدراسات السابقة

1. سامية بوراس: الخصائص الأسلوبية في شعر سميح القاسم، كلية الآداب و اللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، 2015/2014.
2. سمية محادي: ملامح المقاومة في الشعر العربي الحديث "سميح القاسم" - أنموذجا-، كلية الآداب و اللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، 2014/2013.
3. فهيمة قيديري: آليات تشكيل الرمز في قصيدة "أشدّ من الماء حزنا"، كلية الآداب و اللغات، جامعة البويرة، الجزائر، 2015/2014.

المواقع:

1. منتدى ميثلون www.meithalun.yoo7.com
2. موقع www.m.facebook.com

3. موقع www.marefa.org

4. موقع www.mawdoo3.com

الفهرس

الفهرس

شكر و عرفان 4

مقدمة..... أ- ب- ج- د

الفصل الأول: الأسطورة، مفهومها، نشأتها، أنواعها، و توظيفها في الشعر..... 09

1. مفهوم الأسطورة..... 10

أ- عند الغرب 10

ب- عند العرب 12

ج- في القرآن الكريم..... 13

2. نشأة الأسطورة..... 19

3. أنواع الأسطورة..... 21

4. أسباب توظيف الأسطورة..... 26

5. أهمية الأسطورة ووظيفتها..... 29

الفصل الثاني: تجليات توظيف الأسطورة و الرمز في ديوان سميح القاسم..... 38

تمهيد..... 39

1. الأسطورة..... 41

- الأساطير اليونانية..... 41

- الأساطير الفرعونية..... 52

57.....- الأساطير البابلية

61.....2. الرموز

61.....- الرموز الدينية

73.....- الرموز التاريخية

79.....خاتمة

82.....الملاحق

86.....قائمة المصادر والمراجع

93.....الفهرس